تريلّو ٢
(مقطوعة الموت)

تريلو ٢

مقطوعة الموت

رواية

عادل أبو الفضل

تحرير ومراجعة لغوية: حمدي عبد الرازق

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٧٥٦

تدمك: ٨-٦١-٦٧٩٨-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢

غلاف: BF BIGFIVE

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما – أمام جنينة مول – مدينة نصر

Alfouad_Publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

تريلّو ٢

مقطوعة الموت

رواية

عادل أبو الفضل

الفؤاد للنشر والتوزيع

إهداء

إلى من استطاعوا الصمود ولم يهزمهم الحزن ، والذين آمنوا بالحياة وهزموا الشيطان ، والذين هم دائمًا وأبدًا بارقة الأمل لغيرهم ، والذين يمنحون الابتسامة والفرح دون مقابل...

إلى كل هؤلاء...

وإلى أمي وعائلتي وأصدقائي الذين أحبهم

بكم تحلو الحياة.

البركان

ازدحم عدد كبير من الرجال ذوى الملابس الأنيقة، ترافقهم زوجاتهم اللاتى كن في أبهى صورهن في حفل مهيب بقاعة واسعة مستطيلة الشكل، تنتهى في طرفها الجنوبى بمنصة صغيرة لها سلم خشبى قصير، وكانوا يلقون النظر ناحية تلك المنصة من وقت لآخر وكأنهم ينتظرون شخصًا ما.

وفي نهاية القاعة وقف "أكرم" يراقب المنصة باهتمام يفوق اهتمام الحاضرين، تشوبه نظرات التوتر والقلق.

ظل مكانه طويلاً حتى أتى رجل في سن متقدم أخذ يعنفه ببعض الكلمات، قبل أن يهز "أكرم" رأسه في ضيق ويترك القاعة متوجهاً نحو المطبخ، وفي طريق عودته التقى بشاب آخر يبدو أصغر سناً، فبادره قائلاً بتوتر ملأ صوته:

- ماعرفتش اطلع يا "سيد".

توجه "سيد" بنظره بقلق نحو القاعة قبل أن يحسم قراره قائلاً بلهجة حاسمة:

- تعالَ معايا، هاتصرف.

تحركا عائدين إلى القاعة وتوجها لسلم الڤيلا مستغلين انشغال الجميع في الأحاديث الجانبية، وتناهى إلى مسامعهما صوت رجل يتحدث إلى الحضور في لهجة ودود مرحة:

- مساء الخير يا جماعة، شرفتونى بحضوركم النهارده، طبعا انا كنت محضر لكو مفاجأة كبيرة في الحفلة بس مفاجأة زى دى انتشرت بسرعة وأكيد انتوا مستنينها بفارغ الصبر، وآسفين للتأخير بس باطمنكم أن بعد حوالى نص ساعة هيكون معانا الفنان "علاء داغر".

تعالى صوت التصفيق بعد جملته، في حين بدا التوتر على "أكرم" حين سمع

اسم "علاء"، وازدرد لعابه وهو يسرع الخطى مع "سيد" نحو الأعلى. عند وصولهم للطابق العلوى سارا في ردهة واسعة اكتظت بالغرف عن اليمين والشمال، وظلا يسيران بهدوء محاولين ألا يلفتا الانتباه.

لمحا رجلًا ضخما يقف عند باب حجرة في نهاية الردهة، توقف "أكرم" متوتراً، قبل أن يربت "سيد" على كتفه مطمئناً ويتوجه نحو الحارس.

وقف يراقب "سيد" الذي توجه للحارس وتبادل معه بعض الكلمات، ظهرت بعدها بعض علامات القلق على الحارس والذي تحرك معه مبتعداً عن باب الغرفة، ليتحرك "أكرم" سريعاً ويفتح الباب ويدخل مباشرة.

كانت حجرة واسعة يبدو عليها الفخامة ازدانت بستائر لها لون أحمر قانٍ وإضاءة خافتة تبعث الراحة لمن يجلس فيها. وكان "أكرم" على الرغم من ذلك قد بلغ منه التوتر مبلغه وتصبب العرق غزيرًا على وجهه، ووقف لحظات مفكراً قبل أن يتوجه إلى أحد أركان الحجرة ويجلس ساكناً يفكر فيما وصلت إليه الأمور، فهو يعلم جيداً أن الأمور تعقدت ولكنه مازال مصمماً على أن يُنهى ذلك الصراع الذى بدأ منذ فترة قصيرة، وكانت بدايته لاتوحى أن يصل إلى ذلك الحد، أو أن يصير يحمل رائحة الموت بشكل يزكم الأنوف.

قطع أفكاره صوت باب الحجرة يُفتح ويدلف إليها "علاء"، يرتدى حُلة أنيقة ويحمل في يده حقيبة آلة الكمان، وضعها بعناية فوق أحد المقاعد في الغرفة.

ظل "أكرم" جالساً في مكانه دون حركة وانتظر حتى جلس "علاء" على أحد المقاعد وأغمض عينيه محاولاً التركيز وتهدئة أعصابه.

- كنت مستنيك يا "أكرم"، بس ماتأخرتش.

نطقها "علاء" بغتة فانتفض "أكرم" في مخبئه لكنه لم يتحرك، فعاد "علاء"

للحديث وحملت كلماته لهجة ساخرة:

- مافيش فايدة فيك، مصمم تحاول تبوظ لحظات سعادتى.

تحرك "أكرم" من مكانه وهو يقول بلهجة قوية:

- لحظات سعادتك وسط الموت يا "علاء"؟!

رمقه "علاء" بنظرة ساخرة وهتف بلهجة مستنكرة:

- الموت !! مين جاب سيرة الموت؟

- الموت بيجى في أى مكان انت موجود فيه.

ضحك "علاء" ضحكة عالية قبل أن يتوجه نحو "أكرم" وهو يقول:

- أنا في طريق ماينفعش رجوع فيه، حتى أنت لو دقت مكاسبه استحالة ترجع تانى لحياتك القديمة الكئيبة اللى مافيهاش نجاح.

رد "أكرم" بلهجة غاضبة:

- ومين اللى خلاها حياة كئيبة، مش أنت برضه؟

نظر إليه "علاء" بهدوء قبل أن يبتسم وهو يستنكر:

- أنا؟! تفتكر فيه إنسان ممكن يبوظ حياة غيره؟ كل واحد بيعيش حياته بطريقته وبياخد اللى بيستحقه بس، احنا اللى بنبوظ حياتنا بنفسنا، بقرارتنا وأفعالنا وأفكارنا، احنا اللى بنأثر على حياتنا، أديك شايف أنا بقيت مين، "علاء داغر" أشهر عازف كمان في مصر، لأنى كنت عاوز كده ووصلت للي عاوزه، وانت إيه؟ زى ما انت، "أكرم شاهين" اللى مااستحقش إنه يكون أكتر من مجرد شخص مجهول، حب العيشة في الضل وفضل عايش فيه.

- وانا كنت استحق اللى حصلى؟! كل حاجة ضاعت منى، مافضلش غير الحزن والوحدة وال...

قاطعه "علاء" بلهجة حادة:

- وإيه المطلوب مني؟

- أنا جاى عشان تاخد اللى انت كمان تستحقه، بعد كل اللى دست عليه في طريقك، وانت عارف كويس انت عملت إيه.

نظر له "علاء" دون رد فاستطرد "أكرم":

- انت ميت في جلدك دلوقتي عشان انا مش خايف منك، وعشان عرفت اللي انت عملته وجاي لك أحاسبك عليه.

رد "علاء" باستهزاء:

- كويس إنك مابتخافش، بس انا ماعرفش بتتكلم عن إيه!

- لا عارف كويس، انا تخيلت تعمل أي حاجة غير دي، انت عملت كل حاجة غلط ضرت كل اللى حواليك.

رد "علاء" بحدة:

- انا عمري ما عملت الغلط، كل إنسان بيعرف الصح فين ويعمله، الصح اللي بيخليه أقوى وانا اخترت الصح، انت اللي عندك خلط في المفاهيم والمباديء، ومش فاهم الصح والغلط.

حدجه "أكرم" بنظرة تعجب قائلاً بلهجة مستنكرة:

- مبادىء!!غريبة انى اسمعها من واحد زيك، كفر بكل المبادىء اللي في الدنيا.

صرخ فيه "علاء" بغضب:

- غلط يا "أكرم"، غلط، مافيش في الدنيا مبادي ثابتة، المبادىء احنا اللى بنعملها، كل واحد له مبدأ، الحرامى لما بيبقى مقتنع إن السرقة حلال في الاغنيا

لأنها مش هتضرهم، ويقرر مايسرقش فقرا، مش ده مبدأ؟ موظف الحكومة اللى بيقرر انه مايتعبش نفسه لأنه مابياخدش من الحكومة فلوس كتير، فالمبدأ بتاعه إنه يوفر مجهوده عشان يشتغل بعد الضهر ويصرف على بيته وعياله، مش ده مبدأ، وغيرها وغيرها، دى مبادىء هما حطوها لأن تحقيقها بالنسبة لهم هو اللى بيحقق أهدافهم، المبادىء احنا بنعملها ونقرر نمشى عليها، كل اللى حواليك ممكن يتغير، الصدق والكذب والحب والكره، كلها بتتغير، الحاجة اللي بتحطها عشان توصل لهدفك هى المبدأ اللى لازم تمشى عليه لأن مافيش غيرك هيشوف إنه صح.

أطرق "أكرم" برأسه وصمت قبل أن يقول ببطء وبلهجة باردة:

- ممكن يكون عندك حق، لأنى حطيت مبدأ ممكن مايكونش صح إلا ليَّ انا بس، بس هيحقق هدفي زى ما بتقول، عارف إيه المبدأ ده، إن أحسن حاجة اعملها في حياتى إنى أقتلك.

قالها وقفز ناحية "علاء" محاولاً إمساكه من عنقه، ولكن الأخير مال للوراء وأمسك كفي خصمه وضربه برأسه في أنفه بقوة، ثم وجّه له لكمة قوية في معدته انثنى "أكرم" من قوتها، ولكنه تحامل على نفسه ودفع جسمه نحو "علاء" فسقط كلاهما على الأرض.

دفع "علاء" قدميه في معدة "أكرم" فاندفع للوراء ساقطاً على الكرسى خلفه، ولكنه اعتدل ليجد "علاء" قام بدوره من على الأرض فحاول لكمه ولكنه استقبل اللكمة على ذراعه وردها إلى "أكرم" بلكمة قوية دفعته إلى الخلف بقوة فتعثر وسقط على ظهره.

نظر له "علاء" وهو يقول بلهجة ساخرة:

- باندم فعلاً انى خليتك لحد دلوقتى ماسمعتش حاجة.
اندفع في تلك للحظة إلى الحجرة الحارس الواقف بالخارج، وتوجه ناحية "أكرم" ووجه له عددا من اللكمات والضربات سقط على أثرها.
عدل "علاء" من وضع ثيابه وهو يقول للحارس:
- خليك معاه لحد ما الحفلة تخلص، ماتتصرفش من دماغك ولا تعمل حاجة لحد ما آجي لك.
قالها وأمسك حقيبة الكمان واتجه خارج الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة تَّشَفٍّ، أما "أكرم" فنظر إليه بضعف شديد وقد شعر بالمرارة بعد أن فشل في إيقافه وظل ينظر إليه وأغمض عينيه في ألم، فها هو يفشل في الانتقام من هذا المجنون، وظل يقاوم دوار رأسه وعقله يقاوم قبل أن يسقط في براثن غيبوبة عميقة أظلمت معها الدنيا أمام عينيه.

*****

تحرك "علاء" في الردهة متوجهاً نحو القاعة وهو يفكر فيماحدث، ليس فيما حدث منذ دقائق مع "أكرم"، بل ماحدث في الماضى وبدأ معه كل شيء.
كان يعلم جيداً أنه لا مجال أن يتراجع عما بدأه طوال ذلك الوقت، ولكن لماذا يتراجع؟! هل يتراجع بعد أن فاز بأكثر مما تمنى بكثير ولم يخسر؟ على الرغم من الثمن الباهظ الذى دفعه ليصل لهدفه ولكنه لم يخسر.
كان يُدرك كم كانت معادلة غريبة أن تدفع ثمنًا باهظًا جداً، وفي نفس الوقت لا تخسر شيئاً، وفي المقابل يصير كل شيء بالنسبة لك كالسحر، كل ماتريده تمتلكه، وكل ما يؤلمك تتخلص منه.
قطع حبل أفكاره صوت يناديه فالتفت خلفه ليجد "سامحا" سكرتير رجل

الأعمال "عماد السرجانى" صاحب الحفل، فنظر إليه بهدوء ليبادره "سامح":
- حضرتك بخير؟ أنا عديت على أوضتك والحارس قال لي اللي حصل.
أغمض "علاء" عينيه وهو يلعن في سره ذلك الحارس، فهو لم يكن يريد لأحد أن يعلم بما حدث، ثم استعاد هدوءه الذى اتضح في صوته وهو يغمغم:
- أنا كويس تمام، ولد مجنون دخل الاوضة وكان عاوز يوريني موهبته.
- حضرتك ماتقلقش انا كنت رايح اتصل بالبوليس يجى ياخده، و...
قاطعه "علاء" مسرعاً:
- لا لا، ده ولد غلبان وانا مش عاوز الجو يتوتر عشان أقدر أركز.
واقترب من "سامح" مستطرداً:
- أى حاجة هتحصل هاسيب الحفلة وامشى، وبعدين ده تقصير منك إنه قدر يدخل لحد الأوضة عندى، فالأحسن للكل إن الموضوع يبقى بيننا علشان ماتحصلش شوشرة.
ازدرد "سامح" لعابه وقال في لهجة متوترة:
- مش هيحصل حاجة.
- انا ١٠ دقايق وانزل الحفلة ماتقلقش.
قالها ومضى مبتعداً، في حين مط "سامح" شفتيه بضيق قبل أن ينصرف بدوره متجهاً للحفل وهو يهمهم بسباب ساخط، فكم كان يكره "علاء" ولا يشعر بالراحة لوجوده، وفي نفس الوقت كان"سيد" يقف بعيداً يراقب ما يحدث، وهو يُدرك الآن أن "أكرم" لم ينجح فيما كان يريد، بل والأسوأ أنه قد سقط بين يدي "علاء".
وقف "سيد" مفكراً فيما يجدر به أن يفعل لكن عقله لم يهده لشىء، فهو لا يعلم

ما بين "أكرم" و"علاء"، كل مايدركه أن هناك قصة عداوة تعود أصولها للماضى دون معرفة تفاصيل، فصب "سيد" تفكيره على كيفية مساعدة "أكرم"؛ ومن يدرى ربما يعلم في وقت لاحق تفاصيل قصة ذلك الماضى الذى يحمل الكثير من الغموض، وينتهي كل شيء.

من يدرى؟!

*****

تقدم "عمر" بخطوات هادئة نحو باب الفيلا المقام بها حفل رجل الأعمال "عماد السرجانى"، وأبرز دعوة الحضور للحارس الذى تنحى من أمامه فاتحاً له الطريق ليدلف إلى الحفل.

ابتسم بهدوء وأكمل طريقه للداخل ثم توقف قبل بلوغ سلالم القيلا بعدة أمتار، ونظر ناحية اليمين نحو بعض الأشجار، وتلفت حوله بحذر قبل أن يتوجه نحو الأشجار ليبرز من وسطها "سامح"، والذي بادر قائلاً بتوتر:

- اتأخرت ليه يا "عمر"؟

- هو وصل؟

- آه، بس حصل حاجة غريبة.

قاطعه "عمر" بحسم وهو يقول:

- مش وقت كلام ، هو فين دلوقتى؟

- لسه مانزلش، ادخل جوة وهتلاقى فيه واحد مستنيك.

عاد "عمر" للاتجاه ناحية سلم القيلا وصعده بهدوء ودخل إليها ليجد أمامه نادلًا أشار إليه بيده لكي يتبعه، وتحرك "عمر"خلفه بعد أن تأكد أنه لم يلفت الأنظار، وظل عقله يحمل سؤالًا واحدًا.

هل سيتمكن من إنهاء ما أتى من أجله؟

*****

سمع "أكرم" صوتًا يناديه باسمه، وحاول أن يعتدل ولكنه تأوه وأمسك رأسه في ألم وبدأ في استعادة وعيه ببطء ليفتح عينيه بصعوبة بعد أن تبين الصوت ليجد أمامه "سيد" قائلاً:

- فوق يا استاذ "أكرم"، انا يادوب دخلت من البودى جارد اللى برة خلينا نطلع من هنا.

لم يكن "أكرم" قد استرد كامل وعيه ولكنه أجاب في إعياء واضح:

- هنخرج إزاى؟ الأوضة مالهاش مخرج تانى.

- هنطلع من الباب عادى، انا هاشوف صرفة للجدع اللي برة، بص...

بتر عبارته ولم يكملها حين انقطع التيار الكهربى وغرق المكان في ظلام دامس، وسمعا صوت باب الحجرة يُفتح، ودون أن يتبادلا كلمة واحدة أدركا أنها فرصة مثالية للخروج، فاندفعا بسرعة فتعثرا بالحارس الذي حاول الإمساك بهما ولكن حال الظلام دون ذلك، قبل أن يجدا طريق الخروج.

استغل "سيد" علمه بالمكان فاهتدى على ضوء هاتفه متجهاً إلى نهاية الرواق وجذب "أكرم" لينحرف معه نحو إحدى الغرف، واختبئا فيها قبل أن يلحظهما الحارس، في نفس اللحظة التي عادت فيها الأضواء للسطوع.

- ماتعرفش "علاء" فين؟

- شفت الأوضة اللي راح فيها.

- وديني هناك بسرعة.

خرج "سيد" من الغرفة بهدوء ناظراً حوله ليجد الحارس في مواجهته مباشرة،

دفعه الحارس بقوة ناحية الغرفة ليسقط أرضاً بعنف، ودخل إلى الغرفة باحثاً عن "أكرم" الذى فاجأه من خلفه بضربة عنيفة على رأسه بزجاجة، فسقط أرضاً واختطف "أكرم" مسدسه من جرابه، ثم اندفع مع "سيد" ناحية الغرفة التي يوجد بها "علاء".

*****

استشاط "علاء" غضباً خلال وقت انقطاع التيار الكهربائى، وهو يواجه "ساميحا" الذى كان يحاول تهدئته بشتى الطرق.

- المولد الاحتياطى هيشتغل بعد دقايق ماتقلقش.

- إزاى يحصل غلطة زى دي ومن قبلها واحد يدخل الأوضة، فيه إيه يا "سامح"؟

- كلها حاجات عارضة ماتقلقش.

سطعت الأنوار مرة أخرى فبادره "سامح" بالكلام:

- شفت الموضوع اتحل من غير عصبية، انا هاسبقك على تحت.

قالها واتجه ناحية الباب، لكنه فوجىء ب"علاء" يُمسك به بغتة ويجذبه ناحيته محتمياً بجسده ويقول له بلهجة حادة:

- استنى يا كلب علشان تشوف المشهد اللى انت بترتب له.

في اللحظة ذاتها انفتح باب الغرفة واندفع "أكرم" وهو يشهر المسدس في وجه "علاء" الذى لم يهتم بوجوده وأعطاه ظهره ونظر ناحية جزء مظلم من الحجرة وهو يقول:

- تعالى يا "عمر" انا مستنيك.

اتسعت عينا "أكرم" في دهشة دون أن يفهم جملة "علاء"، ومن خلف الستارة المواجهة لـ"علاء" خرج "عمر" يشهر مسدسه بدوره في وجهه.
زاد اتساع عيني "أكرم" حتى كادتا تقعان من محجريهما وهو ينقل بصره بين "عمر" و"علاء"، الذي قطع جمود الموقف قائلاً بلهجة ساخرة:
- أبهرتنى بالنسبة إنك ميت يا "عمر"، بس مالقتش غير "سامح " يساعدك، ده فاشل
في حين كان "أكرم" لم يتمكن من الخروج من دهشته بعد وهو يقول:
- "عمر"! إزاى؟ انت لسه عايش؟
لم ينظر "عمر" نحوه وظل ينظر في عينى "علاء" مباشرة مجيبًا بهدوء لا يتناسب مع الموقف:
- فيه حاجات هتفهمها بعدين يا "أكرم".
استمر "علاء" في الحديث بنفس اللهجة الساخرة:
- متهيألى الوقت اللى فاضلكوا مش هيكفي إنك تفهم حاجة يا "أكرم".
في نفس اللحظة دخل إلى الغرفة حارسان آخران ليوجها مسدسيهما ناحية "أكرم" و"عمر" الذى وجه لهما سلاحه بدوره، أما "أكرم" فقد ظل موجهاً سلاحه نحو "علاء" الذى أطلق ضحكة عالية ساخرة وهو يقول:
- الموقف صعب قوى، بس كل حاجة هتخلص، وقريب، كان نفسي تكملوا أكتر من كده وتشوفوا أكتر من اللي شوفتوه، بالذات انت يا "أكرم"، نفسي تفضل تتفرج عليَّ علشان تحس بالوجع والقهر.
قال "عمر" وهو مازال يشهر مسدسه:
- غرورك خلاك استنيت كتير، بس مافيش حاجة ممكن نشوفها أسوأ من كل

اللي عملته.
أطلق "علاء" ضحكة عالية مجلجلة وهو يقول:
- لأ فيه كتير، وانت ممكن تشاركني يا "عمر" الاختيار قدامك.
- اختيار إيه؟
- الحياة اللى ممكن أديها لك، القوة، تحقيق الطموح والنجاح.
صرخ فيه "عمر" بغضب هادر:
- اخرس بقى.
ابتسم "علاء" ابتسامة ساخرة وهو يأخذ حقيبة الكمان من فوق الكرسي وعيناه ترتكزان على "عمر" وتزداد ابتسامته الساخرة اتساعاً، ورغم كل ماحدث لم يشعر الحضور في الحفل بأن في الطابق العلوى هناك بركانا على وشك الانفجار، بركانًا من الأحداث أو بالأصح بركاناً من الدم.
انفجار بدأ بسبب عدد من الأحداث، انطلقت معه الرصاصات مدوية، تشق الجدران ليسمعها كل من في المكان، وبعد دوي صوت الرصاصات ساد الهرج بين الحضور واندفعت من بين الحلوق صيحات خوف وتوتر؛ ورغم التوتر الذى ساد المكان، لم يكن أحد يدرى حقاً ما حدث، فلم يتناهَ إلى مسامعهم سوى صوت بضع رصاصات، فقط.
أما البركان الحقيقي فقد كان بالفعل قد انفجر دون أن يعلم أي منهم ما يحدث، انفجر لتبدأ معه بداية النهاية، البداية التي كانت منذ وقت ليس بالبعيد.

*****

التاريخ

تتشابه البدايات في كثير من الأحيان، فبداية الصراع بين "أكرم" و"علاء" كان حفل موسيقي أيضًا، الحفل الأول لعازف الكمان "علاء داغر"، جاء بعد سلسلة من الأحداث الغريبة، فالبداية كانت مع الوفاة الغامضة للمايسترو "كامل أبوعلم" الأب الروحي لـ "علاء"، والذي كانت صدمة موته بالنسبة له في مقتل.

ولكن الغريب هو حادثة موته، فرغم ظهورها كانتحار، إلا أن الرائد "محمود" وجد في الشقة رسمًا غامضًا لرجل له جناحان يعزف على الكمان، بالإضافة لظهور "ممدوح" الذراع اليمنى لرجل الأعمال الفاسد "فتحي زهير"، وحريق غامض في شقة "كامل".

كلها أمور جعلت "محمود" يعيد النظر في القضية مع زميله "عيسى" ليحاول البحث عن حقيقة ما حدث بالفعل، وفي نفس الوقت بدأت حياة "علاء" في التدهور بعد موت "كامل"، وفقدانه لفرصة كبرى في الوجود مع موسيقار كبير، وتركه لحبيبته السابقة "رضوى"، وبداية إقصائه من فرقته الموسيقية بعد عودة "أكرم".

"أكرم" الذي أخذ مكانه في الفرقة الموسيقية، وفي قلب "رضوى" التي ارتبطت به بعد سوء معاملة "علاء"، ليصبح "أكرم" العدو الأول لـ"علاء".

أمور أفقدت "علاء" صوابه، ولكن كل شيء قابل للتغيير فجأة، وربما بشكل أسرع من أن يتصوره الإنسان أو يتوقعه؛ فـ "محمود" تمكن من إيجاد دليل قد يساعده في كشف حقيقة وفاة "كامل"، ليبدأ سلسلة أخرى من البحث بمساعدة "عيسى" والصحفية "سارة"، ورجل الأعمال "فتحي"، والذي

كانت تربطه علاقة غامضة بـ "كامل" بسبب بعض المستندات التي تدينه بحوزة "كامل"؛ كانت أمرًا يؤرقه، لذلك كان يريد التأكد من وفاة الأخير، بعد أن أصبح موضع تهديد من شخص مجهول.

أما "علاء" فقد عاد أكثر قوة وثقة، بسبب نوتة موسيقية تركها "كامل أبوعلم"، نوتة حملت بداخلها مقطوعة موسيقية تشبه قطعة من الجنة لم يتمكن من عزفها في البداية، ولكن تغير كل شيء فجأة، ليتمكن "علاء" من عزفها أمام المايسترو "محمد رفعت" الذي يبدي إعجابه الكامل بمقطوعة "علاء"، ويقرر منحه فرصة كبرى بإقامة حفل خاص به ليعزف مقطوعته الأولى.

ورغم نجاح "علاء" في استعادة نفسه، لكن الصديق دائمًا يشعر بصديقه، فكان "عمر" يشعر أن هناك أمرًا غامضًا مخفيًا عنه، وهو بحاجة لمعرفته قبل أن يؤذي "علاء" نفسه.

أما "محمود" فكان الرابط الغامض بين "كامل" و"فتحي" يؤرقه لرغبته المستمرة في إثبات فساد الأخير والقبض عليه، ليستمر في البحث دون جدوى عن سبب وفاة "كامل" الغامضة، ويزداد خوف "فتحي" بعد أن تختفي جثة "كامل"، ويشعر أنه صار مطاردًا، ويصبح هدفه الأول معرفة هل "كامل" حي أم ميت؟

ويقع "محمود" في نفس الحيرة، فهو لم يتمكن من الوصول إلى حقيقة وفاة "كامل"، ولم يقده أي دليل إلى جديد، وتمكن فقط عن طريق "سارة" من التأكد من وجود علاقة صداقة سابقة بين "فتحي" و"كامل"، ولكنها انتهت فجأة بلا سبب.

يزداد "علاء" قوة بعد فرصة الحفل، ويتمكن من الوصول إلى "فتحي" ليقنعه

أنه الوحيد القادر على حمايته من "كامل" إن كان حيًا؛ ومع الضعف البشري يوافق "فتحي" على عرض "علاء"، ويصبح أحد رجاله رغم معارضة "ممدوح".

يحاول "علاء" استعادة "رضوى" كذلك ليفوز بكل شيء، فيدفع صديقتها "ياسمين" لمحاولة الإيقاع بينها و"أكرم"، ولكن الخطة تبوء بالفشل، ويواصل "أكرم" تمسكه بـ"رضوى"، ويواصل "علاء" محاولاته لاستعادتها، ولكنها ترفض وتقرر البقاء مع "أكرم"، لتؤكد لـ"علاء" أنها لن تعود له بعد أن تركها فيما سبق، ولن تترك من أحبها بصدق.

تأتي لحظة الحفل الموسيقي الأول لـ "علاء" والذي لم يكن فيه فقط يعزف على الكمان، بل كان يعزف على الأحداث، فقد جعل الأحداث كلها تسير وفقًا لرغبته، أو تدور حوله فقط.

فبفضله صار "فتحي" أقوى من "محمود" ليصطدم الاثنان في الحفل، ويتلقى "محمود" تهديدًا مباشرًا إذا لم يبتعد عن "فتحي"، واستغل "ياسمين" لتقنع "رفعت" أن وجود "أكرم" مضر للفرقة، ليقرر الاستغناء عنه.

"عمر" علم ما فعلته "ياسمين"، ليتأكد أن صديقه "علاء" بات خطرًا على الجميع، وعلى نفسه.

كانت كل الأمور مشتعلة، "فتحي" و"محمود"، "أكرم" و"علاء"، خوف "عمر" من "علاء"، "ياسمين" التي تشعر بالندم على ما فعلته وتسبب في طرد "أكرم"، و"ممدوح" الذي كان شعر بالقلق من "علاء" وأنه بات أقرب من "فتحي" أكثر مما ينبغي.

حتى "سارة" كانت في صراع داخلي بعد اعتراف "عيسى" بحبه لها، فهي تخشى جرح مشاعره، ولكنها لا تستطيع منحه مشاعر كاذبة.

سيل من المشاعر المتناقضة غلّف ذلك الحفل بعد نهايته، وكان أبرزها مشاعر "أكرم" الذي بات كل شيء ضده، وأصبح بحاجة إلى أن يفهم ما يحدث، حتى وإن أدى ذلك للمواجهة مع الشيطان نفسه.

وكم كان ذلك صحيحًا، فهو سيواجه شيطانًا بالفعل، ولكنه شيطان الإنس، "علاء داغر".

*****

شيطان الإنس

جلس "أكرم" في منزله يتصفح إحدى الجرائد، وما إن وصل إلى خبر يتحدث عن حفل "علاء" حتى ألقى الجريدة بغضب شديد. فقد مر يومان منذ ذلك الحفل، ولم تكف وسائل الإعلام عن الحديث عن "علاء" ومقطوعته، واستضافته في العديد من البرامج، حتى وسائل التواصل الاجتماعى كذلك لم تكف عن الحديث عنه وعن موسيقاه الرائعة.

ولكن ذلك لم يكن سبب غضب "أكرم"؛ فهو يعلم كيف تسير الأمور عند حدوث شيء في مصر؛ حيث يبدأ الكل في الحديث عنه بلا استثناء، في وسائل الإعلام ووسائل التواصل وفي الشارع، وسرعان ما تهدأ تلك الموجة بعد أن يمضى على الحدث أسبوع أو أسبوعين؛ ويبحث الناس عن حدث آخر ينشغلون به ويجعلونه محور أحاديثهم.

كان ما يغضبه حقاً هو رؤية "علاء"؛ فقد كان يشعر أنه وراء رحيله من الفرقة، ولكن لم يكن لديه ما يؤكد أفكاره أو ينفيها، ولم يستطع أن يمنع نفسه من الاعتقاد بضلوعه في الأمر. فما حدث كان عجيباً، كيف يتغير "رفعت" بذلك الشكل المفاجىء، وهو ما جعله يشعر بالعجز والغضب الشديدين طوال اليومين الّذين أعقبا الحفل، حتى أنه شعر أنهما عامان لا يومين.

علا صوت رنين جرس الشقة، وما إن فتح حتى وجد "رضوى" لينظر لها بدهشة متسائلاً:

- فيه حاجة؟

ابتسمت مجيبة:

- جايه أطمن عليك قبل ما أروح المسرح.

أفسح لها الطريق لتدخل إلى المنزل وهو يغمغم:
- أنا كويس.
نطقها بلهجة باردة فتأكدت أنه مازال غاضبًا فقالت بحذر:
- لا، انت متضايق.
- عاوزاني متضايقش وانا سايب الفرقة اللي كنت شغال فيها لسبب أنا ماعرفوش لحد دلوقتي.
- أكيد هتعرف السبب، ويمكن "رفعت" يجي يقول لك ترجع تانى، اهدى.
- مش هاهدى، انا سايب الفرقة كأني متهم، أو عامل مصيبة، وانتِ تفتكري "رفعت" يجي يقول لي أرجع وهو ماكنش عنده صبر أما حفلة "علاء" تخلص وطردنى وهي شغالة.
- ماطردكش، هو بس...
قاطعها بحدة:
- ماتحاوليش تجملي اللي حصل علشان تهوني عليَّ، هو طردني من غير سبب.
- أحاول انا أعرف منه السبب؟
أجاب بصوت أكثر حدة:
- وانا كل ده ماسألتوش، أنا سألته أكتر من مرة وكل مرة يقول لي اللي حصل حصل. حاولت بكل الطرق أفهم، انتِ مش فاهمة، انا تقريباً عارف مين عمل كده بس عاوز أتأكد من "رفعت"، يعنى انا عملت كتير مش مستني انك تسأليه ...
بتر عبارته وهو ينظر إلى "رضوى" التي أطرقت برأسها، وانتبه إلى أن أسلوبه كان حاداً للغاية، فبدأ يحاول السيطرة على انفعاله ثم اقترب منها قائلاً:

- أنا آسف يا "رضوى"، انا متضايق، سامحيني.

رفعت رأسها بهدوء ليجدها مبتسمة وترد عليه بهدوء:

- مازعلتش، انا كنت هسأله علشان مش مبسوطة من اللي حصل، الفرقة وحشة قوي من غيرك.

- لا ماتسأليهوش يا حبيبتى خلاص، انا هادور على مكان تاني، الحكاية مش صعبة.

- انا مش هاكمل في الفرقة...

قاطعها بحسم:

- لو بتحبيني ماتعمليش كده، المشكلة معايا، ماتدخليش نفسك في متاهات، يلا علشان ماتتأخريش، خدي بالك من نفسك، وماتزعليش مني.

- عمري ما أزعل منك.

قالتها وانصرفت، وإن لم يتوقف عقلها عن التفكير، قبل أن يقفز إليه قرار ظل يلح عليه وبشدة.

*****

وقف "علاء" في بداية طريق طويل، يبدو ممهداً لا يوجد به أى عقبات أو صعوبات، وشعر بيد توضع على كتفه فالتفت مسرعاً ليجد أنه ينظر إلى نفسه التي قالت له:

- مبروك يا "علاء" انت ابتديت طريقك.

- مافيش حاجة هتمنعني.

- فيه حاجة واحدة.

- إيه؟

- المشاعر، مشاعر الإنسان ممكن تعطله.
- مافيش جوايا أي مشاعر، اللى انا داخل عليه أهم بكتير من المشاعر.
- و"رضوى"؟
- هي هتيجي وتطلب ترجعلي، وساعتها هارفض، هي رفضتني وهتندم، المشاعر الأهم بالنسبة لي إني أنجح في اللي باعمله.
- مش بس الحب يضيع لك اللي بتعمله، فيه مشاعر تانية، زي الصداقة والتضحية والمسامحة.
- أي حاجة ماتهمنيش، صعب أتخلى عن اللي وصلت له ده دلوقت.
- خلى بالك.

ترددت الكلمة عدة مرات قبل أن يستيقظ "علاء" في فراشه، وبعد ثوان ارتفع صوت باب المنزل، فخرج مسرعاً ليجد "رفعت " أمامه، فدعاه للدخول والجلوس فقال "رفعت" مازحاً:

- شكلك لسه صاحي، بقيت أشهر من لاعيبة الكورة، حوارات وبرامج، مابتلحقش ترتاح، دى ضريبة النجاح.

هز"علاء" رأسه موافقاً، وقبل أن يتساءل عن سبب الزيارة وجد "رفعت" يقول:

- هادخل في الموضوع على طول، انت حفلتك كان ليها صدى كبير قوي، وعاوزين نكررها في أقرب وقت؛ أما تانى حاجة عاوزك تعتبر من اللحظة دي إنك مسئول عن الفرقة زيي بالظبط، يعني في حالة غيابي انت تقدر تتصرف زى ما انت شايف، انا واثق فيك.
- بس ده كتير يا أستاذ.

- موهبتك تخليك تستحق حاجات كتير، واعتبر إنك من النهارده شريك معايا في الفرقة.
نظر له "علاء" دون تعقيب، فتحرك "رفعت" نحو الباب وهو يهتف:
- هاسيبك ترتاح، ومن بكرة تيجى المكتب هافهمك حاجات كتير لازم تعرفها عن الفرقة والإدارة، فيه حاجات كتير هتتعلمها الفترة الجاية.
قالها وانصرف، بينما ظل "علاء" جالساً وهو يبتسم ابتسامة انتصار وثقة ويقول لنفسه:
- الناس ممكن تساعدك تحقق اللى بتخطط له أسرع ما انت متوقع.

*****

دلف "عيسي" إلى مكتب "محمود" بتوتر بعد أن تأخر الأخير في الحضور، فسأله:
- خير ياباشا اتأخرت ليه؟
زفر "محمود" بضيق واضح وهو يغمغم:
- كنت باحاول أوصل لأى حاجة بخصوص الرسمة بتاعت بيت "كامل".
- ما خلاص القضية اتقفلت.
نظر له وهو يقول بسخرية:
- آه صح.
فهم "عيسي" مقصده من الحديث فتوتر وهو يقول:
- عارف ياباشا إن موضوع "فتحي" مضايقك، بس جايز ماكنش هيوّصلك لحاجة إنك تتكلم معاه بشكل رسمى في قضية "كامل".
هز "محمود" رأسه نفياً قائلاً:

- بالعكس يا "عيسي"، إنه يوصل بعلاقاته إنه يخلى رؤسائى يطلبوا مني بشكل رسمي إني ماتهموش بحاجة وكمان أقفل قضية "كامل"، كل ده بيأكد إنه كان فيه حاجة خايف منها، لا وكمان بيهددني إنه ممكن يأذي مراتي.

- ده يخليك لازم تبعد أحسن.

نهض "محمود" من مكانه غاضباً وقال لـ"عيسي" بلهجة حادة:

- جرى إيه يا حضرة الظابط، ده اللي اتعلمته، تهرب من المواجهة.

- مش هروب، انت بتحمي بيتك.

- لأ هروب، ولو هربنا كده في كل مرة يبقى نسيب الشغلانة دي أحسن.

وعلى الرغم من انفعال "محمود" الشديد ظل "عيسي" هادئاً وهو يقول:

- لأ طبعاً، احنا عندنا استعداد نضحي بنفسنا علشان نحبس مجرم أو نوصل للحقيقة، إنما لما الموضوع يوصل إن أقرب الناس لينا تتأذى لازم نفكر، ممكن تضحي بنفسك ياباشا دى ملكك، لكنماينفعش تضحي بروح حد قريب منك وعايش وهو سايب روحه أمانة في رقبتك، لو على نفسنا فدي آخر حاجة بنخاف عليها، المشكلة في الناس اللي متعلقة فينا.

أطرق "محمود" رأسه في يأس وجلس وهو يتمتم:

- سيبنى لوحدي شوية يا "عيسي".

هز "عيسي" رأسه متفهماً وانسحب من الغرفة بهدوء، تاركاً "محمود" غارقاً في لُجة من الأفكار المتلاطمة، فلم يكن يدري حقاً هل من الصواب أن نهتم بإظهار الحقيقة حتى وإن أدى ذلك لأذى أقرب الأشخاص لدينا.

*****

كانت الأفكار تتصارع بشدة داخل عقل "عمر" وهو يسير متوجهاً نحو منزل "علاء". كان يدرك أن مواجهته قد تنتهى بخسارته لأقرب أصدقائه، ولكنه في نفس الوقت كان متأكداً أنه لن يشعر بالراحة أبداً وهو يعلم جيداً أن هناك شخصا مثل "أكرم" وقع عليه ضرر، ولم يقم بأى خطوة إيجابية لمساعدته رغم علمه بالحقيقة. إنه صراع الضمير بين ما يتمناه المرء وبين ما يجب عليه أن يفعل.

وصل في تلك اللحظة أمام شقة "علاء"، فحسم قراره ورن جرس الباب، وما هي إلا ثوان حتى فتح له صديقه وهو يستقبله بحفاوة جعلته يشعر أن مهمته تزداد صعوبة. هل من المنطقى أن يفعل ذلك مع صديقه، أم يتركه يفقد إنسانيته ويتحول إلى شيطان، حسم "عمر" قراره وهو يقول:

- ممكن أفهم إيه اللي حصل مع "أكرم"؟

وضع "علاء" يده على رأسه وتظاهر بالتفكير:

- مش عارف، انا كنت هكلم "رفعت" و...

- "ياسمين" حكت لي اللي حصل.

قاطعه "عمر" بتلك الجملة فظل "علاء" هادئًا وهو يقول:

- وياترى عرفت إيه؟

- ياسمين" حكت لي إنها قالت لـ "رفعت" إن "أكرم" ناوي بعد الحفلة بتاعتك ما تنجح إنه يسيب الفرقة لأنه حس ان انت بتتعامل أحسن منه، ومش بس هيمشى، ده كمان هيستغل علاقاته في الصحافة علشان يشوه الفرقة.

هز "علاء" كتفيه في لامبالاة واضحة متسائلاً:

- مش ممكن يكون الكلام ده صح؟ افترضت ليه أن "ياسمين" بتكدب؟

صرخ "عمر" بحدة:

- علشان قالت لي إنك خليتها تقول كده.

نظر له "علاء" دون أن ينطق لثوانٍ ثم ابتسم متسائلاً:

- وانت جاي تحاكمني يا صاحبي؟

- جاى أعرف انت عملت كده ليه؟ انت وصلت لنجاح أكتر من اللي كان نفسك فيه، يبقى إيه المبرر إنك تعمل كده؟

- علشان كنت محتاج أعمل كده.

- ليه؟

أجابه بلهجة قوية:

- هو خد كل حاجة، "رفعت" كان بيفضله عني في الفرقة من غير سبب، وكان بيعتبرني مجرد بديل لـ"أكرم"، الناس في الفرقة كانت بتهتم بيه، حتى "رضوى" البنت الوحيدة اللى حبتها خدها منى، كان لازم أبعده عني علشان أحس بنجاحي.

بدأ "عمر" في الانفعال بدوره وهو يقول:

- وكان بيفضله عنك ليه؟ هو كان بيجتهد وموجود دايمًا في أي وقت، و"رفعت" أداك الاهتمام والتقدير لما انت اجتهدت وعملت المقطوعة بتاعتك، "أكرم"عمره ما بص لنفسه ونسي الناس، بالعكس كان دايمًا بيساعد اللي حواليه، علشان كده كل الناس بتحبه، ولو على "رضوى" أحب أفكرك أن انت اللي سبتها بمزاجك لأنك برضه فكرت في نفسك.

- انت شايفنى أناني؟

- أنانيتك خليتك مش شايف بتعمل إيه، حاولت كتير أنبهك ماتبقاش أناني بس انت ماكنتش واخد بالك، لحد ما وصلت لدرجة إنك بتأذى اللي حواليك.

ظهر الحقد والبغض جلياً في نبرة "علاء" وهو يقول:

- انا عرفت اللي المفروض أعمله علشان أكسب وأوصل لطموحي، والهدف ده مش هاوصل له إلا لو خليت حياة واحد زي "أكرم" تبوظ زي ما حياتى انا كمان كانت هتبوظ.

فغر "عمر" فاه في دهشة، فرغم كل توقعاته بشان تلك المواجهة إلا أن ما سمعه في تلك اللحظات كان أسوأ تخيلاته، فلم يتوقع أن يحمل قلب "علاء" كل ذلك القدر من الكراهية والحقد، لم يتوقفا كونهما متوجهين نحو شخص آخر، بل تعدى الأمر ذلك بكثير، حتى وصل إلى الرغبة في الإيذاء.

وبعد دقائق من مشاحنات الكلام بينهما خرج "عمر" من الشقة وهو يتمنى أن يكون كل ذلك مجرد كابوس، ولكنها الحقيقة التى هرب منها طويلاً، هرب من تصديق أن يكون صديقه يحمل في قلبه أنانية وكراهية، تناسي كل ذلك ظناً منه أنه بذلك سيبقى مع صديقه، ولكن ما حدث هو إنه ساهم في صنع كيان من الأنانية والحقد، كيان لا يدرى إلى أي مدى سيصل ضرره لمن حوله؟

*****

فركت "سارة" عينيها في إرهاق واضح وهي تبعدهما عن شاشة الكمبيوتر؛ بعد ساعات طويلة من العمل، وعادت بظهرها إلى الخلف وهى ترتدي منظارها الطبي مرة أخرى لتصطدم عيناها بـ"عيسي" الذى وقف على بضع خطوات من مكتبها. توجهت نحوه وعلى وجهها علامات الدهشة فقال باسماً:

- انتِ ماشوفتيش عفريت.

ابتسمت لدعابته وهى تقول:

- اتفاجئت، انت عمرك ما جيت لى.

- لقيتك مختفية من يوم الحفلة ومابتجيش.

- أنا آسفة بس كنت مشغولة بشكل مش معقول.

- طيب ممكن أعزمك على فنجان قهوة يساعدك في شغلك.

أدركت رغبته في الحديث معها فوافقت على دعوته وتوجها معًا إلى كافيتيريا، ورغم رغبته الملحة في الحديث، ظل "عيسي" صامتاً لبعض الوقت، كما ظلت هى صامتة، فبدا الاثنان كما لو أنهما يعلمان جيداً الحديث الذى سيقال، ولكن كل منهم ينتظر من يبادر بالبدء، ولم يطق "عيسي" الانتظار فسأل بشكل مباشر:

- ردك إيه على اللي قلته يوم الحفلة؟

ورغم توقعها للسؤال إلا أنها توترت بشدة وخلعت منظارها الطبي وهى لا تدري كيف تجيب، وزاد التوتر بداخلها وهي تبحث عن كلمات مناسبة في ذلك الموقف.

يظن المرء إنه يملك الكثير من البلاغة، ولكن في بعض المواقف التي نحتاج فيها حقاً للحديث نجد ألسنتنا تحولت إلى آلة معطلة غير قادرة على صناعة الكلمات المناسبة.

كانت تظن أن الإجابة على ذلك السؤال بالقبول أو الرفض أمر سهل، ولكن كل الأمور التى يراها المرء سهلة يكتشف أنها في غاية الصعوبة عندما يجد نفسه

مضطرًا للتعامل معها. كرر "عيسي" سؤاله، فارتدت منظارها الطبى وهى تسأل:

- إمتى؟

- من ساعة ما غبتِ وبطلتِ تيجي، وأما ابتديتِ تيجي وقت قضية "كامل" حسيت إني لازم أقولك.

- أنا عمري ما توقعت إن حد يركز معايا، انا بنت بتحب شغلها ومدياله كل وقتها، والرجالة بيبعدوا عن البنت اللي من النوع ده، بيشوفوها معقدة أو ماتنفعش تبقى زوجة وتربي أولاد.

- انا شفت ده من مميزاتك، طموحك وشغلك وثقافتك كانوا بيقولوا إنى اخترت إنسانة كاملة.

تنحنحت في توتر وهى تقول:

- مش للدرجة دى، انا عادية جدا والله.

وصلت يده إلى يدها وأمسكها بهدوء قائلاً:

- مش جاى أتناقش في الكلام ده، انا جاي أعرف ردك.

سحبت يدها بهدوء من بين يديه ونظرت نحو الأرض في توتر، فسحب يده وأعادها إلى جواره متمتماً:

- إجابتك وصلت.

نظرت له وهى تقول بصوت حمل كل معالم الأسف:

- أنا آسفة، إحنا مالناش سُلطة على مشاعرنا، انا شايفاك صاحب جدع، لكن ماحستش بحاجة تانى.

هز رأسه متفهماً فاستطردت:

- انت إنسان ممتاز، بس ماقدرش أوافق عليك وانا مش حاسة بحاجة وإلا هابقى باظلمك.

ابتسم متمتماً:

- المهم نفضل صحاب زى ما احنا.

- طبعاً.

- وانا موافق.

نظرت إلى ساعتها وهى تقول:

- انا مضطرة أمشي، هارجع الجريدة بسرعة أخلص حاجة وألحق أروح، وهابقى أعدي عليك.

- مستنيكِ في أي وقت.

ودعته وانصرفت مسرعة، وقلبها يخفق بين ضلوعها بقوة ويخامرها شعور قاس بالذنب، كانت تُدرك أن خذلان قلب شخص هو أصعب ما يمكن أن يقوم به المرء في حياته، ولكنها لن تعطيه مشاعر زائفة.

أما هو فقد ظل صامتاً كلوح من الصخر دون أن تصدر عنه أى ردة فعل، وكأنما تحول إلى تمثال لا يظهر على وجهه أى انفعالات.

*****

جلس "علاء" في غرفته بالمسرح وهو ينظف الكمان الخاص به، ثم سمع صوت طرقات على الباب دلفت بعدها "رضوى"، وتوجهت إلى أقرب مقعد وجلست عليه، نظر إليها بتعجب فعاجلته بالقول:

- عارفة إنك مش متوقع إنى آجي، بس كنت محتاجاك في كلمة.

وضع قدمًا فوق الأخرى مبتسمًا بركن شفتيه ابتسامة ساخرة وهي تقول:

- علاقتك بـ "رفعت" اليومين دول في أحسن حالاتها بعد الحفلة، وانا عاوزة منك خدمة.

لم يعقب وهى تستطرد:

- عاوزاك تعرف من "رفعت" ليه "أكرم" مشي من الفرقة، إيه اللى حصل بالظبط؟ علشان نحل سوء التفاهم.

اعتدل في جلسته وتبدلت الابتسامة الساخرة نظرة جمود شملت ملامحه كلها وهو يسأل:

- وجاية لى ليه؟

- كلامك آخر مرة حسسنى إنك اتغيرت، وانا مش لاقية حد غيرك يتكلم مع "رفعت".

قال بلهجة باردة:

- اتكلم مع "رفعت" علشان "أكرم"؟

لم ترد فاستطرد بسخرية واضحة:

- بسيطة أكلمه وأخليه يرّجع "أكرم" الفرقة وممكن يمسكها بداله، أو فيه اقتراح تانى، "أكرم" يرجع وانا اللي أمشى من الفرقة أو أبطل مزيكا خالص، إيه رأيك؟ كده حلو؟

لم ترق لها لهجته الساخرة فقالت:

- لو هتفضل تتريق يبقى اعتبرنى ماقولتش حاجة.

أطلق ضحكة عالية هاتفًا:

-ماينفعش ماتريقش على كلامك، ده أحلى نكتة ضحكتني من فترة، جاية لي أساعد "أكرم"، مع إنك قبل الحفلة ماكنتيش بتبصي في وشي.

- انا كنت بتعامل معاك طبيعى، وبعدت شوية لما انت فكرت نرجع.
رد بأسلوب ساخر:
- مبرر مقنع انك تيجي تطلبى منى أساعد "أكرم"، اقتنعت.
ضاقت ذرعاً بأسلوبه الساخر فقالت في حدة:
- كنت فاكرة لما طلبت ترجع إنك بقيت بنى آدم وبتقدّر المشاعر، بس واضح إنك برضه كنت عاوز ترجع حب امتلاك، مااتغيرتش.
نهض وهو يهتف بحدة:
- انتِ لازم تفهمي إن حتى لو كنت باحبك مش هاعمل حاجة علشان واحد خدك منى، وبرضه لو فاكرة إنى هاضعف قصادك تبقى غلطانة، انتِ اللي هتضعفي وتركعي لي وتحاولي ترجعي لي ومش هتعرفي.
- عمره ما هيحصل، انت ميت من جواك ماتعرفش يعني إيه مشاعر، كل اللي عاوزه تثبت لنفسك إنك أحسن واحد.
صرخ فيها بغضب:
- مش محتاج اثبت، انا أكتر واحد استحقك عشان ناجح، انا اكتر واحد استحقك لاني دلوقتي احسن من أي حد في الدنيا
- متهيأ لك، انت عمرك ما كنت أحسن حد.
نهض من مكانه وهو يصرخ بغضب هادر:
- انا احسن من أي حد، انا مختلف عنكوا، انتوا ضعفاء كلكوا.
- "أكرم" عنده مشاعر وعمره ما جرح حد.

- المشاعر دي آخر حاجة لازم أفكر فيها، وجودها هيعطلنى، المشاعر دي للناس الضعيفة اللي ماوصلوش للهدف، الهدف اللي يخلي المشاعر دي صفر جنب مكاسب الحياة.

نظرت له غاضبة:

- المشاعر دي للبني آدمين، اللى ماعندوش مشاعر بيبقى زى الترابيزة، ومتشكرة على الكلام اللطيف، انا غلطانة إني افتكرتك بنى آدم وجيت اتكلم معاك.

قالتها وخرجت من الغرفة مسرعة، وفي أثناء خروجها ارتطمت بـ "ياسمين" التى كانت تستعد للدخول إلى غرفة "علاء" بدورها فتساءلت:

- إيه اللى حصل؟

أجاب بلامبالاة:

- مش مهم تعرفي.

- حاولت ترجعلها تانى؟

رد تلك المرة بأسلوب عصبي:

- قلت مش مهم تعرفي، عاوزة إيه؟

نظرت إليه وهى تقول بحذر:

- من بعد الحفلة "أكرم" مختفي ماعرفش عنه حاجة، ومش عارفة أعمل إيه؟

نظر لها وعقله يحمل نشوة رهيبة، وإحساسًا لا يضاهى بالنصر، فقد صار متحكماً في الأحداث وفي كل الأشخاص وهو ما يجعل العديد من الأمور أكثر سهولة؛ فقد كان يرى أنه من الرائع أن تصير كل الخيوط في يدك لتتحكم في

كل شيء، فهو لم يعد يتحكم فقط في الأمور، بل في طريقة تفكير من حوله وربما في مشاعرهم، وحينها يصل إلى مبتغاه.

*****

ارتدى "أكرم" ملابسه في هدوء وهو يستعد للخروج لملاقاة "رضوى"؛ كان يحتاج أن ينسى حالة الغضب التى لازمته منذ يوم الحفل، وكان السؤال الذى يشغل تفكيره هو لماذا؟ لكنه كان يدرك أنه لا يوجد من يمكن أن يساعده لمعرفة الإجابة، ثم فجأة قفز إلى ذهنه اسم شخص غاب عنه طويلاً، فقفز نحو هاتفه المحمول في لهفة وهو يتصل بذلك الشخص، ومرت ثوان قليلة حتى سمع صوت الشخص الآخر:

- أيوه يا "أكرم" إزيك؟

- الحمدلله يا "عمر"، انا عاوز أشوفك، فيه كافيه في مصر الجديدة انا رايحه دلوقتي، هاوصفه لك ونتقابل هناك كمان ساعة.

وصف له المكان وأغلق الخط وقد نما بداخله أمل بأنه سيعرف الحقيقة بعد قليل، ولكن ما قفز إلى ذهنه في تلك اللحظة هو أنه إذا كان ما توقعه بشأن "علاء" صحيحاً، فإن كثيرًا من الأشياء سوف تتغير.

*****

جلس "ممدوح" في صالة شقة متواضعة لا تحتوى سوى على أريكة متهالكة وبعض الكراسي الخشبية، كان يبدو أنه لا يسكنها أى شخص بسبب حالتها المتهالكة، وظل "ممدوح" ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى وكأنه ينتظر وصول شخص ما.

أشعل سيجارة ظل ينفث دخانها في توتر وهو ينظر إلى الساعة في الدقيقة آلاف المرات، وفي كل مرة ينفث دخان سيجارته كان ينفث معه غضب عارم في داخله، كان وجود "علاء" بالنسبة له مقلقاً. فرغم كل ما حقق من منافع بالنسبة لـ"فتحي" إلا أن جزءا مظلمًا كامنًا بداخله يُصدر تحذيرًا بشأن "علاء"، تحذيرًا يجعله دوماً يتعامل معه بحذر وحدة، ولكن في النهاية هو مجرد إحساس.

ومن وسط دخان سيجارته ارتفع رنين هاتفه فنظر إلى اسم المتصل ونفث بغيظ قبل أن يرد، ويستمع إلى محدثه لثوان ثم يغلق هاتفه ويطفيء سيجارته وهو يتوجه نحو باب الشقة خارجاً في هدوء.

*****

لم تشعر "رضوى" بتوتر مثلما شعرت في تلك الدقائق عندما أخبرها "أكرم" أن "عمر" سيأتى ليعلم منه سبب قرار "رفعت".

كانت بعد حديثها مع "علاء" قد زاد بداخلها شعور قوى بأنه هو سبب ما حدث، وهذا ما كانت تخشاه وبشدة، وزاد توترها عندما وصل "عمر" وظلت صامتة خلال حديثه مع "أكرم" الذى بدا متلهفاً لمعرفة الحقيقة فسأله مباشرة:

- عاوز أعرف منك انا مشيت من الفرقة ليه؟

ظهر التوتر جلياً على ملامح "عمر" فاستطرد "أكرم":

- انا شوفتك يوم الحفلة قاعد مع "رفعت" وبعدها انت قومت، أنا عارف إن "رفعت" بيثق فيك، وأكيد قال لك أي حاجة، علشان كده سألتك لأنى محتاج ارتاح.

- مش كل الحقايق بتريح يا "أكرم".

- بس بتحتاج تعرفها، على الأقل علشان تعرف الغلط فين.
شعر "عمر" بحيرة في أمره، فكيف يخبره الحقيقة وقد يؤدى ذلك إلى انفجار بركان بينه وبين "علاء"، فحاول أن يخبره بنصف الحقيقة فقط فأخذ نفساً عميقاً وهو يقول:
- "رفعت" افتكر إنك اتضايقت إن "علاء" عمل حفلة وابتدا يكبر في الفرقة، خاف ان الغيرة تخليك توصل إنك تأذى الفرقة بأي شكل.
- "رفعت" عارف إنى باحب الفرقة وماقدرش أعمل كده.
- انا مستغرب ومش فاهم هو اقتنع بالكلام ده إزاى، علاقتك بيه ماتخليهوش يصدق الكلام ده.
- كلام !!! ومين قال له الكلام ده؟
شعر "عمر" بتوتره يزداد، وهو يحاول تحسس الكلمات ولكن "أكرم" لم يمهله الوقت فقال:
- "علاء" اللي قال له؟
بدت التوتر على عيني "عمر" وهو يحاول أن ينكر:
- لا مش "علاء"، مااعرفش مين.
كانت محاولة يائسة للإنكار إلا أن لهجته لم تكن مقنعة بالنسبة له هو شخصياً، فقام "أكرم" من مكانه واندفعت "رضوى" قائلة:
- سيبه مش مهم.
- دى مش غلطته الأولى يا "رضوى"، لازم أواجهه علشان يقف عند حده قبل ما يأذى حد تانى.
قالها واستطرد وهو يندفع خارجاً:

- شكراً يا "عمر"، روحي يا "رضوى".

اندفعت خلفه وقلبها يخفق في خوف، فحديثها الأخير مع "علاء" جعلها تتأكد أن أى صدام يحدث بينه وبين "أكرم" سيحمل عواقب وخيمة، كانت تريد حماية "أكرم" من تلك المواجهة. فكم يكون صعباً عندما تجد من تحب يتوجه نحو من قد يؤذيه، كم هو صعب أن تقف عاجزاً لا تستطع مساعدته ولا احتواءه ليصبح فريسة للغضب والرغبة في الانتقام، لم تكن ترى أمامها سوى صورة "أكرم" وهى تعدو خلفه محاولة إيقافه، ولكنه كان مندفعاً بشدة لم يلتفت إليها أو لصوت "عمر" الذى لعن نفسه ألف مرة على ما قاله.

واصل "أكرم" اندفاعه ولم يلتفت إلا عندما سمع صوت صرير عجلات سيارة أعقبه صوت صراخ أنثوى انتهى بصوت ارتطام جسد في الأرض مصحوب بشهقات المارة، والتفت ليجد سيارة تبتعد مسرعة وجسد "رضوى" مسجى على الأرض يسبح في بركة من الدم الأحمر القاني.

*****

الدم !!

ساذج هو من يظن أن لا شيء يتغير؛ فكل شيئ قابل للتغيير، الأحداث، المشاعر، الشخص القوي قد يصبح ضعيفاً، ورقيق القلب من الممكن أن يصبح قاسي المشاعر، كل منهم قد يحدث له في حياته ما يغيره للأبد. وذلك ما حدث مع "أكرم" الذي تحول في ٥ أشهر إلى شخص آخر، تغير فيه كل شيء.

٥ أشهر مضت منذ وفاة "رضوى" في حادث السيارة، والذي كان بمثابة القشة الأخيرة التي جعلته يفقد كل شيء بداخله بالتدريج حتى صار شخصًا آخر، وكأنه تم استبداله.

كان إحساسه بالذنب يقتله في كل ليلة، ويطارده كأسوأ كوابيسه، كان يشعر أنه المتسبب في قتلها، ظل الإحساس يراوده حتى فقد بداخله كل شيء حيًا، فأصبح يكره عزف الموسيقى، بل إنه أصبح يكره سماع صوتها، وكأنما يُحمل الموسيقى جزءًا من الذنب بأنها جعلته يتهور ويتسبب في وفاة من يحب.

ابتعد خلال الـ٥ أشهر عن العزف تماماً، واتجه إلى العمل في خدمة العملاء بإحدى الشركات متجاهلاً كل ما كان يحلم به من قبل، لا يضع بالاً لما يحدث أو لما سيحدث، الزمن توقف بالنسبة له منذ وفاة "رضوى" تاركاً في قلبه جرحا غائرا لن يندمل.

صارت أكبر مأساة بالنسبة له أنه يعيش بدونها، بل أنه كان يشعر أن عذابه يتمثل في كونه مازال حياً لأنه لا يريد الانتحار وخسارة الجنة؛ فهو يدعو الله أن يدخل و"رضوى" الجنة ليحيا معها ما لم يحيه على الأرض.

وكما أن هناك من يصبح ضعيفاً ويتهشم في مواجهة الأحداث الكبرى، فهناك من يتمكن من البقاء متماسكاً رغم كل ما يحدث، مثلما كانت "سارة"؛ فرغم

أنها لم تفقد "رضوى" فقط، وإنما فقدت أمها أيضاً بعدها بأسبوعين، إلا أنها تماسكت وتمكنت من البقاء.

هى نفسها لا تدري كيف تحملت هاتين الصدمتين معاً، حتى أنها باتت تظن أنها فقدت كل الانفعالات داخلها، وصارت كإنسان آلي، لايأتى أى انفعال ولا يتأثر بأى أحداث.

ولكنها كانت أقوى، بقيت صامدة حتى تشعر روح والدتها وروح "رضوى" بالراحة، كانت تتمنى أن ترتاح الأرواح التى أحبت، فصارت أقوى من أجلهم؛ فأحياناً لا يستمد الإنسان قوته من داخله وحسب، بل قد يستمدها من أحبته، لأنه يُدرك كم سيكونون سعداء عندما يكون قوياً.

*****

جلست "ياسمين" صامتة أمام "علاء" الذي بدا منشغلاً غير مهتم بوجودها ويكاد لا يشعر بها، كانت "ياسمين" تملك العديد من المشاعر المتناقضة، فكم حزنت لوفاة صديقتها "رضوى" ولكن جزءًا خفيًا بداخلها كان يشعر بالسعادة، وكان هذا ما يزعجها ويثير حيرتها؛ فقد كانت تشعر بالسعادة بعد أن أصبح جزء منها يفكر أن الطريق أمامها نحو "أكرم" صار خالياً ممهداً، وهو ما يجعلها تصل إلى ما كانت تريده وتتمناه.

كانت تدرك مدى غرابة أن أكون حزيناً على شخص ما وبنفس الوقت يكون موته هو ما يحقق لى السعادة، فكم هى غريبة تلك الحياة عندما تجدها في بعض الأحيان تعطيك سعادة تحققت بسبب الحزن.

لم تكن تتفهم ذلك، وبقيت حائرة لتجد أنها بدأت في الابتعاد عن "أكرم" دون أن تدرك، وهو الأمر الأغرب حين نجد أننا نفقد رغبتنا في الوصول للشيء

عندما تواتينا الظروف. هل تريد الوصول إلى "أكرم" الآن أم لا؟ هل مازالت تتمنى أن يحبها كما أحبته؟

لم تتوقف لحظة واحدة منذ ٥ أشهر عن التفكير في تلك الأسئلة حتى طرأ عليها سؤال آخر، هل كانت تحب صديقتها بالفعل أم أن وجودها في حياتها كان غير مهم؟ هل كانت صديقة حقيقية أم أنها كانت هي من تستحق الموت وليس "رضوى"؟

هزت رأسها بعنف حينما وصلت إلى تلك النقطة ثم نظرت نحو "علاء" وتنحنحت في هدوء لتلفت انتباهه وهى تسأله:

- تفتكر احنا غلطنا؟

نظر لها بدون رد فعل وهو يسألها بدوره:

- غلطنا في إيه؟

- لما اتسببنا أن "أكرم" يسيب الفرقة.

أجاب بلا أى انفعالات:

- ده اللي كنتِ عاوزاه علشان يبعد عن "رضوى" ويبقى جمبك.

- بس أنا خنت صاحبتى وخنت ثقته فيَّ باللي عملته.

زفر في ضيق وتحرك من مكانه نحوها وهو يسأل بلهجة بدت لها تحمل نبرة من السخرية:

- بتفكري في الكلام ده بعد ٥ شهور؟

- بافكر فيه كل يوم من ساعة ما خلتني اقول لـ "رفعت"، وكل ساعة من يوم ما ماتت "رضوى".

- ماغلطناش، الغاية تبرر الوسيلة.

- الوسيلة بتاعتنا كانت مؤذية.
اقترب منها أكثر وهو يقول ببرود:
- ماسبناش أذى لحد، "أكرم" مشي من الفرقة؟ ده عادى وكان هيحصل في أي وقت، موت "رضوى" وكل اللي حصل بعد كده مالناش علاقة بيه، ده قدر.
نظرت له بدهشة وهي تقول:
- موقفنا غريب، انت نفسك غريب يا "علاء"، كنت بتقول إنك بتحب "رضوى"، بس انا ماشوفتش ده لما هي ماتت؛ انا شايفاك طبيعي، اختفيت يومين ورجعت عادي.
ظل ينظر إليها صامتاً لدقيقة ثم جلس على الكرسي المقابل لها، وبدأ يجهش ببكاء مصطنع وهو يقول بلهجة مسرحية:
- "رضوى" ماتت خلاص مش هاقدر أعيش، أنا لازم أسيب شغلى وأدمر حياتى، مش هاعيش من غيرها، انا هاموت نفسي، الموت عندى أهون ولا إني أعيش من غيرها.
توقف عن الكلام وهى مازالت تنظر إليه بدهشة فاستطرد وهو يستعيد هدوئه:
- ده اللى عاوزة تشوفيه، اتشحتف زي النسوان وأبوظ حياتى علشان أبقى باحب "رضوى".
- ماقولتش كده بس...
قاطعها بصرامة:
- كلامك بيقول كده، عاوزة تشوفي الضعف، ماحدش هيستفيد من الضعف

ده حاجة وانا مش باحب الضعف ولا إني أكون ضعيف.

- ماقولتش تبقى ضعيف، بس انا ماحسيتش إنك اتأثرت.

- "رضوى" كانت رفضتنى تانى، وانا ماعنديش وقت أضيعه في مشاعر، انا عندي طموح وحلم أهم من أي حاجة تاني، ولو شايفة إننا آذينا حد عاوز أفكرك إن "رفعت" راح لـ"أكرم" من أسبوعين وطلب منه يرجع وانا اللي كنت قايل له، و"أكرم" هو اللي رفض إنه يرجع ولا ناسية؟!

- فاكرة.

- انتِ كل اللى فيه علشان مش عارفة تبعدى عن "أكرم" ولا لأ، وانا متأكد أن دي مشكلتك كلها.

هزت رأسها ببطء فأكمل:

- روحي له وخليكِ جنبه، مش هيرفض وجودك، دي مش خيانة لصاحبتك، بالعكس انتِ هتخليه مبسوط ودي حاجة هي كانت بتتمناها، عوضيه غياب "رضوى".

بدأت في الاقتناع وهى تجيب:

- عندك حق، انا هابقى جنبه.

- جميل، نركز في الشغل ورانا حفلات كتير الفترة الجاية، وأستاذ "رفعت" راجع من السفر عاوزينه يجي يلاقى كل حاجة جاهزة.

هزت رأسها بالموافقة وتوجهت إلى الخارج، وظل يراقبها حتى خرجت من الغرفة وزفر في ضيق ليرتفع صوت الهاتف فنظر إلى اسم المتصل ثم ابتسم ساخراً وهو يرد:

- فتحي باشا والله واحشني.

أجابه "فتحي" بضحكة طويلة قائلاً:
- أمال مختفي ليه؟
- كنت جاي لك النهارده، عندى ليك حاجة مهمة ، استناني.
أنهى المكالمة وابتسم في جذل وهو يحدث نفسه:
- ومحتاج أكمل اللي ابتديته معاك يا "فتحي".

*****

جلست "سارة" منهمكة في عملها لاتلتفت حتى إلى الساعة لترى إن كان حان وقت الرحيل أم لا، فهى تدرك أن الرحيل في أى وقت لن يصنع فارقاً؛ هى تحتاج للعمل حتى لا تقع فريسة للأفكار الحزينة، ولم يقاطعها سوى صوت شخص ينقر على المكتب وهو يقول بهدوء:
- أستاذة "سارة" تسمحيلى بكلمة.
نظرت نحو صاحب العبارة ثم ابتسمت وهى تقول:
- "محمود"!!
بادلها الابتسام وهو يقول بلهجة هادئة:
- مابشوفكيش، جيت أطمن عليكِ وأعزمك على الغدا، عندك مانع؟
صمتت لثواني مفكرة ونظرت إلى ساعتها ثم أجابت:
- لأ، ممكن أنزل معاك دلوقت.
تحركا إلى الخارج حتى نزلا لاستقلال سيارته وهى تنظر نحوه بصمت.
كانت تشعر نحوه بامتنان وشكر؛ فهو لم يفارقها منذ ما حدث مع "رضوى" ووالدتها، كان دائماً موجوداً يمدها بالقوة ويلبى نداءها متى احتاجته.
ابتسمت وهي تتذكر لقاءها الأول بـ"محمود"، كم يتغير فهمنا للأشخاص

بمرور الوقت، فمن نظنه شخصًا من الصعب أن يكون ضمن قائمة أصدقائنا يتحول إلى أفضل صديق لا يمكن الاستغناء عنه، فالأفعال تتكفل بتغيير رؤيتك وإحساسك بالأشخاص. الانطباع الأول يدوم ولكنه لا يكفي أبداً للحكم على شخص، فهو قد يعطى في بعض الأحيان صورة مغايرة لما يحويه قلب الشخص.

الانطباع الأول نرى فيه ما تحول إليه الشخص بفعل المجتمع وما حوله، أما ما نراه بعد ذلك فهو الشخص الحقيقي الذى سيكون معنا دوماً.

غرقت "سارة" في أفكارها تلك حتى أنها لم تنتبه إلى أنهما وصلا أحد المطاعم وجلسا فيه و"محمود" يقول:

- طلبت لك زى ما بتطلبى كل مرة.

- انت فاكر؟

- طبعاً، انا ظابط، باعشق التفاصيل.

نظرت له بامتنان قائلة:

- مابقتش لاقية كلمة مناسبة أشكرك بيها.

- انا مابعملش حاجة.

- كفاية إنك بتسأل عليَّ على طول، خلاص ماليش غيرك انت و"أكرم".

- هو "أكرم" عامل إيه دلوقتى؟

هزت رأسها بأسف مغمغمة:

- مش كويس، حالته بتسوء كل يوم، انا قدرت أعيش، لكن هو لسة، حاسس بالذنب، شايف أن هو لو ماكنش قام وساب "رضوى" ماكنتش جت وراه وحصلت لها الحادثة.

- ياريت كنا نقدر نوصل للي عمل كده كان "أكرم" هيرتاح.

- انت و"عيسى" عملتوا اللي عليكو، بس عربية مسروقة هتجيبوا منين بقى اللي كان سايقها.

- مسيرنا هنعرفه.

حاولت أن تغير دفة الحديث فقالت:

- قولى بقى انت جاي لى ليه؟ فيه قضية تانية؟

- لأ، أنا فعلا كنت عاوز أطمن عليكِ، وانتِ مابقيتيش تيجي المكتب عندي زي الأول.

- من ساعة قضية "كامل" ما اتقفلت مافيش مبرر إنى آجى.

- مين قال لك انها اتقفلت؟

ملأت الحيرة عينيها وهى تتساءل:

- انت مش قلت القضية هتتقفل على انها انتحار؟!

- اتقفلت رسمي، بس بالنسبة لِيَّ أنا بدور لسه على تفسير لكل حاجة مقدرتش أفسرها.

- ولو لقيت تفسير؟

- ساعتها هاحاول أفتحها تاني، بس يبقى عندي دليل قوي يخلي ده يحصل، فيه حاجات كتير ماتحلتش في القضية وأهمها جثة "كامل" اللي اختفت، بس طبعا علشان قفل ملف القضية جه بأمر من فوق فالموضوع اتطرمخ، لو لقيت دليل قوي وقتها هيسبونى أشتغل تانى براحتي.

- و"فتحي"؟

- ده جبان مايهمنيش، انتِ ليه بطلتِ تكتبي عنه؟

- تقدر تقول بآخد أجازة من كل حاجة.
هز رأسه متفهماً فسألته مرة أخرى بفضول:
- انت عندك حاجة ممكن تبقى دليل يفتح القضية؟
أجاب وهو يُعدد الأسباب على أصابعه:
- آه بس لو لقيت تفسير، أول حاجة الجثة، صورة الراجل اللي بجناحين اللي بيعزف على كمان اللي ورتهالك واتبعتت لي في جواب.
صمتا بعد تلك الجملة وبدءا في تناول الطعام وعقل كل منهما يحمل الكثير من الأفكار، كانت "سارة" تشعر أن "محمود" مازال لم يتجاوز فكرة الفشل في حل قضية "كامل"، بل حتى يرفض الاعتراف بذلك الأمر. فمازال يفكر في بعض الأشياء التي قد تبدو بالفعل غريبة، ولكن عدم وجود أى تفسير لها حتى الآن يجعل مجرد التفكير فيها نوعا من أنواع العبث.
بالتأكيد جثة "كامل" لم تختفِ، وهناك تفسير لما حدث، والرسم الخاص بالكمان من الممكن أن يكون مجرد طريقة للفت الانتباه لا أكثر، فذلك الرسم لم يظهر له أى أثر يوحى بأهميته، أو حتى كونه يشير إلى شيء...
قاطعها صوت هاتف "محمود" الذى رد سريعاً وعلى ملامحه الانتباه ووصف للمتحدث مكان وجوده ثم أغلق الهاتف فسألته "سارة" بتوتر:
- ماله "عيسى"؟
- كان بيسألنى انا فين علشان عاوزني، وقال لي مش هينفع يقول حاجة في التليفون.
- تفتكر فيه حاجة جديدة؟

مط شفتيه بحيرة حقيقية، وانشغل كل منهما في بحر هائل من الأفكار والاحتمالات التي يبدو أنها لن تنتهى أبداً!!

*****

سار "علاء" بخطوات واسعة في حديقة فيلا "فتحي" الذي استقبله بابتسامة واسعة قائلاً:

- أهلاً بالموسيقار الكبير.

- قربت آخد اللقب ده خلاص.

- واثق في نفسك.

ابتسم "علاء" وهو يقول:

- كل ما بتبقى واثق في إمكانياتك وفي اللي معاك هتحقق نجاحك أسرع.

- وانا نفسي أعرف إيه اللي معاك.

نظر إليه متسائلاً:

- قصدك إيه؟

- انت عملت حاجات كتير قوى مش فاهم انت عملتها إزاي، قلت لي رؤساء "محمود" هيخلوه يقفل قضية "كامل" ويبعد عني وده حصل فعلاً، قلت لي الصحفية "سارة" هتبطل تكتب، وبطلت تكتب فعلاً، بس ماعرفش كل ده حصل إزاى؟

أجابه بلهجة ساخرة:

- دى حاجات مش مهم تعرفها، خلينا في النتايج أحسن، ده سؤال هيعطلنا.

- بس أنت ماجاوبتنيش على أهم سؤال، "كامل" عايش ولا لأ؟

نظر إلى السماء وهو يقول بأسلوبه الهادىء المستفز:

- لو هتفرق معاك علشان خايف حد يعرف الأسرار اللي كانت بينكم انا باطمنك ماحدش هيعرف عنها حاجة غيري.

- "علاء" بلاش الطريقة دي وقول لى إجابة.

صمت "علاء" قليلاً قبل أن يهتف:

- صدقنى ماعرفش إن كان مات ولا لأ.

بدأ "فتحي" ينفعل وهو يسأل بحدة:

- أمال جثته راحت فين؟

- البوليس نفسه ماعرفش واتقيدت انها اتسرقت وماتمش الاستدلال عليها، يبقى انا اللي هاعرف؟!

- هيفضل السؤال ده محيرني دايماً.

- طول ماانا موجود انت في أمان، وانت جربتني.

بدأ "فتحي" يهدأ تدريجياً وهو يهز رأسه موافقاً، ثم سأل:

- جاي ليه؟

عاد "علاء" بظهره إلى الخلف بثقة واضحة وهو يقول:

- مش جه الوقت علشان ترتاح من "ماجد"؟

لمعت عينا "فتحي" وهو يسأل:

- ناوي على إيه؟

- نكبر.

كرر "فتحي" الجملة بحذر:

- نكبر؟!

ابتسم "علاء" بسخرية وهو يقول:

- آه، مش هتستفيد لوحدك المرة دي، انا كمان هاستفيد وأظن ده حقى، انا قدمت لك خدمات ولسة ماخدتش المقابل بتاعها...

نظر إليه "فتحي" بضيق لثوانٍ، فقد أدرك الآن أن وقت الدفع حان، ولكن عقله كان يرى إنها فرصة كبرى، إنها واحدة من تلك الفرص التى تتاح للمرء مرة واحدة في العمر، فرصة للتخلص من سطوة "ماجد" للأبد، فرصة لا يمكن أن تضيع، فنظر إلى "علاء" متسائلاً:

- هتعمل إيه؟

أدرك "علاء" أن "فتحي" صار جاهزاً لإعطاء المقابل فابتسم مجيبًا:

- كمان يومين هاكون جهزت كل حاجة، وأفهمك.

- أسلوبك مستفز، اللي مصبرني انك بتنفذ كل حاجة قلت عليها.

- وده اللي يفرقنى عن أي حد.

قالها وانصرف وعلى فمه تتراقص ابتسامة انتصار، وفي طريقه للخارج قابل "ممدوح" الذي ما إن رآه حتى زفر في ضيق واضح، وألقى عليه التحية ببرود قبل أن ينصرف، ثم توجه نحو "فتحي" وهو يسأل:

- عنده جديد؟

- بس مش هيقول لي دلوقتي.

- طريقته سخيفة، كل يوم مابارتحش للواد ده اكتر.

- عرفت عنه حاجة بيعملها من ورا ضهرنا؟

- لأ.

- خلاص يبقى ماهاش لازمة عصبيتك ولا قلقك.

زفر في ضيق وهو يقول:

- ياريس انا ماشفتش حد بيعمل خدمات لحد من غير مقابل، يبقى حاجة تقلق ولا لأ؟

ابتسم "فتحي" بطرف فمه وهو يجيب:

- من الناحية دي ماتقلقش، هو قرر إن الخدمة الجاية هتبقى بمقابل، وأكيد هيطلب حاجة كبيرة، اللي زي الواد ده بيبصوا على أكتر حاجة تحقق لهم استفادة.

صمت "ممدوح" في حيرة فهو لم يفهم شيئاً ولكنه مازال غير مطمئن لوجود "علاء"، كيف يطمئن لشخص يظهر فجأة وهو يعلم الكثير ومع ذلك يختار الصمت دون سبب منطقي واضح أو...

قطع أفكاره صوت نداء "فتحي" له، فنظر ناحيته والأخير يسأله:

- أخبار "محمود" إيه؟

- سايب القضية رسمي، بس بيحاول من وقت للتاني ينكش على أي حاجة، وهو والبت الصحفية راسهم في راس بعض ولسة بينكشوا، من ساعة ما عرف أن انت و"كامل" كنتوا صحاب، وهو بيحاول يدور على أى حاجة توصله انتوا كنتوا تعرفوا إيه عن بعض.

صمت "فتحي" وهو يداعب ذقنه بسبابته مفكراً، فسأله "ممدوح":

- تؤمر بحاجة نعملها له؟

- لأ، بلاش نستفزه، إنما لو ابتدا يتحرك يبقى ساعتها هاخليك تتصرف معاه.

هز "ممدوح" رأسه بالإيجاب، ليوافق على انتظار إشارة "فتحي"، انتظار إشارة تحمل رائحة الدم والموت.

*****

جلس "علاء" على كرسي هزاز في صالة منزله الجديد الذي انتقل إليه مؤخراً وهو يحاول إراحة أعصابه.

كانت الشقة أكثر فخامة من شقته القديمة؛ لها صالة واسعة، تتوسط جدارها الجنوبى لوحة زيتية لشخص يعزف على آلة الكمان، وإلى اليسار من الجدار ردهة بها غرفتان، وفي الجهة المقابل الغرفة التي كان يعزف فيها.

كانت غرفة مبطنة لعزل الصوت عن الخارج، خالية إلا من كرسي هزاز وفوتيه دائرى الشكل، وبطرف الغرفة مكتبة ضخمة امتلأت بالكتب وبجوارها دولاب صغير كان يبدو أنه مخصص لحفظ الآلات الموسيقية.

تململ "علاء" في جلسته ونظر إلى ساعة الحائط ثم نهض من مكانه في هدوء وتوجه نحو الدولاب في غرفة العزف، وأخرج مفتاحًا كان مخبأ بعناية في ثنايا الفوتيه، ثم فتح به ضلفة الدولاب وأخرج صندوقا مألوف الشكل؛ ذلك الصندوق الذي أعطاه له "كامل" قبل وفاته.

تأمل الصندوق وأخرج منه النوتة الموسيقية وجلس على الفوتيه وهو يقرأها باهتمام بالغ، وفي نفس اللحظة سمع صوت جرس الباب فتوجه إليه ليرى من القادم، وما إن فتح حتى توقف مندهشاً وارتسمت على وجهه بعض علامات الانزعاج، فقال القادم بلهجة ساخرة:

- اتضايقت انك شفتني؟

- لأ يا "عمر"، بس اتفاجئت.

غمغم وهو يدلف إلى داخل الشقة:

- حقك تستغرب، أول مرة آجي لك شقتك الجديدة، بس انت ماادتنيش العنوان، أبقى صاحبك وآخد العنوان من "ياسمين"؟!

- انا نقلت من أسبوع بس فكنت لسه ماستقرتش علشان اقول لحد.
بدأ "عمر" في السير في الشقة وهو يقول:
- أكيد، بس شقة حلوة، مبروك، حققت جزء كبير من أحلامك.
- لسه المشوار طويل.
هز "عمر" رأسه بالإيجاب، وهو يواصل النظر في الشقة بشكل أثار غضب "علاء" فتحرك خلفه بعصبية هاتفاً:
- انت بتدور على حاجة؟ مالك بتلف كده ليه؟
نظر إليه "عمر" بهدوء مغمغماً:
- اتوترت ليه؟ ما انا كنت باعمل كده في شقتك القديمة وكنت بتسكت؟!
- مش متوتر بس عندي ميعاد ومش عاوز أتأخر.
تجاهل "عمر" قوله وهو يغمغم بعد أن وصل لغرفة العزف:
- حلوة قوى الأودة دى، شكلك بتعزف فيها، بتفكرنى بأودة أستاذ "كامل" الله يرحمه.
- أيوه زيها، انت ناسي إنه كان أستاذى.
هز "عمر" رأسه بالإيجاب، ثم التقطت عيناه الصندوق القديم الخاص بـ"كامل"، فتوجه ناحيته وهو يهم بالإمساك به متسائلاً:
- إيه ده؟
قطع "علاء" طريقه ووقف بينه وبين الصندوق مجيباً بلهجة يشوبها الغضب:
- ملكش دعوة.
- فيه سر مش عاوزني أشوفه؟
- كل واحد عنده حاجات خاصة بيه مش عاوز حد غيره يشوفها.

تبادل الاثنان نظرات متحدية فسأل "علاء":
- جاي ليه؟
- أسأل على صاحبي.
نظر إليه "علاء" وهو يقول باستنكار:
- صاحبك!!! صاحبك اللي بِعت عشرة السنين واتخانقت معاه علشان واحد زي "أكرم"، واللي قاطعته من ساعة ما "رضوى" ماتت، فعلاً واضح إني صاحبك قوي.
- أيوه باسأل على اصحابي، بس هو المفروض أقول انا بادور على صاحبي يا "علاء"، صاحبي اللي اتغير واتحول للإنسان اللي قدامي ده.
احتد "علاء" وهو يقول:
- اتغيرت، كل حاجة وكل إنسان بيتغير، بس انا اتغيرت للأحسن وبقيت من أكبر الموسيقيين في البلد، وانت كرهت إني أنجح أكتر منك علشان كده شايف إنى اتغيرت، وعاوز تثبت أن انت ملاك وكلنا شياطين مش كده؟
رد "عمر" بلهجة جافة:
- انت شايف أنك طبيعى وانا اللى ظالم!! أفكرك، انت قلت لى إنك السبب في طرد "أكرم" من الفرقة وقلت لي إنك بتحقد عليه، فاكر ولا ناسي؟
- لا مش ناسي، انت قلت لي أكون إنسان، المفروض بقى انا إنسان وعندى مشاعر ومن حقى أحب أو أكره، كل إنسان عنده مشاعر حب أو كره هو مالوش دعوة بيها
- الحب من عند الله، الكراهية والحقد والحسد من صنع نفس الإنسان، سببها الخطايا اللي بيعملها في حياته، ربنا ادانا مشاعر الخير، كل الشر اللي بيطلع ده

جاي من نفسنا إحنا.

- هافتكر كلامك يا حضرة الواعظ، بس انا عندى مواعيد ومش هاقدر أطول معاك عن كده.

نظر إليه "عمر" بغضب فتحرك معه "علاء" خارجاً، وخرج الأول من باب الشقة في غضب.

وصفق "علاء" الباب بغضب بدوره وتوجه سريعاً إلى غرفته وهو يرتدى ملابسه على عجل.

*****

دلف "عيسي" إلى المطعم وأشار إليه "محمود" فأسرع إليه وجلس صامتاً يلتقط أنفاسه قبل أن يسأله "محمود" بتوتر:

- فيه إيه؟

- ماعلش انا كان لازم آجي لك بسرعة.

ربتت "سارة" على كتفه وهى تقول:

- اهدى بس وقل اللي حصل؟

بدا توتر "عيسي" يزداد وهو يخرج ورقة من جيبه أعطاها لـ"محمود" الذي ما إن قرأ ما فيها حتى انفجرت عروق وجهه من الغضب مما أثار قلق "سارة" و"عيسى" يقول:

- الجواب ده اتبعت النهارده لـ"محمود".

وقبل أن تتساءل عن فحوى الخطاب كان "محمود" يلوح بالخطاب وهو يقول:

- تهديد، مكتوب (الاتفاق بتاع يوم الحفلة مش ماشي كويس، ده آخر تحذير)، "فتحي" بيكرر تهديده يوم الحفلة، بس عرف منين إنى لسه بادور ورا القضية.

- يمكن بيراقبك.

- طيب يلا بينا، لازم تروحى بيتك يا "سارة"، وانا و"عيسي" هنشوف إيه حكاية الجواب ده وأعرف هو بيراقبنى ولا في حد بينقله أخبارى.

- ماحدش يعرف انت بتعمل إيه غيري.

- ماقصدكش انت، أكيد فيه حد غيرك يا "عيسي" وانا هاعرفه.

انطلق ثلاثتهم إلى الخارج بتوتر، متوجهين نحو السيارة، وفجأة انطلقت رصاصة من إحدى البنايات ليتردد دويها عاليًا؛ تلفت "محمود" حوله في توتر باحثاً عن مصدرها، ولكن صراخ "سارة" باسم "عيسي" ارتفع، فالتفت "محمود" ليراه وقد خفتت حركته بشدة وسط بركة من الدماء.

*****

فتح "رفعت" باب منزله وشعر بقدر هائل من الاندهاش عندما رأى "علاء" أمامه ممسكاً بحقيبة الكمان واقفاً بهدوء وعلى وجهه ابتسامة واسعة فدعاه إلى الدخول وهو يتساءل بدهشة:

- عرفت منين إني رجعت من السفر النهارده؟

ابتسم "علاء" وأجاب:

- قلت لي على معاد رجوعك، بس انا عارف إنك هتضطر تيجى النهارده.

كرر "رفعت" الجملة بدهشة:

- عارف!! عارف منين؟

- إحساس، اقعد انا كنت عاوزك.

كانت إجابة غير مقنعة بالمرة، ولكن "رفعت" جلس في هدوء وكأنما ينتظر أن يستطرد "علاء" في الحديث ويشرح له كيف علم بقدومه؛ ولكنه وجد "علاء"

يُخرج الكمان الخاص به من الحقيبة وهو يقول:
- فيه مقطوعة جديدة عاوزك تسمعها وبعدين أحكي لك.
- بس انا مستغرب انك جاي بثقة وعارف اني هنا.
احتد "علاء" وهو يقول:
- اعتبرنى باراقبك، المهم تسمع المقطوعة دي.
نظر له "رفعت" بتعجب؛ فهو لم يعتد تلك اللهجة من "علاء" فقال له بعصبية:
- انت اتجننت يا "علاء"؟
نظر له "علاء" لثوان ثم أطلق ضحكة عالية وهو يقول:
- شفت إزاى ممكن تتغير عليَّ في لحظة غضب.
لم يفهم "رفعت" مقصد "علاء" فظل صامتاً واستطرد الأخير:
- ده اللي عاوزك تفهمه، إن الإنسان لما بيغير معاملته مع حد بيبقى معظم الوقت الطرف التاني هو السبب، مافيش حد بيتغير على حد من غير سبب.
- انا مش فاهم حاجة.
- كنت باخليك تفهم إني لو اتغيرت عليك يبقى انت السبب.
بدت علامات الحيرة على وجه "رفعت" وهو يقول:
- "علاء" انت دلوقتي الراجل التاني بعدي في الفرقة، اتغير عليك إزاى وانت ليك حق تاخد قرارات في غيابي.
- تخيل بقى لو في يوم انا بقيت أشهر منك، أكيد معاملتك ليَّ هتتغير.
نظر إليه بحنان أبوى وهو يقول:
- طبعاً لأ، انت تلميذى وهابقى مبسوط لو اتفوقت عليَّ.

هز "علاء" رأسه بأسف وهو يغمغم:
- ماحدش بيتمنى إن حد يبقى أحسن منه، ده انا هابقى أشهر منك، لدرجة إنى ممكن يبقى ليَّ فرقة لوحدى، ساعتها انت مش هتتحمل وجودي في الفرقة وتطردني زي "أكرم".
وضع "رفعت" يده على كتف "علاء" وهو يهتف متسائلاً:
- إيه اللي خلاك تقول كده؟ انا مش هازعل لو بقى ليك فرقة لوحدك.
- طبيعة الإنسان كده، وبعدين انا مش عاوز يبقى ليَّ فرقة لوحدي، انا عاوز الفرقة دى، اللي الناس عرفتني منها.
أزاح "علاء" يد "رفعت" من فوق كتفه مستطرداً:
- انا هامسك الفرقة وأريحك منها وأضمن إنك ماتتغيرش عليَّ.
نظر إليه بتساؤل، فنهض "علاء" وبدأ بالعزف على الكمان مواصلاً:
- دلوقتى انت و"بكر ثروت" أهم موسيقيين في مصر، مش هاعرف أكبر وسطكو، لازم تدوا فرصة للشباب.
- نموت يعنى علشان ترتاح؟!
قالها بتهكم وسخرية إلا أن "علاء" ابتسم ابتسامة واسعة وهو يقول:
- بالظبط.
اتسعت عينا "رفعت" في هلع وهو يقول:
- "علاء" انت اتجننت، انا ساعدتك تعزف قدام الناس و...
قاطعه "علاء" بقسوة:
- انت خلتنى أعزف علشان كنت هتستفيد مني، خلتني أعزف علشان الناس أما تعرفنى تشاور عليك ويقولوا ده اللي اكتشف "علاء داغر".

اتسعت عينا "رفعت" أكثر وهو يهتف بغضب:

- لأ يا معتوه، انا حاولت أساعدك بجد علشان اعتبرتك زي ابنى.

رد عليه "علاء" بلهجة صارمة قاسية:

- وانا عمرى ما اعتبرتك زى أبويا.

ومع تلك الجملة زاد "علاء" من سرعة عزفه، وظل "رفعت" جالساً ينظر إليه بهلع وكأنما يرى شياطين الدنيا تتراقص أمام عينيه، حاول أن يقف لمواجهة "علاء" ولكن قدميه خذلتاه، فجلس ونظرات الخوف تزداد على وجهه، ثم دفن وجهه بين كفيه، وسمع "علاء" صوت أنين يصدر من "رفعت"، أنين ألم ومعاناة وحزن، ظل يرتفع مع صوت الكمان، وظل "علاء" يعزف لدقيقة أخرى حتى توقف أنين "رفعت"، فتوقف عن العزف؛ وأعاد الكمان بهدوء إلى الحقيبة.

وتوجه نحو باب الشقة دون أن يلتفت خلفه ليخرج بهدوء تاركاً خلفه رائحة الموت تملأ المكان...

*****

نقطة ضعف

دخل "أكرم" إلى شقته بعد يوم آخر ممل في عمله الجديد، يوم آخر في مهنة لا يحبها، وسط أشخاص لا يشعر بالألفة نحوهم، يوم آخر يمر عليه وهو كالزومبي لا يشعر بمن حوله، بالنسبة له الحياة في مجملها لا معنى لها، فقط هو إنسان يتحرك بقوة الدفع، يرى في كل يوم يمر فرصة أكبر ليتناقص عمره، ويتمنى أن يكون مرور ذلك اليوم هو فرصة يقترب بها أكثر من الموت، الموت الذى صار أكبر أمنياته منذ وفاة "رضوى"؛ فهو لا يجد راحة في الدنيا، ويتمنى أن يجد ملاذه في الآخرة.

توجه إلى غرفة نومه لتغيير ملابسه، وما إن دخل الغرفة حتى نظر نحو صورة "رضوى" التي يضعها في إطار صغير بجوار فراشه، ثم ابتسم ابتسامة باهتة وهو يتحدث لها:

- وحشتيني، كان نفسي أحكي لك يومي، بس كان يوم ممل، دي أكتر حاجة ممكن أقولها.

جلس على الكرسي بإرهاق شديد، وظل نظره معلقاً بالصورة ينظر إليها بتركيز شديد، وعقله يسبح في أفكار خاصة بـ"رضوى"، تلك الفتاة التي كان قلبه يقفز بين ضلوعه فرحاً عند رؤيتها، الفتاة الوحيدة التي شعر بأنها تستحق أن يعطيها قلبه دون مقابل، وهي كانت دائماً تعطي قلبه ما يتمناه.

الإنسان قد يحب أكثر من مرة، ولكن هناك مرة من المرات تكون بالنسبة له هى كل شيء. تنهد تنهيدة طويلة وهو غارق في أفكاره، ثم قام من مكانه عندما سمع صوت جرس الشقة، وما إن فتح الباب حتى ابتسم وهو يقول:

- "ياسمين"، ليكِ وحشة.

- قلت اسأل عليك، من ساعة ما سيبت الفرقة وانت بعيد عننا ومابتسألش.
دعاها للدخول وهو يغمغم:
- بعدت عن المزيكا كلها.
قالت وهى تجلس:
- ماأنا عرفت، وعرفت إنك رفضت ترجع الفرقة.
- لو جاية علشان الموضوع ده يبقى أرجوكِ بلاش نتكلم فيه.
هزت رأسها نفياً وهى تتمتم:
- لا مش جاية علشانه، انا جاية علشان حاجة تاني.
قالتها وأخرجت من حقيبتها علبة ملفوفة في ورق الهدايا وأعطتها له وهى تقول مبتسمة:
- كل سنة وانت طيب عيد ميلادك بكرة، كنت عاوزة أبقى أول واحدة أقول لك.
نظر إليها بذهول قبل أن يقول:
- انتِ فاكرة إزاي؟
- ده مناسبة مهمة ماقدرش أنساها، افتح الهدية عاوزة أشوف هتعجبك ولا لأ؟
قال وهو ينظر إليها بامتنان:
- أكيد هتعجبنى، كفاية إنك افتكرتِ، ماحدش كان بيفتكر قبلها كده إلا "رضوى" الله يرحمها.
توترت ونظرت إلى الأرض بضيق، في حين فتح هو ورق الهدية ليجد علبة من القطيفة الزرقاء بداخلها ساعة أنيقة، فابتسم وهو يقول:

- عارفة إنى باحب الساعات، شكراً يا "ياسمين"، انتِ من الصحاب اللي طلعت بيهم من الفرقة.

كررت الكلمة في ألم:

- صحاب؟!

نظر إليها في عدم فهم فاستطردت:

- انت مش فاهم كل ده يا "أكرم"، مش واخد بالك من حاجة؟!

ظل وجهه يحمل نظرات عدم الفهم وهي تكمل:

- انا الفترة دي كلها باطمن عليك، وماسبتكش، وجاية قبل أي حد علشان عيد ميلادك، كل ده مش مخليك تحس بأي حاجة، مش مخليك تفهم أي حاجة، للدرجة دى قافل مشاعرك، للدرجة دي رافض تبص حواليك أو تحاول تفهم؟!

اتسعت عينا "أكرم" في فهم واضح تلك المرة، فقد أدرك ما لم تره عيناه أو يشعر به قلبه الذي لم يعرف أو يفهم سوى "رضوى".

أدرك الآن أن هناك أمرًا كان غافلًا عنه لفترة طويلة حتى تفاقم، وصار التعامل معه كالعمليات الجراحية الدقيقة، التي إن لم يتعامل معها بحرص ستخلق جرحاً عميقاً لا يندمل بسهولة، وربما يسبب الموت.

الآن عليه مواجهة ذلك الموقف، وعليه أن يقوم بمعالجته في الحال.

*****

جلس "فتحي" بمكتبه في هدوء قبل أن يسمع صوت ضوضاء من الخارج أعقبها اقتحام "محمود" لمكتبه في عنف، فأشار "فتحي" إلى السكرتيرة بالخروج وهو يقول لـ"محمود" بهدوء:

- إيه الجبروت ده، جاي تدخل مكتبى كده رغم التحذيرات اللي عندك إنك تبعد عني، إيه مش خايف تتأذي؟

أجابه بغضب واضح:

- جاي أحذرك عشان انت بقيت فاجر قوى.

نظر إليه "فتحي" بعدم فهم فأخرج "محمود" خطاب التهديد من جيبه ملوثاً بالدماء ووضعه على المكتب أمام "فتحي" بعصبية واضحة وهو يقول:

- وفضحت نفسك، طب كنت استنى يوم ولا يومين علشان ماتبقاش أول واحد أشك فيه.

قرأ "فتحي" الورقة وبدت على وجهه حيرة حقيقية وهو يغمغم:

- انا ماعرفش حاجة عن الورقة دي.

زاد انفعال "محمود" وهو يصيح:

- أمال أمى اللي تعرف؟

نهض "فتحي" من مكانه وهو يصيح بدوره:

- قلت لك مااعرفش عنها حاجة، انت فاكرني هاخاف منك؟

مال "محمود" إلى الأمام نحو المكتب وهو يسأله:

- يبقى تقول الحقيقة طالما مابتخافش.

- مااعرفش حاجة، ولو فاكر الحركات دى هتخليك تفتح قضية ولا تجيب رجلى في حاجة...

قاطعه "محمود" بغضب واضح:

- وانا لو هاعمل حركات هاضرب زميلى بالنار، "عيسي" مرمي في المستشفي دلوقتى، ولو حصل له أي حاجة وحياة أمى ما هاسيبك.

ورغم ثورة "محمود" إلا أن "فتحي" بدأ يستعيد هدوءه وهو يقول:

- باقول لك يا سيادة المقدم، انا ماعرفش حاجة عن اللي حصل، وأظن واضح إن اللي عمل كده عاوزك تشك فيَّ، ولو انا اللي عملتها مش هاخاف منك.

- انت لحد دلوقتى ماعرفتش مين هو "محمود المغربي"، وقريب هاخليك تعرف هو مين كويس.

قالها وهم بالرحيل فجلس "فتحي" على مكتبه وهو يقول ساخراً:

- ماتتعبش نفسك انا عارفك كويس، ابقى بس طمنى على صاحبك.

وقف "محمود" مكانه وظل ظهره مواجهاً لـ"فتحي" وهو يقول:

- قريب هتبقى مضطر تطمن عليه بنفسك.

قالها وخرج من الباب بعصبية تاركاً "فتحي" خلفه ووجهه بدأ يحتقن من شدة الغضب بدوره.

سار "محمود" في الشركة باتجاه الخروج حتى جلس في سيارته ثم أخرج هاتفه وطلب رقم "سارة"، التي ردت بسرعة هاتفه:

- انت رحت فين وسبتنى؟

- فيه حاجة لازم أعملها حالاً، وبعدين هآجي لك على المستشفى.

أغلق الهاتف وتحرك مسرعاً وشفتاه تتحركان بالدعاء لـ"عيسي" الذي صار على شفير الموت...

*****

أعظم الخطط التي يضعها الإنسان قد يحدث بها تغيير أو تفشل بالكامل، لذلك فمن المنطقى أن يتوقع فشل الخطة التي يضعها، فيكون مستعدًا بخطة بديلة كي يمكنه تنفيذ ما يسعى إليه.

كان "علاء" دائماً ما يستعد بخطة بديلة، ولكن حتى الآن كل شيء يسير كما يريد بالضبط، دون تغيير، والآن هو يدرك أن الأمور كلما سارت بالشكل الذى تريده صرت أكثر سيطرة وأقرب من تحقيق ما تسعى إليه، ورغمذلك كان هناك أمر واحد يثير قلقه، أو بالأحرى شخص واحد يسبب له القلق، إنه "عمر"، صديقه المقرب، الذي صار بالنسبة له مصدر إزعاج يزداد بمرور الوقت، ولا يريد أن تتطور المواجهة معه أكثر من ذلك، ولكنه كان يجهل حقاً كيف يمكن أن يتجنب ذلك.

ظل "علاء" غارقاً في أفكاره حتى شعر كما لو كان هناك مخدر في جسده وصار جفناه متثاقلين يصارعان حتى ينغلقا ليروح في سبات عميق، وفي نومه رأى نفسه جالساً في غرفة متسعة لها سقف عال وباب وحيد مغلق. وعند الباب ظهر ظل لرجل كما لو كان أتى من العدم، وبدأ الظل في الظهور رويداً رويداً حتى ظهرت ملامح الرجل جلية واضحة، كان ذلك الرجل الذى قابله "علاء" من قبل في الشارع بعد أن علم بسفر "بكر ثروت".

نظر إليه "علاء"، واقترب الرجل منه ووجهه لا يحمل أية انفعالات، وعندما صار على بعد خطوات من "علاء"، هتف الأخير:

- "رفعت" مات.

لم يعقب الرجل فاستطرد "علاء":

- انا بانجح.

ظل الرجل صامتاً لثوان ثم قال بصوت يخلو من الانفعالات:

- نفذت كل حاجة، بس ماتقولش نجحت إلا لما تخلص كل اللي ناوي تعمله، لسه بدرى.

- طول ما انا عارف نقطة ضعف كل واحد يبقى هانجح بسهولة.

سأله الرجل بنفس الصوت الخالي من الانفعالات:

- وإيه نقطة ضعف "عمر"؟

حاول "علاء" أن يجد إجابة دون جدوى، فما وصل إليه حتى تلك اللحظة كان بسبب علمه بنقاط ضعف من حوله حتى يتمكن من السيطرة عليهم، ولكنه لا يعلم نقطة ضعف "عمر"، بل لا يدرى حتى إن كانت موجودة أم لا.

وفي تلك اللحظة استطرد الرجل:

- كل إنسان له نقطة ضعف، لو حد ضغط عليه من خلالها في الوقت المناسب، هيسيطر عليه، ويخليه يعمل ويقتنع بأي حاجة.

هز "علاء" رأسه موافقاً، فقد كان يعلم ذلك، نقطة الضعف للإنسان هي الباب الخلفي الذي ما إن تجد مفتاحه، حتى تمتلك السيطرة عليه، ونقطة ضعف "عمر" هى السبيل الوحيد للسيطرة عليه.

بدأ الرجل ينسحب إلى الخلف وهو يفقد ظهوره تدريجياً، و"علاء" يستيقظ، ولكن بعد استيقاظه ظل عقله يفكر في سؤال واحد مازال يبحث له عن إجابة:

ما هى نقطة ضعف "عمر"؟

*****

نظر "محمود" إلى اللواء "حمزة منصور" الذي ظلت ملامحه غامضة لا تمكنك من توقع ما يجول بخاطره أو فهم ردود أفعاله.

كانت عيناه الضيقتان وملامحه الصارمة تتمكن من إخفاء انفعالاته إلى الحد الذي يجعلك تظن أنك تتحدث مع لوحة زيتية لا تحمل سوى تعبير واحد؛ كان ينفث دخان سيجارته وهو ينظر إلى "محمود" متسائلاً:

- و"عيسي" عامل إيه؟

- المستشفي قالوا إن حالته مستقرة.

تنهد اللواء "حمزة" في ارتياح ثم نظر إلى الورقة التي أعطاها له "محمود" مغمغمًا:

- الورقة دى مش دليل إن "فتحي" حرّض على قتل "عيسي"، ماحدش هيفهم اللي في الورقة إلا انت، لأن ماحدش سمع تهديده في الحفلة.

- أنا عارف بس انا باقول شكوكي.

وضع اللواء "حمزة" الورقة إلى جانبه:

- يبقى اللي بتطلبه صعب، مافيش دليل يبقى مافيش قضية.

- الورقة هتجيب الدليل.

لم يفهم اللواء"حمزة" جملته فاستطرد "محمود" مسرعاً:

- انت قلت لي إن الأمر اللي جالي إني أبعد عن "فتحي" كان لأن ماعنديش دليل.

هز اللواء "حمزة" رأسه موافقاً فواصل "محمود" بحماس:

- هاحتاج إننا نحقق مع "فتحي" في حادثة "عيسي" لحد لما ألاقي دليل، كانت قضية "كامل" فرصة قبل ما تتقفل، دلوقتي عندي فرصة تاني أوصل لحاجة تدينه.

ظل اللواء "حمزة" صامتاً للحظات ينفث دخان سيجارته قبل أن ترتسم

ابتسامة خبيثة على شفتيه قائلاً:
- فهمتك، بس عاوزين شكل قانوني أكتر، في تحقيق هيحصل في حادثة "عيسي" وأقواله هتساعدنا لما يتكلم مع النيابة بصفته مجني عليه ممكن يتهم أى حد وانت هتبقى برة الموضوع.
بدا على "محمود" علامات الفهم وأكمل اللواء "حمزة":
- ولما يتهم "فتحي" هيبقى في شكل قانوني للتحقيق بتاعك، وسهل أخليك انت تحقق في القضية.
هز "محمود" رأسه متفهماً ثم أدى التحية العسكرية باحترام وانصرف مسرعاً وهو يفكر في تلك الفرصة التي يحتاج إلى استغلالها بشكل مثالي.

*****

ظل الموقف بين "أكرم" و"ياسمين" جامداً صامتاً لفترة طويلة، "ياسمين" ظلت تحاول ألا تنظر نحوه وكأنها تخشي مواجهته، وهى في داخلها تشعر بندم بالغ على البوح بمشاعرها، أما "أكرم" فكانت مشاعره تتلخص في كلمة (الألم)...
كان يتألم بشدة وكأنها تم سحبه بشكل مباغت ليتلقى آلاف السياط التى لا تمزق جلده فحسب، بل تمزق قلبه وعقله. فهو يعلم كم يكون الأمر صعباً عندما تحب من جانب واحد، فتصبح كمن يحاول أن يصفق بيد واحدة. وكم يكون الألم كبيراً عندما يرفض الطرف الآخر ذلك الحب. وكأنها شعرت بحيرته، فتنحنحت وهى تنهض من مكانها قائلة بلهجة آسفة:
- أنا قلت كلام ماكنش ينفع أقوله، انساه يا "أكرم"، أنا آسفة.
نهض بدوره وهو يقول:

- ماتتأسفيش، انا اللى آسف، بس انا على طول شايفك صديقة، ماشوفتكيش بأي نظرة تانى.
تمتمت في ألم واضح:
- علشان ماشوفتش إلا واحدة بس.
- ماحدش بيختار اللي قلبه يشوفه، القلب بيشوف بشكل مختلف، ومابنفهمش هو شاف كده ليه أو اختار ليه.
أحنت رأسها واستطرد "أكرم" وهو يضغط على كلماته محاولاً ألا ينطق كلمات تزيد من صعوبة الموقف:
- انتِ إنسانة جميلة وقريبة مني بس دلوقتي قلبي ولا شايف ولا حاسس بحاجة.
رفعت عينيها وهى تنظر إليه، وبدأت الدموع تغزو عينيها متسائلة بألم واضح:
- لسه مش شايف إلا "رضوى"؟
شعر أن الإجابة ستزيد من ألمها فظل صامتاً، ولكنها فهمت الإجابة فأكملت:
- ٥ شهور عدوا ومش قادر تنساها؟ ليه؟!
بدأ يتوتر وهو يجيب:
- نفس السبب اللي خلاكي بتحاولي تقربي لي رغم إني ماكنتش حاسس بيكِ
- ودة هيتغير امتى؟
- ماعرفش، اللي متأكد منه إني...
لم يكمل عبارته، فالتقطت "ياسمين" نهايتها مكملة:
- صعب تكون مع حد تاني دلوقتي، كان لازم أفهم من الأول.

لم يتمكن من إعطائها ردًا، فمسحت دموعها وودعته سريعاً لترحل. ورغم خروجها منذ ١٠ دقائق، إلا أنه ظل واقفاً مكانه بلا حركة، وعلى وجهه علامات الحزن، فقد كان يدرك أنه منذ قليل حطم قلب امرأة؛ دون أن يملك أى وسيلة لكى يجعل الأمر أقل صعوبة عليها، أو حتى يتمكن من مواساتها، شعر أن صمته كان به الكثير من القسوة، والآن أصبح ما يؤرقه هو الشعور بالذنب.

*****

دخل "ممدوح" إلى غرفة "فتحي" متوتراً للغاية، وما إن دخل حتى نهض الأخير متسائلاً بحدة:

- من امتى بتتصرف من دماغك؟

- فيه إيه يا ريس؟

زادت نبراته حدة وهو يقول:

- جواب التهديد اللي وصل لـ"محمود" (الاتفاق بتاع يوم الحفلة مش ماشى كويس، وده آخر تحذير)، وبعدها زميله اتضرب بالنار ودخل المستشفى.

- حصل امتى؟

- من نص ساعة "محمود" كان هنا بيهددنى لو زميله جرى له حاجة، دي نتيجة تصرفك.

- انا ماعرفش حاجة عن اللي حصل ده.

ضرب سطح المكتب بقبضته بقوة صائحاً:

- قل لى الحقيقة علشان أتصرف.

- انا مااعرفش حاجة عن الجواب، ولا ضرب النار، اللي عمل كده حد عاوز يعملنا مشاكل.

- صح، اللي عمل كده بيستفز "محمود"، بس مين؟

بدت لهجة "ممدوح" ساخرة إلى حد ما مجيبًا:

- مش "علاء" بيعرف كل حاجة، هو فين بقى؟

- كلمته أكتر من مرة، مابيردش، ولازم يتصرف، "محمود" خبيث وهيستفيد من الموقف ده.

- هيستفيد إيه، انا مش فاهم؟

- الحاجات اللي مابقيناش فاهمينها بقت كتير، ولازم "علاء" يفيدني أكتر من كده، اتصرف وهاته.

انصرف "ممدوح" لتلبية أمر "فتحي"، وبقى الأخير يفكر، وتوجه نحو نافذة الغرفة ووقف ينظر نحو الشارع وعقله مازال يحاول تحليل الأحداث و...

وفجأة انتبهت حواسه بغتة عندما لمح رجلًا يشير إليه من بعيد بعلامة النصر، لم يفهم ماحدث، وحاول أن يرى الرجل ولكن المسافة كانت بعيدة ولم يستطع أن يتبين ملامحه، ولكن الرجل ظل يقترب ببطء، وكأنما شعر بأن "فتحي" يريد رؤيته، وبالفعل صار على مسافة سمحت له برؤية ملامحه بوضوح، فازدرد لعابه في خوف واضح واتسعت عيناه بشدة؛ فما يراه الآن هو أسوأ كوابيسه على الإطلاق؛ فعلى بعد مترين من المبنى كان يقف "كامل أبوعلم"، يقف سليماً معافى، وهو يشير إلى "فتحي" ويبتسم ابتسامة ساخرة.

*****

جلست "سارة" في ردهة مستشفى الشرطة وعلى وجهها علامات إرهاق واضحة، بعد ساعات مليئة بالخوف والقلق منذ إصابة "عيسي" وحتى اطمأنت على تخطيه مرحلة الخطر، شعرت بشخص يجلس إلى جوارها فنظرت إليه وهو يسألها:

- إيه الأخبار يا "سارة"؟

أجابته بصوت بدا مرهقاً للغاية:

- الحمدلله يا "محمود"، عدى الخطر، ولو فضل على كده لبكرة هيقدروا يطمنونا أكتر.

كان من الواضح أن كلماتها كانت لها تأثير السحر على "محمود" الذى أعاد رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه بهدوء، ظلا صامتين قليلاً قبل أن تسأله:

- كنت فين؟

أجاب دون أن يفتح عينيه:

- عند "فتحي".

ولم يرى وقع إجابته على "سارة" التي اتسعت عيناها في دهشة وهى تكرر الكلمة في عدم فهم:

- عند "فتحي"؟!

لم يتلفت إليها فاستطردت:

- بس متهيأ لي مش هو اللي عمل كده.

نطقتها بثقة بالغة ففتح عينيه ونظر إليها مبتسماً بإرهاق:

- عارف.

زادت دهشتها مرة أخرى فاستطرد هو:

- الورقة اللي اتبعتت الغرض منها إني أشك في "فتحي"، مش ممكن يبقى بالغباء ده إنه يفضح نفسه.

- أمال رحت له ليه؟

- لعبة، باحاول أستفيد من اللي حصل، قابلت اللواء "حمزة" ولما "عيسي" يفوق هاتكلم معاه إنه يوجه اتهام رسمي في التحقيق لـ"فتحي" وساعتها هاحقق معاه.

- وتحاول إنك توصل لحاجة في قضية "كامل" أو تدينه.

- بالظبط.

نظر إلى ساعته التى تجاوزت الثامنة مساءً وهو يغمغم:

- روّحي بيتك، انتِ تعبتى النهارده.

- بس لازم حد يبات معاه و...

قاطعها بحسم:

- أنا هبات معاه.

- هتسيب مراتك لوحدها؟!

- الغرض من كل ده إني أشك في "فتحي" زى ما قلت لك، اللي عمل كده مستني نتيجة اللى حصل، وعموماً انا قبل ما آجي خدت "علا" وديتها عند والدتها.

تململت في إرهاق واضح وهى تغمغم:

- خلاص، انا هروّح وآجي بكرة.

- هاوصلك.

- لا خليك جنبه، ماتقلقش.

مع إصرارها وافق على البقاء على أن تطمئنه لدى وصولها، وجلس يفكر في كل ما حدث ومازال يحدث، فكل شيء لايخضع لمنطق منذ وفاة "كامل"، واختفاء جثته مروراً بكل ما حدث بعدها، حتى إطلاق الرصاص على "عيسي"، بل إنه كان يرى أن وفاة "رضوى" ربما تحمل علاقة بالأحداث خاصة وإنها تزامنت مع طرد "أكرم" من الفرقة على يد "علاء".

"علاء"...

تكرر الاسم في رأسه مرة أخرى دون سبب، ولكنه كان يرى في ذلك الشخص شيئاً غامضاً، فعلى الرغم من أنه لم يقابله سوى مرة واحدة فقط، إلا أنه لم يشعر بالراحة تجاهه قط، بل كان يشعر أن هناك شيئاً غريباً بشأن ذلك الشاب، ربما لأن الكثير من الأحداث بدأت من عنده، أو كان هو نقطة نهايتها.

حرك "محمود" رأسه بعصبية، وكأنما ينفض عنها تلك الأفكار وهو يقول لنفسه:

- انا اتجننت، إيه علاقة "علاء" بكل ده؟

عاد برأسه للوراء وهو يفكر، كم هى غريبة الشكوك عندما تعصف بعقل الإنسان، بل أحياناً تتحول إلى عاصفة تجعله يفقد الثقة في التعامل مع كل شخص، فيصبح الكل من وجهة نظره متهماً أو يحمل وراءه أمرًا خطيرًا أو متآمرًا حتى لو لم يكن كذلك.

*****

كان عقل "عمر" ينفجر بالعديد من الأفكار وهو يتوجه نحو منزل "رفعت"، فجميعها ترتبط بالأحداث المتلاحقة التي صارت غريبة.

"كامل" ينتحر، "أكرم" يُطرد من الفرقة، "رضوى" تتوفي، والتغيير الشديد لصديقه "علاء"؛ كان ذلك أكثر ما يثير أعصاب "عمر"، فعلى الرغم من عدم وضوح أى شيء غريب بالنسبة لـ"علاء" يؤكد شكوكه؛ إلا أن هناك أمر آخر هو سبب تلك الشكوك، ربما هو أمر غير علمى، ولكنه هو بالفعل أحد أسباب شعوره بالقلق، ذلك الأمر هو (الصداقة)!!

فهو و"علاء" كانا صديقين مقربين للغاية، ودائماً ما يشعر الاصدقاء المقربين ببعضهم، يشعر كل منهم بالآخر في حالات الفرح أو الحزن، يرى في عين صديقه ما لا يراه سواه، يشعر بالتغيير الذي يطرأ على صديقه، مهما كان ذلك التغيير ضئيلاً؛ فالصديق يرتبط بصديقه، حتى أنهما قد يفكران في نفس الأشياء في وقت واحد من فرط ارتباطهما وتوافق عقليهما وعلمهما بشخصيات بعضهم البعض،

كان ذلك سبب شعور "عمر" والذى لن يستطيع فهمه أو تفسيره سواه، وذلك سبب معاناته، فهو يشعر بتغيير يطرأ على صديقه، وفي نفس الوقت يجد أنهما يبتعدان عن بعضهما، وهو ما كان بالنسبة له تأكيد على وجود خطأ ما.

نظر "عمر" إلى ساعته فوجدها التاسعة والنصف مساءً، فتوقف أمام باب شقة "رفعت" للحظات وهو يأخذ نفساً عميقاً، ثم رن جرس الباب.

رنه مرة، وثانية، وثالثة، ولم يأتِ رد في أى من المرات، وتعجب من ذلك؛ فالمفترض أن هناك موعدًا سابقًا مع "رفعت" عند عودته من السفر.

بدأ التوتر يزيد في خلاياه، وظل يفكر لدقيقة ثم حسم قراره وقام بمناداة الأمن الخاص بالعقار الذين أكدوا له أن "رفعت" لم يخرج اليوم، وهو ما جعل القلق يسري في عروقه بشكل أسرع، فشرح لهم ما حدث بشكل سريع فاتخذوا

قرارًا بضرورة فتح باب الشقة عنوة بعد أن فشلت كل محاولاتهم في الحصول على رد، وما هى إلا دقائق حتى كانوا بالداخل جميعاً، يحدقون بفزع في جثة "رفعت".

*****

بدا على "محمود" الإرهاق وهو جالس بردهة المستشفى قبل أن تظهر "سارة" وتقترب منه ملقية التحية عليه قائلة:

- شكل ليلتك كانت طويلة ومانمتش كويس.

فرك جانبى رأسه بإصبعيه وهو يغمغم:

- شوية، أنا هاروح للدكتور أطمن على "عيسى".

أمسكت ذراعه قائلة:

- لسه كنت مع الدكتور وقال لي إنه اتحسن، وكلها كام ساعة ويفوق.

أطلق تنهيدة ارتياح طويلة وسألها:

- انتِ ماروحتيش الجورنان ليه؟

ابتسمت تلك المرة وهي تجيب:

- النهارده الجمعة، مش باقول لك مانمتش كويس.

ابتسم بدوره وقبل أن يفتح فمه ليرد عليها، نظر إلى نقطة ما خلفها فاستدارت لتجد "أكرم" على بعد خطوات منها، وما إن وصل إليهم وتبادلوا التحية حتى سألهم بقلق واضح:

- "عيسي" عامل إيه؟

- الحمدلله، الدكتور طمنا عليه، انت عرفت منين؟

أشار إلى "سارة" وهو يجيب:

- سارة قالت لي امبارح، وعرفت إنك في المستشفى، قلت آجي بدري يمكن تحتاج حاجة.
نظر "محمود" إلى "سارة" وهو يبتسم قائلاً:
- واضح إنك مش فاكرة، الظاهر إنك مانمتيش برضه.
ابتسمت وهى تقول:
- طيب، فيه كافيتريا أول الشارع، تعالوا نروح نشرب حاجة ونفطر.
وبعد عشر دقائق كان ثلاثتهم يجلسون في الكافيتريا يتبادلون الحديث، ويحاول "محمود" و"سارة" أن يتحدثا مع "أكرم" الذى بدا صامتاً كعادته والتى بدأ كل من حوله يعتاد عليه خلال الخمسة أشهر الماضية.
كانت "سارة" أكثر من يُدرك كم تغير "أكرم" في الفترة الأخيرة، لم يعد ذلك الشاب المرح المفعم بالحيوية، بل صار كرجل يوشك على دخول العقد السادس من العمر، قليل الكلام، يبدو كمن نضبت طاقته، رغم أن خسارتهما واحدة ولكنه تحطم بنسبة كبيرة.
حاولت أن تستحثه على الحديث فقالت له:
- انت عارف إننا كنا هنجي لك النهارده.
نظر "محمود" إلى "سارة" لثوان ثم فهم ما تسعى إليه فقال بدوره:
- آه، كنا هنطمن على "عيسي" ونجي لك ضرورى.
نظر لهم بعدم فهم فقالت "سارة" بسرعة:
- النهارده عيد ميلادك.
ابتسم ابتسامة باهتة وهو يتمتم:
- ماكنتش عارف أن انتِ كمان هتفتكري.

- لازم أفتكر، ده انت اللي فاضلي يا "أكرم".

أطرق برأسه في حزن دون أن ينطق، وصمتت "سارة" بدورها، وكأنما شعر "محمود" بما يجول في خاطرهم من ذكريات تتعلق بـ"رضوى"، فحاول أن يدير دفة الحديث، ليبتعد عن منطقة الألم التى تخلفها الذكريات، ولكن رنين الهاتف قاطعه، ليجيب على الفور:

- أيوه يا "أيمن"، "عيسى" بقى كويس ماتقلقش، أي حاجة في الدنيا ليها تفسير مابتجيش من الهوا، حاول تاني توصل لأي معلومة عن الرسمة دي يا "أيمن".

أغلق هاتفه وعلى وجهه علامات الضيق فسألته "سارة" باهتمام:

- لسه مش لاقى تفسير للرسمة؟

تساءل "أكرم":

- رسمة إيه دي؟

أجابت "سارة":

- لما "كامل أبوعلم" مات، "محمود" لقى في بيته رسمة غريبة وماعرفش يفهم معناها.

تساءل "أكرم" مرة أخرى:

- هو مش القضية اتقفلت؟

أجاب "محمود" تلك المرة:

- اتقفلت، بس فيه تفاصيل ماقدرتش أفهمها وعاوز أفسرها ومنها رسمة غريبة في البيت.

هز "أكرم" رأسه متفهماً وصمت ثواني قبل أن يقول:

- وريها لي، يمكن أكون عارفها أو أعرف حد يساعدك تفهم معناها؟

اندفعت "سارة" تقول بحماس:

- عنده حق يا "محمود"، إحنا إزاى ماخليناهوش يشوفها، دى رسمة ليها علاقة بجو المزيكا، وممكن "أكرم" يعرفها.

انتقل حماسها إلى "محمود" الذى وافقها قائلاً:

- عندِك حق، استنى انا مصورها على التليفون.

انتظر "أكرم" ثواني و"محمود" يبحث عن الصورة، وبمجرد أن وجدها، أعطى الهاتف لـ"أكرم" الذى نظر إليها بتركيز، أوحى إلى "محمود" إنه ربما يعرف أى معلومة تخلصه من حيرته.

قال "أكرم" بصوت خافت كما لو كان يحدث نفسه:

- شبه اللي اتخيلته.

نظر له "محمود" بتساؤل فواصل "أكرم":

- الرسمة دى ليها قصة كنت قريتها زمان، قصة مشهورة بس كانت رسمة تخيلية مش حقيقية، ودي قريبة للتخيل ده.

تساءلت "سارة" لك المرة بفضول ونفاد صبر:

- وكانت عن إيه الرسمة؟

أجاب "أكرم" بسرعة:

- مقطوعة الشيطان !!!

*****

مقطوعة الشيطان

تحرك "سامح سعيد" سكرتير رجل الأعمال "عماد السرجانى" في ردهة واسعة بخطوات سريعة وهو يحمل في يده حفنة من الأوراق، ثم وصل إلى باب غرفة طرقها بهدوء ليدخل غرفة مكتب واسعة، في نهايتها مكتب أنيق، وإلى يمينه مكتبة ضخمة تحوي العديد من الكتب ما بين السياسة والقانون والأدب، وفي مقابلها من الجهة الأخرى نافذة زجاجية كبيرة، وقف عندها "عماد السرجانى"، رجل في أوائل الأربعينيات من العمر، طويل ذو جسد رياضي قوي يتسق مع شعره البنى الذي صنع مع شاربه وعينيه الزرقاوين الضيقتين ملامح وسيمة للرجل.

التفت "عماد" بهدوء فبادر "سامح" بالقول:

- فيه دعوة جات لك النهارده، حفلة في الأوبرا ومعاها جواب.

أعطى الدعوة والخطاب لـ"عماد" الذي نظر فيهما لثوان ثم انفجر ضاحكاً وهو يلقيهما بلامبالاة على المكتب هاتفًا:

- ده أكيد حد مجنون، بيقول لازم تيجي الحفلة علشان مستنيك.

أمسك "سامح" الدعوة ونظر فيها وهو يقول بتعجب:

- دى حفلة "علاء داغر"!! "فتحي زهير" حضر حفلته من كام شهر.

- سيبك منه ده عيل مجنون. خلينا في شغلنا.

نطقها بصرامة فتوتر "سامح" وانصرف مسرعًا، بينما عاد "عماد" للنظر إلى الدعوة والخطاب في تفكير.

*****

ظل "ممدوح" جالسًا يتأمل "فتحي" الذى بدا عليه الغضب الشديد، وبدا كما لو كان وجهه على وشك الانفجار، وهو ينظر بين اللحظة والأخرى إلى ساعته بجنون، فكان ما رآه بالأمس كابوسًا تحقق على أرض الواقع.

نظر "فتحي" إلى "ممدوح" بعصبية وهو يصيح:

- كلم الزفت "علاء" تاني، أكيد عارف وعاوز يحطم أعصابى.

حاول "ممدوح" أن يتحاشي ثورته وهو يسأل بحذر:

- إيه اللى حصل؟ انت من امبارح بتسأل عليه!!

بدا "فتحي" كما لو كان سيظل صامتاً، إلا أنه رد بكلمة واحدة مقتضبة:

- "كامل".

ظل "ممدوح" ينظر إليه في عدم فهم فاستطرد "فتحي":

- "كامل" عايش، شفته امبارح.

اتسعت عينا "ممدوح" بشدة، وهو يحاول استيعاب ما قاله "فتحي"، الذى واصل:

- امبارح شفته واقف على بعد مترين من الشركة وبيشاور لي، الكاميرات مالقطتوش، بس شفته أنا متأكد.

لم تختفِ الحيرة من على وجه "ممدوح" وهو يهتف:

- بس إزاي؟

- "علاء" عارف اللي بيحصل وعاوز يستفيد، أكيد كان عارف أن "كامل" عايش وبيلعب بيَّ.

ورغم أن "ممدوح" كان يتمنى أن يسمع ذلك الحديث منذ فترة طويلة، لأنه يحمل في طياته اتهامًا لـ"علاء"، إلا أنه قرر الصمت وهو ينظر إلى "فتحي"

وهو يتوجه نحو النافذة. لم يتمكن عقله من استيعاب ما قاله "فتحي"، حتى أنه بدأ في التفكير هل أُصيب هذا الأخير بالجنون؟

طوال مدة عمله مع "فتحي" لم يره في تلك الحالة، حتى بعد أن علم ما كان بين "فتحي" و"كامل"، إلا أنه لم يتوقع أن يرى تلك الثورة الجنونية.

آلاف الأفكار مرت في رأسه وهو ينظر إلى "فتحي" الذى وقف أمام النافذة جامداً كالتمثال، وفجأة عاد "فتحي" للوراء وهو يصرخ بحدة مشيراً نحو الشارع:

- رجع، رجع...

هرع "ممدوح" نحو النافذة لينظر منها وهو لا يتوقع أن يرى شيئاً، فقد كان يعتقد أن "فتحي" صار سجيناً لأوهامه، ولكنه تسمر في مكانه وازدرد لعابه في خوف وهو ينظر من النافذة في رعب بعد أن رأى "كامل" واقفاً على بعد مترين من الشركة.

ولم يمنح نفسه ثانية إضافية بل اندفع نحو باب المكتب في سرعة متوجهاً نحو الشارع للحاق بـ"كامل".

*****

وقف "عمر" في أحد أركان شقة "رفعت" صامتاً ذاهلاً، فها هو شخص آخر يموت، دون سابق إنذار، وظل يتأمل الجثة ويتأمل رجال المباحث الذين امتلأ بهم المكان، فالأمر لا يتوقف فقط عند موت أحد الأشخاص المقربين لقلبه، بل إن الشك صار يملأ قلبه، ويلح السؤال على عقله بشراسة، هل لكل ما يحدث معنى أو علاقة ببعضه البعض؟ لم يعد يدرى، لم يعد عقله يفكر.

أغمض عينيه وهو يخرج سيجارة أشعلها ووضعها في فمه، كانت تشتعل كما تشتعل أعماقه ببركان من الأسئلة، وينفث مع دخانها الأفكار التي تجول بخاطره، لتتطاير في الهواء دون إجابة.

*****

ظل "محمود" ينظر إلى "أكرم" قبل أن يكرر في خفوت:

- مقطوعة الشيطان!!!

أخذ "أكرم" نفساً عميقاً وهو يقول:

- رسمة لقصة وموجود ليها اكتر من تخيل، والرسمة دى تشبه الأشكال اللي الفنانين اتخيلوها للمقطوعة، ممكن يبقى حد مقلدها.

هز "محمود" رأسه بعصبية واضحة متسائلاً:

- برضه يعنى إيه؟

بدا "أكرم" متردداً قليلاً، ولكن نظرات "محمود" و"سارة" المتسائلة جعلاه يقرر الحديث:

- اللي بيحب الموسيقى هيبقى عارف القصة دي، دي مقطوعة من أحلى مقطوعات العزف على الكمانجة، كان فيه عازف كمانجة إيطالي اسمه "جيوسيب تارتيني"، حكى إنه حلم بالشيطان بيطلب منه يبيع له روحه وفي المقابل الشيطان هيساعده في حياته، وقال إن في الحلم علشان يتأكد من كلام الشيطان إدى له الكمان بتاعه يعزف له، والشيطان عزف له مقطوعة سوناتا[1]

---

[1] سوناتا: قطعة موسيقية مخصصة للعزف من أي آلة موسيقية (سوناتا للبيانو المنفرد) أو آلتين (سوناتا للكمان والبيانو ،سوناتا للفلوت والبيانو، سوناتا للكمان والجيتار...)، الكلمة مأخوذة من الكلمة الإيطالية sonare وتعني إصدار الصوت من آلة موسيقية.

ماسمعش في جمالها، ولما صحى من النوم حاول يفتكرالمقطوعة كلها، لكن قالوا إنه ماقدرش يفتكرها كلها، وكان هيعتزل العزف لأنه ماكنش عارف يوصل للجمال اللي كانت فيه الموسيقى في الحلم

ظلت "سارة" صامتة بعد أن انتهى "أكرم" من حديثه، في حين فرك"محمود" مقدمة جبهته بأصابعه وهو يتساءل:

- وإيه علاقة ده بالرسمة؟

أجاب "أكرم" بهدوء:

- القصة دى انتشرت لما "تارتيني" عزف السوناتا وقال إنها تشبه المقطوعة اللي عزفها الشيطان في الحلم، وفي كتب وأماكن كتير كانت بتحط صورة بيتخيلوا فيها "تارتيني" وبيرسموا رسمة عبارة عن شيطان أو مخلوق غريب بجناحات بيعزف على الكمانجة قاعد مع شخص نايم، وكانوا بيرمزوا للمقطوعة بالرسمة دي، علشان كده ممكن تلاقيها في كذا شكل مختلف، بس كلهم نفس الفكرة، الشيطان بيعزف، وانا شايفها قريبة قوى من الرسمة اللي معاك.

- مافيش رسمة أصلية، كلها تسجيل لفكرة أن الشيطان بيعزف.

- بالظبط، وكل الرسومات مااترسمتش في مصر.

تدخلت "سارة" وهى تقول:

- يبقى اللي رسمها في بيت "كامل" ثقافته في الموسيقى عالية إنه يكون عارف حاجة زى دي.

هز "أكرم" رأسه نفياً:

- مش شرط يا "سارة"، جايز حد عرفها بالصدفة.

هز "محمود" رأسه في عدم رضا وهو يغمغم:

- وده يخليني ماينفعش أعتمد على الكلام ده، حدوتة طويلة عن واحد مجنون، ورسمة خيال في خيال، هتفيدني بإيه القصة دى إنى أفهم علاقة الرسمة بموت "كامل".

بدا الحرج على وجه "أكرم" فتمتم:

- انا حاولت أساعد.

ربت "محمود" على كتفه وهو يقول بهدوء:

- انا عارف و...

قاطعه صوت رنين الهاتف فأجاب على الفور وهو يستمع إلى محدثه بصمت، ولكن عينيه كانتا تصرخان بالعديد من الكلمات، رأت "سارة" تلك الكلمات، أو بالأحرى شعرت بها جميعها تحوي مزيجا من المشاعر المختلطة غير المترابطة.

أغلق هاتفه واستأذنها في الرحيل، وتوجه إلى سيارته وعقله يزدحم بالأفكار، فكان تلقيه خبر وفاة "رفعت" أمرًا مربكًا للغاية بالنسبة له، فمع كل ما حدث ومازال يحدث دون أن يعثر له على تفسير منطقي؛ أصبح يشعر أن موت "رفعت" له علاقة بكل شيء، وكان ذلك الشعور بالنسبة له عجيب للغاية وغير مفهوم!!

*****

ظل "علاء" صامتاً وهو ينظر إلى "فتحي" بهدوء، فيما كان الأخير في ذروة انفعاله، وهو يقص عليه رؤيته لـ"كامل" مرتين ومحاولة "ممدوح" اللحاق به والتي باءت بالفشل، ولم يجده عندما توجه إلى الشارع.

كان "فتحي" منفعلاً بشدة، يستمر في الحديث ويطيح بالسباب واللعنات في نهاية كل جملة، وكأنما يحاول تفريغ شحنات توتره الشديد؛ فيما بقى "علاء"

هادئاً، على الرغم من استمتاعه بما يجرى وكأنه يسمع مقطوعة موسيقية عذبة. فما يحدث الآن هو جل ما يتمناه؛ فقد صار الرجل في حالة غضب تجعل السيطرة عليه أمرا أكثر سهولة، فقد وصل إلى لحظة الضعف، وهي اللحظة التي قد تغير حياة الإنسان بالكامل، ويصبح حلالها جاهزاً لفعل كل شىء وأى شيء.

أخذ "علاء" نفساً عميقاً وهو يقول بهدوء:

- اهدى، كل ده هيخلص.

انفعل "فتحي" صائحًا:

- أيوه يعني هاعمل إيه؟

كان هو السؤال المنتظر له، والذى تكفي إجابته لتحقيق كل ما يريد، والكف عن طرح أي أسئلة أخرى، يضع البشر الكثير من الأسئلة ولكن دائماً في كل موقف هناك سؤال واحد عندما تطرحه فإنك ستكتفي به تماماً بعد أن تعلم الإجابة، ظل "علاء" ناظراً للأرض دقيقة ثم رفع وجهه ونظر في عين "كامل" هاتفاً:

- الحفلة الجاية بعد أسبوعين.

نظر له "فتحي" بغضب، وقبل أن يفتح فمه استطرد "علاء":

- بعدها مش هيبقى فيه قلق من "كامل" ولا أى حد تانى، بس محتاجة إنك تمولها.

احتد "فتحي" وهو يقول:

- انت بتدور على مصلحتك وسايب "كامل" بيلعب بيَّ.

رد "علاء" بهدوء:

- "كامل" بقى له شهور طويلة مختفي، هو بيحاول يستفزنا علشان نعمل خطوة غلط، الحفلة دي علشانه، هو عارف إنى هاعمل حفلة وهيجى يحضر وانا وقتها هاخلص من المشكلة دي، انساه وركز في الحفلة، عاوز تمويل محترم وحملة كبيرة، عاوز كل الشخصيات العامة تيجي.

- هاستفيد إيه برضه؟

- انا قلت لك إن اللي جاي هيبقى مكاسب، خليني أعمل اللي في دماغي.

زفر "فتحي" في ضيق واضح وهو يقول بعدم اقتناع:

- الحفلة هتجهز واعمل اللي انت عاوزه.

نهض "علاء" من مكانه وهو يبتسم:

- وياريت "ماجد" يجى.

نظر له "فتحي" باستنكار:

- عاوز "ماجد الجازوي" يجي يحضر حفلتك بسهولة كده؟

هز "علاء" رأسه وهو يقول بابتسامة واسعة:

- مش باتكلم على الحفلة، عاوزه يجي يقابلك هنا.

اتسعت عينا "فتحي" في استنكار واضح وهو ينظر إلى "علاء" بصمت دون أن يجد تعليقا مناسبا لما قاله "علاء"، فنهض من مكانه وهو يقول:

- انت بتقول حاجة مش منطقية، "ماجد" عمره ما هيجي هنا و...

- لا هيجي.

- إيه الثقة دي؟

اكتفى "علاء" بالابتسامة، ونظر "فتحي" إلى تلك الابتسامة الواسعة الواثقة على وجهه وهو يشعر أنه يتعامل مع شخص أقرب إلى الجنون، والذي يجعل

المرء يُقدم على إحداث العديد من التغيرات في حياته وحياة من حوله، فيبدأ في إجراء تلك التغييرات دون أن يشعر بها يفعل حتى يجنى ثمار ما فعل في نهاية المطاف، والتي تكون إما النصر أو الموت...

قطع "علاء" أفكاره متسائلاً:

- مستغرب؟

- أكيد، انت مش واخد بالك انت بتتكلم عن إيه؟!

- لو مش واخد بالى ماكنتش هاقول كده، لو ماعرفتش قوة اللي باتعامل معاه مش هاقدر أتعامل معاه بثقة، علشان تكسب معركة وتكون واثق في نفسك وانتصارك لازم تبقى عارف كويس انت داخل على إيه، وانا عارف.

- عاوزه يجي ليه؟

- علشان يعمل اللي انا عاوزه.

- وهو هيعمل اللي انت عاوزه بسهولة؟!

- لو جه هابقى وصلت للي عاوزه، اللي انا عاوزه يعمله هيبقى أسهل بكتير من إنه يجي هنا.

نظر إليه "فتحي" بتساؤل أكبر، فابتسم "علاء" وهو يقول:

- انا هاقول لك تخليه يجي إزاى وهنبتدي من النهارده.

هز "فتحي" رأسه موافقًا فابتسم "علاء" وهو يفكر كم يصير الأمر سهلاً كإشعال سيجارة بين أصابعك، كل الأمور تصبح تحت السيطرة وتحترق دون أدنى جهد منك سوى إشعالها، لتكتفي أنت بالاستمتاع بنفث دخانها فقط.

*****

جلست "سارة" تتأمل "عيسي" في هدوء بعد رحيل "أكرم"، ظلت قرابة الساعة تنظر إليه دون أن تأتى بأي حركة، لا تدري أهو حب أم هو خوفها من فقدانه؟ فالخوف من فقدان الشيء دائمًا ما يصنع بداخلنا الرغبة في المحافظة عليه.

لا تدري سبب تلك الأفكار الآن، ولكنها أدركت مدى أهمية "عيسي" في حياتها، ذلك الشخص الذى تقربت منه ووثقت به كثيراً و...

سعل "عيسي" بضعف، فانتبهت بكل حواسها وهي تنظر إليه وهو يحاول فتح عينيه في ضعف واضح، ظلت تشير إليه بيدها فهز رأسه فابتسمت وهى تقول:

- حمدا لله على السلامة.

فتح فمه وهو يسأل بضعف:

- مين عمل كده؟

- ارتاح دلوقتي.

كرر بإصرار:

- مين؟

- ماوصلناش لحاجة، مش عارفين إن كان "فتحي" ولا لأ.

كرر الاسم بغيظ:

- "فتحي".

- "محمود" راح له الشركة وهيتحقق معاه.

- هاخرج امتى؟

نظرت له باستنكار:

- استنى نشوف الدكتور هيقول إيه؟

ظل صامتاً وعلى وجهه علامات التفكير العميق فسألته بفضول:
- انت شاكك في حاجة يا "عيسي"؟
هز رأسه بالنفي، وإن دلت ملامحه على العكس، وهي تراقبه في صمت.

*****

إذا سألت أشجع من في الأرض ما الذى قد يخيفك فسيجيب بثقة، (المجهول)؛ فما لا يعلمه هو ما يثير بداخله كل مخاوف الأرض. نصف الشجاعة يتمثل في معرفة ما يدور حولك لتتمكن من مجابهته كما يجب.
كان "أكرم" يعلم أن هناك أمرًا ما خاصًا بمقطوعة الشيطان يتعلق بموت "كامل"، أمر غامض وغير مفهوم، ولكنه يحتاج الشجاعة ليتم كشفه، حتى وإن كان أمر صعب التصديق فلابد أن يكون هناك تفسير، لذلك فقد صار يبحث في كل المعلومات الخاصة بذلك، متجنباً حدود عقله؛ ليطلق لعقله العنان في البحث، حتى لا تضعه حدود عقله في احتمالات قليلة قد لا يصل من خلالها إلى أى شىء، ويظل كل شيء مجهولاً.

*****

أنهى "علاء" العزف على الكمان في غرفته الخاصة بالمنزل، ثم وضعه إلى جواره في هدوء وأغمض عينيه وهو يفكر في خطوته القادمة، كانت تسعده سيطرته الكاملة على "فتحي"، فقد صار الرجل طوع يديه، لا يأتى بخطوة حتى يستشيره، والآن وقت الخطوة الجديدة التي يجب اتخاذها.
نهض من مكانه وتوجه إلى غرفته مرتدياً ملابسه، ثم توجه نحو باب المنزل للخروج، وبمجرد أن فتح الباب وجد في مواجهته صديقه القديم "عمر" الذي قال مسرعاً:

- كل مرة باجي لك وانت خارج.
- كويس إنك خدت بالك علشان ماتعطلنيش.
أزاح "عمر" كتفه ودخل إلى الشقة والأخير ينظر إليه بضجر في حين سأل الأول:
- رايح فين؟
رد "علاء" بلهجة باردة:
- جاى ليه؟
نظر له "عمر" وعيناه تحملان قدرا من الغضب:
- عارف إن أستاذ "رفعت" مات؟
هز رأسه بالإيجاب، فسأل "عمر":
- إيه اللى حصل؟
نظر له "علاء" بدهشة مجيباً:
- مااعرفش، اسأل البوليس.
- ماقابلتوش لما رجع من السفر؟
رد عليه بسخرية واضحة:
- انت اشتغلت في النيابة يا "عمر"؟
- رد على سؤالي.
زفر "علاء" بضيق واضح وهو يقول:
- لا ماكنتش أعرف انه رجع.
- مارحتلوش قبل ما يموت؟
انفجر "علاء" صارخاً:

- انت جاي تستجوبني، هو كل ما تحصل حاجة تيجي تعمل الشويتين دول، فوق وسيبك من دور إنك نضيف وملاك وعاوز تطلعنى مجرم، عمرهم خلص على كده هتيجى تحاسبني انا؟

انفعل "عمر" بدوره وهو يصيح:

- لا بس مش ملاحظ إنك عارف إن "رفعت" مات وبتتعامل طبيعى، مش دى حاجة تخلينى أشك ولا إيه؟ والصندوق اللي مخبيه وماخلتنيش اشوفه، فسر لي إيه ده؟

- مش مطلوب مني أفسر لك حاجة، انا حر في مشاعري مالكش تدخل فيها.

- عندك حق، ماقدرش أتدخل في مشاعرك، مشاعرك اللي كرهت "أكرم" وخليتك تضره، وخليتك استغليت "ياسمين" علشان تساعدك و...

قاطعه "علاء" بحدة:

- انا حفظت الإسطوانة دي ومش مطلوب إنى أسمعها كل ما حد يموت، انت مابتزهقش؟!

هدأت لهجة "عمر" وهو يقول:

- مابازهقش علشان انت صاحبى وعاوز أحس إنك رجعت زي زمان، مش إنسان آلي بيتحرك.

صمت "علاء" برهة ونظر إلى الأرض قبل أن يعاود النظر إلى "عمر" وهو يقول بلهجة باردة:

- أديك وصّلت لي الرسالة، شكراً، انا أشوف هامشي حياتي إزاي، ولو احتجت نصيحة هاطلبها.

امتعض وجه "عمر" بسبب تلك اللهجة الباردة و"علاء" يستطرد:

- وياريت ماتجيش تاني لو حد مات، حاول تحافظ على الصداقة اللي بينا زى ما بتقول، أحسن ما تيجى ونتخانق.

هز "عمر" رأسه بأسى دون أن ينطق ثم توجه نحو الباب ليخرج بصمت دون أن يتفوه بكلمة إضافية، وصفق "علاء" الباب خلفه بقوة، ثم جلس على أقرب مقعد له وهو يهمس لنفسه:

- إيه نقطة ضعفك يا "عمر"؟ إيه؟

*****

انتفض "أكرم" من مكانه بغتة عندما سمع رنين باب المنزل، فتوجه نحو الباب في قلق، ليجد "سارة" التى قالت بأسف:

- انا صحيتك من النوم؟

ابتسم ابتسامة باهتة مجيباً:

- لا لا، انا بس من التفكير عينى غفلت، ادخلى.

دخلت وجلست على أقرب مقعد لها وهى تتساءل:

- وإيه اللى شاغل تفكيرك؟

- مقطوعة الشيطان، انا عارف إنها فكرة غريبة، بس انا حللت الموضوع لقيت إن الرسمة اللي لقيوها مالهاش تفسير، وتفسيرها الوحيد هو إنها مقطوعة الشيطان، يبقى حتى لو التفسير احنا شايفينه غريب نحاول نمشي وراه يمكن نوصل لحاجة.

- وانت وصلت لحاجة؟

هز رأسه بالسلب قائلاً:

- معلومات كتير كلها مش مترابطة، انا بافتش في حكاية أسطورية، فيه ناس كتير شايفينها كانت طريقة تسويق لمقطوعة "تارتيني".

- وانت رأيك إيه؟
- انا بافهم كل حاجة الأول قبل ما أقول رأيي.
هزت رأسها متفهمة فاستطرد بتساؤل:
- "عيسي" كويس؟
- فاق ومافيش خطر، محتاج راحة في المستشفي كام يوم، كان هيبقى صعب عليَّ إنه يحصل له حاجة، انا باعتبره أخويا زيك بالظبط.
- الحمدلله، بس هو كويس دلوقتى، انتِ بقى شكلك قلقان ليه؟
زفرت وهى تقول:
- من ساعة ما "عيسي" اتضرب بالنار قدام عيني وانا خايفة قوي، مش حاسة بأمان، انا عديت عليك علشان كنت خايفة أروح، انا حاسة بالوحدة يا "أكرم" انا عارفة إنك حاسس بيَّ، انت أكتر حد حاسس باللي انا فيه، قد إيه صعب إنك تبقى لوحدك، مافيش حد تشكي له همك ولا حتى تتكلم معاه في تفاصيل يومك.
ربت على كتفها بهدوء وهو يغمغم:
- انا موجود جمبك على طول في أى وقت.
نظرت له بامتنان، فنهض من مكانه وهو يهتف:
- أستنيني ٥ دقايق هالبس هدومي وأروّحك، مش هاسيبك تمشي لوحدك.
- أيوه بس...
قاطعها بحسم:
- اسمعى الكلام، علشان أطمن عليكِ، وافقى بمزاجك علشان كده كده هاعمل اللي في دماغي.

نظرت له مبتسمة وهزت رأسها موافقة، فانطلق هو نحو غرفته وظلت هى جالسة، ثم ابتسمت وهى تحدث نفسها:

- الله يرحمك يا "رضوى"، كان عندك حق إنك تحبيه كده.

*****

نظر "عماد السرجاني" إلى سكرتيرته بضيق حينما اقتحمت مكتبه فبادرت بالقول:

- انا آسفة فيه واحد عاوز يقابلك، ولما قلت له إنك في اجتماع صمم إنك تشوف الورقة دي.

تناول منها الورقة بحدة وهو يقرأ مافيها، كان يبدو أن ما في تلك الورقة أثار انتباهه بشدة حتى أنه بدأ يعيد قراءة المكتوب فيها أكثر من مرة، وعلى وجهه علامات التفكير الشديد، وظل صامتاً لثوان قبل أن ينظر إلى السكرتيرة ويسألها باهتمام:

- اسمه إيه؟

- "علاء داغر".

*****

رغم الإرهاق الواضح على "عيسي" إلا أن الغضب كان يعلو ملامحه بشدة، اعتدل على فراشه بصعوبة وأمسك هاتفه الذى سمح له الاطباء بالحصول عليه؛ ثم وضع الهاتف إلى جواره وشفتاه تتحركان بكل سباب الدنيا.

وبعد لحظات سمع صوت طرقا على باب الغرفة؛ ثم انفتح الباب بهدوء و"ممدوح" يدخل ويسحب كرسياً ليجلس بجوار الفراش وهو يستند بمرفقيه على ركبتيه ويقترب بوجهه من "عيسي" وهو يقول:

- حمد الله على السلامة يا "عيسي"

خيانة

وقفت "ياسمين" في شرفة غرفتها وهى تشعر بألم رهيب في رأسها، فعيناها لم تعرفا النوم منذ ثلاثة أيام كاملة، لم يكن يُشغل تفكيرها سوى ما فعلته بـ"أكرم" ثم موت "رضوى"، لقد أصبح ضميرها يصرخ في رأسها في كل ثانية، يطاردها دائماً ذلك الشعور بأن ما فعلته بـ"أكرم" هو الذى تسبب له بكل الألم، وتسبب في وفاة صديقتها، كانت تظن أنها لن تشعر بالذنب طالما أن هناك مبرراً لما فعلته. كانت تفكر أين المفر؟ هل تفقد "أكرم" إلى الأبد باعترافها، أم تحتفظ بفرصة أخرى لتحظى بقلبه؟ ورغم تفكيرها طوال الوقت، إلا أنها لم تتمكن من الإجابة.

*****

بدت عينا "عيسي" تشعان بالغضب، كما لو كانت فوهة بركانية قد تنفجر منها الحمم في أى وقت وهو ينظر إلى "ممدوح"، ولا يبالي "ممدوح" بتلك النظرات ولكنها أثارت دهشته فتساءل:

- مالك؟

- ممكن تفهمني اللي حصل؟ ضرب النار وجواب التهديد اللي اتبعت لـ"محمود"؟

- جاى أسألك نفس السؤال.

ظلت عينا "عيسي" تحمل كل إمارات الغضب والشك فاستطرد "ممدوح":

- "عيسي"، انا ماعرفتش اللي حصل إلا لما "محمود" جه الشركة، معقول هاعمل كده معاك؟!

- أمال مين؟

- ماعرفش، وانا جيت دلوقتى علشان أسألك، "محمود" عرف مين اللى عمل كده؟

- لأ، بس جايز شاكك في "فتحي".

- اللى عمل كده كان عاوزه يشك في "فتحي".

عاد "ممدوح" بظهره إلى الخلف مستطرداً بصرامة:

- احنا مش هنعمل كده معاك وانت بتساعدنا كل المساعدات دي، ولو كنا عاوزين كان هيبقى لما حضرتك بعتت الجواب بتاع الرسمة لبيت "محمود".

بدا على وجه "عيسي" الإنزعاج وهو يتمتم:

- كنت باحاول أخلي تفكيره يبعد عن "فتحي"، وبعتت له الرسمة علشان يركز في قضية "كامل" والرسمة اللي لقاها في البيت.

بدا صوت "ممدوح" عصبياً وهو يقول:

- وكانت النتيجة إنه بقى يشك في "فتحي" أكتر لما اتصرفت من دماغك، ودلوقتي شكوكه زادت علشان فيه طرف تالت عاوز كده.

بدأ "عيسي" ينفعل وهو يقول:

- ماتلومنيش، انا ساعدتكو كتير، وخليتك دخلت بيت "كامل"، وكنت باقول لك خطوات "محمود".

قاطعه "ممدوح" بحدة:

- مش هنتناقش ونضيع الوقت، انا جيت أفهم منك لأن ماكنش ينفع أتكلم في التليفون معاك وانت فاكر إننا اللى عملنا كده.

عاد "ممدوح" مرة أخرى للاقتراب من وجه "عيسي" وهو يستطرد:

- شوف يا "عيسي"، كل اللى ساعدتنا فيه إحنا فاكرينه، كل اللي عاوزه إنك

تعرف "محمود" ناوي على إيه علشان أكيد هيستغل اللي حصل ده.
بدأ "عيسي" يستعيد هدوءه وهو يقول:
- أول ما أعرف حاجة هابلغك .
فتحت الممرضة في تلك اللحظة باب الغرفة وهي تهمس في خوف:
- خلاص ولا لسه يا أستاذ، انا هتأذي لو حد شافك.
نظر لها بهدوء وتوجه إلى الخارج بحذر حتى لا يلمحه أحد، أما "عيسي" فقد أسند رأسه على الوسادة وهو شارد الذهن، يحاول أن يجد إجابة لسؤاله، إن لم يكن "فتحي" هو من قام بذلك، من إذاً؟ولماذا؟

*****

كان "علاء" في ذلك الصباح لديه شعور غاب عنه كثيراً، حتى أنه كان قد نسي أن بإمكانه الشعور بذلك الإحساس مرة أخرى، إحساس الوحدة، والتي قد يلجأ إليها المرء برغبته عندما يخيب ظنه فيمن حوله ويفقد إيمانه بكل شيء، وقد يكون الإنسان مرغماً عليها ومضطرا للتعايش مع مذاقها المُر، والذي يحيل حياة المرء إلى جحيم، ولكن أسوأ ما في الوحدة أن تختارها أنت لأنك تجد فيها من يفهمك، وهو أنت فقط، وتقرر الاكتفاء بذاتك فقط.
كان يتعجب من ذلك الإحساس الذي يغمره بالوحدة، فظل يتذكر أوقاته السعيدة مع صديقه "عمر"، ولحظات الحب مع "رضوى"؛ كان يفتقد كل تلك الأمور، يبحث عنها كطفل ضائع في ساحة مزدحمة يبحث عن أمه.
زفر بقوة وهو يحاول طرد تلك الأفكار التي تعبث في رأسه. كلمات "عمر" الأخيرة سببت له نوعا من الرغبة في العودة لسابق عهده، فرغم ما حدث وجد "عمر" أنه مازال يحاول الحفاظ عليه كصديق، وهو ما جعله يفكر في العدول

عما يسعى إليه والاكتفاء بما حققه، ولكنه كان دائماً يشعر بخوف من التوقف، خوف نابع من رغبته في أن لا تعود أموره بائسة كما كانت. إنه لم يمتلك شيئاً حتى بدأ في السير في ذلك الطريق الملئ بالمكاسب التي تُذهب العقل وتفقده السيطرة كما لو كانت كؤوساً من الخمر.

زفر مرة أخرى في ضيق وهو يتساءل بتعجب، كيف يكون أحمقًا ليفكر في التخلى عن كل ما وصل إليه؟ بل كيف يكون أحمقًا بأن يسمح لبعض الأفكار أن توقفه، وهى أفكار لم تعطه الكثير عندما كان يؤمن بها، لم يعرف معها سوى مرارة اليأس والإحباط. ابتسم عندما وصل لتلك النقطة، الآن يعلم ما يريد، يعلم أنه يريد الاستمرار حتى وإن كان وحيداً، فهو يعشق أن يظل يحتسي خمر القوة والسيطرة على أن يعيش راهباً في كهوف الضعف ويموت دون أن يشعر به أحد.

*****

كان "ممدوح" يهز رأسه في عدم فهم وهو جالس أمام "فتحي" في مكتبه وهو يصيح مستنكراً:

- أنا مابقتش فاهم الواد ده بيعمل إيه!! إيه اللي خلاه يروح لـ"عماد"؟ ليه مابيقولش اللي في دماغه، ما هو يمكن ناوي على خيانة.

عاد "فتحي" بظهره إلى الوراء على كرسيه وهو يضع كفيه خلف رأسه قائلاً:

- ماكنش هيقول لنا إنه هيروح لـ"عماد".

لم يرد "ممدوح" وهو ينظر إلى "فتحي" بحيرة الذي أخذ نفساً عميقاً وأخرجه وهو يغمغم:

- طول ما هو بيعمل اللي في مصلحتي يبقى مش مهم يعمله إزاي، المهم

يخلصني من "عماد" و"ماجد".
بدا "ممدوح" متردداً وهو يتساءل:
- ولو عرفنا نخلص من "ماجد"، هنضمن منين نعرف نمشي شغلنا زى ما بمنشيه دلوقتى؟
اعتدل "فتحي" على كرسيه وأجابه بهدوء:
- "ماجد" زى ما بيساعدنا هو برضه شوكة في ضهرنا، بس انا مبسوط إنك قلقان من "علاء"، هو حاسس بكده وده هيخليه ياخد باله ويحسب أي خطوة قبل ما يعملها.
لم يعقب "ممدوح" وظل صامتاً وهو يفكر في تلك الكلمات، كم من الصعب أن يثق في"علاء"، ولكنه مُجبر على ذلك حتى الآن.

*****

جلس "أكرم" في تلك الكافيتريا وهو ينظر إلى "ياسمين" التي بدت شديدة التوتر حتى أنه سألها:
- تحبي نقوم؟ انتِ قلتِ عاوزاني ضروري، وبقى لك ربع ساعة مابتتكلميش، انت كويسة؟
خفضت رأسها وهى تقول في ألم واضح، وعلا صوتها الذي تحشرج بالدموع:
- اللي هاقوله صعب وخايفة من نتيجته.
لاحظ الخوف والدموع التى تملأ صوتها فقال لها مطمئناً:
- ماتخافيش، اتكلمي.
- انا السبب انك مشيت من الفرقة؟
نظر لها وهو يقول بحيرة:

- اللي اعرفه إن "علاء" هو اللي قال لـ"رفعت" وإن...

قاطعته مسرعة خشية أن تتخلى عنها شجاعتها وتعود إلى صمتها:

- هو اللي عمل كده، بس انا ساعدته، زى ما خلاني أقول لك على اللي كان بينه وبين "رضوى"، هو قال لي أقول إيه لـ"رفعت" علشان تبتدي معاك المشاكل.

نظر لها بتعجب فأدركت أن عليها المواصلة فاستطردت بصوت متهدج:

- كنت فاكرة إني كده هاوصلك وإنك كده مش هتضيع مني، كان كل همي إنك تحبني زى ما بحبك، وكنت ببعدك عن "رضوى" علشان تحس بيَّ.

- خنتِ "رضوى"؟!

- لا مش خيانة.

حاول أن يتمالك غضبه وهو يضغط على أسنانه قائلاً:

- لأ خنتي صاحبتك، إنتِ كنتِ بتستعملى حياتها الشخصية عشان مصلحتك، خنتيها لما اتسببتى إني أمشي من الفرقة وهى بقت لوحدها، كل ده مش خيانة لـ"رضوى" بس، ده خيانة ليَّ انا كمان، إحنا كنا صحاب وانا ماباثقش في حد بس كنت باثق فيكِ انتِ.

- أرجوك يا "أكرم" ماتضغطش عليَّ أكتر.

- ماضغطش عليكِ!! انتِ مافكرتيش إلا في نفسك وسعادتك، ومابصتيش ليَّ ولا لـ"رضوى".

لم تستطع الرد أو الدفاع عن نفسها، فقد كانت تعلم أنه محق، كانت تعلم بالفعل أن ما قامت به يقع تحت دائرة الخيانة.

شعرت بدوار من دوي الكلمات التي كان "أكرم" يقولها، كانت كل كلمة منه كخنجر حاد ينغرز في قلبها مئات المرات. إحساس الذنب القاتل لن يتركها..

سيكتنفها تماماً.

قرر السكوت والاكتفاء، فقد كانت عيناها تصرخ بالألم والندم، وتتوسل إليه كي يصمت، كما أنها أحبته، وحين نحب قد نقع في الكثير من الحماقات. ظلا صامتين لدقيقة قبل أن ينهض وهو يغمغم بضيق:

- كنتِ من أقرب اصحابي، هاحتاج ماتكلمش معاكِ لحد ما انسى اللي عملتيه، أو على الأقل انسى اللي وصلت له بسببك.

قالها وانصرف، وبمجرد رحيله ذرفت عيناها الدموع بشدة وهي تتابعه ببصرها حتى غاب عنه تماماً، ظلت دموع عينيها تنزف بغزارة كما لو أنها تمثل كل الكلمات التي كانت تتمنى أن تقولها ولم تتمكن.

*****

أغمض "محمود" عينيه في تفكير عميق وهو يشعر أنه في الطريق نحو الخيانة !! خيانة أفكاره ومبادئه التي اعتاد عليها، خيانة القسم الذى أقسمه حين التحق بالشرطة، خيانة لن تضر سواه، ولكنه كان يجد كل الطرق تؤدي إليها، فكم يكون صعباً عندما تجد أنك تصير مجبراً على المضي في طريق تبغضه، طريق كنت تتمنى ألا تتوجه إليه، ولكنه عقلك الذي يجعلك تفكر في الأمور التي تعلم جيداً مدى أهميتها، وتعلم جيداً مدى خوفك من فقدانها.

اعتدل بفزع حينما دخلت "سارة" إلى الغرفة وهى تقول:

- أنا خبطت بس انت كنت سرحان.

أشار إليها بإن كل شيء على ما يرام فقالت وهي تجلس أمامه:

- قلت لـ"عيسي" إنه يتهم "فتحي"؟

هز رأسه علامة النفي وبدا شارداً وهو يقول:

- مش هاقول له ، هو يقول اللي عاوزه.

فجرت جملته داخلها بركانا من الدهشة بدت واضحة في صوتها وهى تقول بحيرة:

- ليه ؟! مش انت كنت عاوز تستغل ده علشان توصل لـ"فتحي".

نهض من مكانه وتحرك في بطء حول المكتب وجلس على الكرسي المواجه لها وهو يقول:

- وبعدين؟ ده هيخليني أعرف إيه؟ قصة الرسمة، ولا جثة "كامل" راحت فين؟ ولا هاوصل لحقيقة العلاقة بين "كامل" و"فتحي"، أو ضرب النار على "عيسي"،؟!

ظلت تتأمله بصمت واستطرد وهو يهز رأسه بيأس:

- مش هاوصل لحاجة، انا اتشتت في القضية دي.

نظرت إليه نظرة شك طويلة وهى تغمغم:

- انت قلقان من حاجة؟

عدلت "سارة" من وضع منظارها الطبي وهي تقول:

- تهديد "فتحي"؟

زفر في ضيق واضح مغمغماً:

- مش عارف، قلقان إنى أكمل، انا اتشتت ورا كل خيط، وخايف أكون حطيت نفسي في دايرة أوهام، وجه في الآخر موت "رفعت" لخبطني أكتر.

هتفت بفزع:

- "محمد رفعت" مات؟ إزاى؟

- القضية مش معايا، واحد زميلى ماسكها، هو بلغني علشان عارف إني كنت

ماسك قضية "كامل"، ولما يعرف مات من إيه هيبلغنى، التحقيق هيبان فيه كل حاجة.

حاولت أن تعود لهدوئها وهى تقول:

- لو ده اللي مخليك قلقان يبقى انت غلطان، بالعكس، موت "رفعت" ممكن يوصلنا لحاجة نفتح بيها قضية "كامل"، انا لحد دلوقتى مش مقتنعة بكل حاجة كفاية موضوع الرسمة.

- دي قصة وشوية تخاريف.

- بس إنك تلاقيها مرسومة في شقة "كامل" ده دليل أن فيه حاجة غلط، مافيش إنسان طبيعي بتبقى فيه رسمة زي دي على الحيطة في بيته.

- بس موت "كامل" طبيعي.

- الحاجات الغريبة اللي بتحصل هي اللي مخلياك بتفكر، حريق الشقة والكمانجة اللي فضلت سليمة في الحريق، مش جايز "كامل" اتقتل بس القاتل عمل جريمته صح علشان تبان انتحار.

- ولو زي ما بتقولي إنها جريمة، يبقي إيه معنى الرسمة، القاتل رسمها؟ طيب ليه؟

قالت في تصميم:

- أكيد ليها معنى، انت مااهتمتش بيها، لو بصيت على اللي حصل هتلاقي كل ما بتبدى تفكر في الرسمة بتحصل حاجة تشتت تركيزك بعيد عنها.

وقبل أن يرد عليها ارتفع رنين هاتفه فرد عليه سريعاً:

- أيوه يا "مصطفي"، عرفتوا سبب الوفاة؟

كان يستمع باهتمام، ولكن بدأت علامات خيبة الأمل تغزو وجهه، وبدا

متردداً في إلقاء سؤال آخر قبل أن يحسم أمره قائلاً:

- قولى يا "مصطفي" مالقتوش أى رسمة غريبة في بيت "رفعت"؟ طيب، شكراً.

وما إن أغلق الهاتف حتى نظرت له "سارة" بلهفة، ولكنه هز رأسه بيأس قائلاً:

- ولا حاجة، "رفعت" مات بأزمة قلبية، ومالقيوش حاجة غريبة في بيته، ولا حتى الرسمة.

- يبقى مافيش إلا الحل بتاع "عيسي"، يمكن يوصلنا لحاجة، بلاش تتراجع، وحاول لآخر أمل، علشان لو ماكملتش دى خيانة لمبادئك.

ابتسم ابتسامة باهتة وهو يغمغم:

- تصدقى وانتِ داخلة كنت بافكر في نفس الكلام دة، خايف أخون مبادئى بإنى ماكملش.

نهضت بحماس هاتفة:

- يبقى متفقين، يلا نروح لـ"عيسي" نقول له، وبعد كده تروح بيتك ترتاح علشان تقدر تفكر بهدوء.

انتقل حماسها إليه فخرجا مسرعين ليتوجها إلى "عيسي"، وكل منهما يأمل في أن تكون تلك خطوة جديدة لفهم الكثير.

*****

السيطرة شعور ساحر، إحساس قاتل، إن تمكنت من الحصول عليه قد تقتل بداخلك الإنسانية وحب الغير. في تلك اللحظة، كان "فتحي يشعر بالفعل أنه تمكن من الحصول على تلك السيطرة وهو يتحدث مع "ماجد" عبر الهاتف،

فكانت المرة الأولى التى يشعر فيها أنه الأقوى، المرة الأولى التي يشعر فيها أنه يملك زمام الأمور، ورغم حديث "ماجد" العصبي إلا أن "فتحي" كان هادئاً كمن يستمتع بأغنية عذبة؛ مزيج رائع لموسيقى من الغضب وكلمات من قوة السيطرة لم يشعر بعذوبتها من قبل، فرغم كل غضب "ماجد" أجابه بهدوء:

- انا مش باتحداك.

زاد الغضب في صوت "ماجد" وهو يصرخ:

- قلت لك ١٠٠ مرة تبعد عن "عماد السرجانى"، وانت برضه بعتت له الواد اللى اسمه "علاء" يهدده، ده تسميه إيه؟

ظل "فتحي" هادئاً وهو يجيب:

- أولاً "علاء" مش شغال معايا انا بامول حفلاته بس، الحاجات الاجتماعية اللي متفقين عليها، ثانياً انا ماطلبتش منه يروح لـ"عماد".

- وبيهدد "عماد" ليه؟

- مااعرفش، اسأله.

سأله بحيرة:

- اسأل مين؟

- اسأل "علاء" بنفسك.

انفجر "ماجد" غاضباً:

- انت اتجننت، انت فاكرنى فاضي لعيل زى ده، انا اللي عاوزه إنه يبعد عن "عماد".

- انا ممكن أخليه يبعد عن "عماد"، بس انا مش فاهم انت متعصب ليه؟ انت

قلتها ده عيل يبقى تخاف منه ليه؟

- طريقتك في الكلام مش مريحاني يا "فتحي" و...

قطع حديثه عندما تناهي إلى مسامعه عبر الهاتف صوت عزف على الكمان فتساءل بغضب:

- هو عندك؟!

- أه، والصراحة هو قال دلوقت إنه عمل كده علشان تيجى حفلته.

صرخ بغضب مرة أخرى:

- حفلة إيه؟ هو الواد ده مجنون؟

لم يعلق "فتحي" وظل صامتاً واستمر صوت عزف الكمان فصاح:

- خليه يبطل عزف ورد عليَّ.

- أدينى بطلت عزف، مبسوط إني سمعت صوتك.

كان ذلك مفاجئاً بشدة لـ"ماجد" عندما سمع صوت "علاء" يحدثه بدلاً من"فتحي"، وأكمل بهدوئه المستفز:

- كنت باخليك تسمع جزء من المقطوعة الجديدة، انت أول واحد يسمعها.

- عاوز إيه؟

- لما هاقابلك الأحد الجاى الساعة ٨ هتعرف أنا عاوز إيه.

أطلق "ماجد" ضحكة عصبية هاتفاً:

- انت متأكد إني جاى كمان المعاد اللي انت بتختاره؟!

- والمكان كمان انا حددته، ڤيلا "فتحي"، هتيجى علشان هتحتاجنى.

- انت مجنون وانا هاعرف أربيك إزاي انت و"فتحي" اللي ماشي وراك.

قالها وأغلق الهاتف فابتسم "علاء" وهو يضع الهاتف فسأله "فتحي":

- يا ترى هيجى؟

- مش ده السؤال الصح، السؤال الصح هنعمل إيه لما يجي؟

جلس "فتحي" على مقعده وهو يتساءل:

- انت واثق إنه جاى؟

هز رأسه بالإيجاب فاستطرد "فتحي":

- إيه اللى مخليك متأكد؟

رفع سبابته وهو يجيب:

- الغرور، اللي زى "ماجد" متعود إنه الأقوى، ولما تهين غروره وتحسسه إنه ضعيف هيبقى عاوز يثبت قوته بأى شكل، وهيضطر إيجيلك بنفسه علشان يفضل محافظ على كبريائه إنه مش خايف منك وجه بنفسه.

- وانت كده أهنت غروره؟

ابتسم "علاء" ابتسامة واسعة وهو يقول:

- صوته كان بيقول كده.

ابتسم "فتحي" بدوره وهو يقول:

- عندك حق، بس انت هتعمل إيه لما تقابله؟!

- قلت لك قبل كده، الجزء الصعب إني أقنعه يجي، الباقى هيبقى أسهل كتير.

لم يعقب "فتحي" على جملته فقد أصبح على يقين كامل بقدرة "علاء" على تنفيذ أي شئ مهما بدا صعباً، في حين كان الأخير يشعر أكثر بالقوة والسيطرة...

*****

بعد خروج "سارة" و"محمود" من غرفة "عيسي"، جلس الأخير يفكر بعمق ثم أخرج هاتفه ليتحدث إلى "ممدوح"، وما هى إلا ثوان حتى رد الأخير فقال مسرعًا:

- "محمود" لسه ماشي من عندي، وعاوزني في التحقيق أتهم "فتحي" إنه هو اللي حاول يقتلني، عاوز يضغط عليه ويوصل معاه لحاجة في موضوع "كامل".

ظل "ممدوح" صامتاً ولم يسمع "عيسي" سوى صوت أنفاسه التى أخذت تتردد في أذنه بوضوح لتدل على توتر بالغ، قبل أن يقول:

- هتقول إيه في التحقيق؟

- اللي "محمود" طلبه.

احتد صوت "ممدوح" قائلاً:

- انت بتقول إيه؟ هتتهم "فتحي"!!

- لازم أعمل كده، انا حاولت أقنع "محمود" إن الفكرة دى غلط، بس هو مصمم، ولو رفضت وماعملتش اللي هو عاوزه هيشك فيَّ.

قال "ممدوح" مفكراً:

- إحنا كده هنرجع للمشاكل.

- ماعنديش حلول تانية.

زفر "ممدوح" بحدة في حين بدا صوت "عيسي" متوتر وهو يقول:

- فيه حاجة كمان، "سارة" أول ما أوجه إتهام لـ"فتحي" هتنشر اللي هاقوله وتفاصيل الحادثة.

قال "ممدوح" بحدة:

- البت دى مش هتسكت، مش قلت انت هتتصرف؟!
- حاولت معاها بكذا طريقة وحاولت أقرب منها أكتر وأقول لها إني باحبها والكلام ده كله علشان تبقى تحت طوعي بس ماعرفتش ورفضت، هاحاول معاها بطريقة تانية.
بدا صوت "ممدوح" غاضباً وهو يغمغم:
- فيه أكتر من طريقة يا "عيسي" بس أنا محتاج منك تعمل حاجة تانية.
- إيه هى؟

*****

عندما كان "أكرم" يسير في الشارع عائداً إلى منزله، كان يشعر بقدر هائل من الغضب، لم يشعر به في حياته، فقد كان اعتراف "ياسمين" له كقنبلة انفجرت في وجهه لتتناثر معها ما تبقى منه من قدرة تحمل، ورغم أنه كان يشعر بضلوع "علاء" بكل ما حدث، إلا أنه شعر كما لو كان تلقى ضربة شديدة، كان سبب ألمها الرئيسي هو اشتراك "ياسمين" معه، فكان تدخلها هو ما يؤلمه حقاً، كانت شخصًا يثق به تمامًا، وكم يكون مؤلماً عندما تجد أن أقرب الأشخاص إليك هم من خانوك.
كانت مشاعره خليطًا من الغضب والكراهية والحزن والألم، ولكن كل أفكاره توقفت عند اسم واحد فقط، "علاء"، كان يدرك أنه السبب الأول فيما حدث، حتى وإن كانت "ياسمين" ساعدته ولكنه استغلها، استغل ضعفها الذى وُلد من رحم الحب وجعلها على استعداد لتفعل أى شيء، وكان هو منتظراً، يتحين الفرصة لكي يستغل ذلك الضعف، ويحوله لما يخدمه هو فقط دون غيره، ودون أن يهتم بما قد يصيب غيره.

أثناء سيره شارداً استوقفه صوت مألوف يُنادى عليه بإصرار، التفت ليجد "سيد" يهرول نحوه وهو يهتف:

- عمال أنادى عليك.

ربت على كتفه وهو يقول بهدوء:

- كنت سرحان شوية يا "سيد" ماعلش، عاوز حاجة؟

- لا باطمن عليك، انت كويس؟

- لسه عايش.

قالها بألم شديد جعل الكلمة تبدو كما لو كانت تخرج من قبر مغلق منذ سنوات عديدة، ولم يجد من يزوره يوماً، فساله "سيد":

- شكللك مايطمنش، خير؟

لم يجب "أكرم"؛ فتأكد "سيد" أنه يعاني من ألم بالغ، فألح عليه للقدوم معه نحو الكشك وأحضر له كرسياً ليجلس عليه قبل أن يعاود سؤاله مرة أخرى:

- إيه اللى حصل؟

نظر "أكرم" نحو السماء وهو يغمغم بشرود:

- ساعات سواد الليل باحس إنه بقى منور أكتر من العتمة اللى جوايا، جوايا سواد عمال يزيد ويخنق فيَّ، لما تلاقى اللى بتحبه بيسيبك ويسيب الدنيا كلها، ولما تلاقى اللى كنت بتثق فيهم مقسومين نصين، نص بيصدق عليك أى حاجة تتقال والنص التاني بيخونك، بتحس ساعتها إن فيه سواد وعتمة بتعشش على قلبك زى العنكبوت اللى بيعشش في سقف بيت قديم ومهجور.

- بس الدنيا مش سودة قوى كده.

- يمكن مش سودة، بس هى معايا بقت سودة، عشان أصعب حاجة لما تلاقي الوجع جالك من الناس القريبة، احنا مابنحسش بالوجع من اللي بيحصل قد ما بنتوجع لما نشوف إن اللي وجعنا هو أقرب حد لينا، ويفضل قلبي مليان والعتمة معششة فيه وحاسس إني محتاج آخد حقى.

- من الدنيا؟

- لأ، من اللي بيغيروا الدنيا، الدنيا مش وحشة، بس الإنسان هو اللي بيبقى عدوها، من غير الإنسان الدنيا كانت هتبقى أبسط.

- ربنا خلق الإنسان عشان يعمر الأرض.

- الإنسان مابقاش مشغول إنه يعمرها، بقى مشغول إزاى يجري فيها ويدوس على كل حاجة علشان يكسب، نسينا الهدف اللي ربنا خلقنا علشانه، بقينا بدل ما نعمرها بنتفنن إزاي ندوس على بعض، ونعمل كل حاجة، قتل، سرقة، حقد، حروب، دمار، بقينا عالة على الأرض.

ظل "سيد" ينظر إليه بصمت؛ فنظراته وكلماته كانت توحي أن ما يحمله بداخله يفوق بكثير كل ما نطق به، يفوق أن يذهب بكلمات بسيطة، فكلما أراد أن يتحدث يجد أن كل كلمات الأرض لن تسعف "أكرم" الآن ، فسأله بحذر:

- وإحنا نعمل إيه؟ آدينا عايشين.

زفر "أكرم" بعمق وهو يقول بحزم:

- في إيدينا نعمر الدنيا، أو على الأقل ننضفها من اللي عايشين بيضيعوا حلوها ويخلوا الناس تدوق مرها.

- مش فاهم حاجة.

- اعتبرها تخاريف يا "سيد"، انا هاروح.

نظر إليه بإشفاق وهو يهتف:
- لو احتجت حاجة كلمني.
حاول "أكرم" أن يبتسم وهو يتوجه إلي منزله بعد أن تسبب حديثه مع "سيد" في ظهور فكرة صارت تُلح على عقله بشدة.

*****

لم يتوقف عقل "ياسمين" عن الصراخ فيها بكل ما أوتى من قوة منذ تركت "أكرم"؛ كانت تجلس في الكافيه وهى لا تشعر بما حولها، لم يكن عقلها يفكر إلا في حديثها معه. كان يُلح عليها بشدة ويُذكرها بما قامت به، بل ولقد صارت تشعر أنها ربما تكون تسببت في وفاة "رضوى". كان الشعور بالذنب يعتصر قلبها، شعور لا يريد الرحيل وكأنه يأبى أن يتركها إلا حينما تموت، وأكثر ما زاد من ألمها هو موت "رفعت" الذي كانت تعتبره والدها.
لا تدري حقاً كم مرة تمنت الموت خلال تلك الساعات الماضية، ربما أكثر من ألف مرة، ولكن هل سيكون الموت راحة لها، هل هى على استعداد للحساب على ما فعلت، قطع أفكارها صوت "علاء" وهو يجلس في الكرسي المقابل لها ويقول:
- "ياسمين"، سرحانة في إيه؟
نظرت له نظرة صامتة مليئة بالدموع، وإن كانت تلك النظرة الصامتة تخفي بداخلها الكثير من الكلمات.

*****

طرق مختلفة

ظل "علاء" يحدق في "ياسمين" الصامتة وهو يردد:

- ساكتة ليه؟

تمتمت بصوت متهدج وهي تنظر له بعينين تكادان تختفيان وسط شلال من الدموع:

- "رفعت" مات.

- عرفت، انا طلبت أقابلك علشان كده، انا احتمال أكون مدير الفرقة وانتِ هتساعديني و...

قاطعته بصوت مبحوح:

- بس كده؟ ده اللى هنعمله.

نظر لها وهو يقول بحزم:

- الحياة هتقف علشان اللي مات، اللي يموت يموت احنا لسه عايشين وصدرنا بيتنفس يبقى نعيش صح ولا نموت معاهم؟

- انت مابتحسش بالناس خالص يا "علاء"، فقدت أى إحساس جواك بأى حد.

زفر في ضيق وهو يقول:

- قلت لك قبل كده، لما حد هيموت مش هاقعد اصرخ زي النسوان ولا أوقف حياتى، وبعدين انتِ مش قايمة من على السجادة وانا اللي شيطان، انتِ عملتِ حاجات كتير مش محتاج أفكرك فيها.

- عارفة اني غلطت، بس غلطتى الأكبر إني مشيت ورا واحد زيك.

نظر لها بغضب وهو يهتف:

- واحد زيي!! انا كنت جاي أخليكِ دراعي اليمين في الفرقة وبدل ما تشكريني بتعامليني على إني شيطان؟!

- الشيطان ضعيف، بيوسوس للإنسان، إنما الشر كله بيجى مننا إحنا، بنبقى محتاجين زقة صغيرة، وفي الآخر نرمي اللوم على الشيطان، مع أن اللي جوانا أوحش بكتير من الشيطان.

ابتسم وهو يقول ساخراً:

- كلام حلو، عموماً انا كلامي خلص معاكِ، قدامك يومين تعقلي فيهم، لو عقلتِ وقررتِ تشتغلي ابقي تعالي.

- انت إزاي هتمسك الفرقة؟ انت ماعندكش المؤهلات المفروضة علشان تمسك الفرقة، وإزاي واثق إنك هتمسكها وماحدش قال حاجة رسمي؟

نهض من مكانه وهو يقول:

- مش شغلك.

- بس أنا هاقول كل حاجة.

عاد للجلوس وهو ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة ساخرة متسائلاً:

- تقولى إيه؟

- اللى حصل مع "أكرم" وإن انت مش مؤهل تمسك الفرقة.

نظر لها ثم ضحك بسخرية وهو يقول بلامبالاة:

- وهتقولي ده لمين؟ ولو قلتِ تفتكري ده هيضرني؟

ظهرت الحيرة جلية على وجهها فاستطرد:

- شوفتى إزاي انتِ مش عارفة تعملي إيه، انتِ عاوزة تريحي ضميرك، بس صدقيني مش هترتاحي، انتِ هتفضلي كده.

قالها ونهض فاستوقفته:
- لا أنا عارفة هارتاح إزاي، وعارفة إزاي أريح ضميري.
- اللي عندك اعمليه.
- مابتحسش بندم؟
- لأ، معنديش وقت أفكر في الكلام ده.
- ساعات كنت بافتكرك شيطان، بس انت أسوأ، لأنك ماعندكش مبرر للي بتعمله غير الشر.
- يمكن أكون زي الشيطان فعلاً، بس على الأقل انا مش ضعيف زيكم.
- بس مش هابقى زيك.
قالت جملتها الأخيرة بثبات وحزم فنظر إلى عينيها مباشرة لمدة دقيقة، كان يشعر أن عينيها صارتا خاليتين من الانفعالات، ولا تحمل سوى رغبة في الشعور بالراحة، فابتسم ساخراً مرة أخرى وانصرف.
أما "ياسمين" فظلت جالسة في مكانها بصمت وهي تشعر بالخزي.

*****

خرج وكيل النيابة من غرفة "عيسي" بالمستشفى، فهرع إلى الداخل كل من "سارة" و"محمود" والأخير يسأل باهتمام:
- عملت إيه؟
ابتسم "عيسي" مجيباً:
- كله تمام، ولو إني مش فاهم.
- الاتهام ده هيخلينى أحقق مع "فتحي" وهاحاول أوصل لأى حاجة بخصوص قضية "كامل".

- ولو مالقتش حاجة؟
أجابت "سارة":
- يا أخي اتفائل، دي محاولة أخيرة.
جلس "محمود" وهو يقول:
- دي آخر محاولة لو ماعرفتش أوصل لحاجة مهمة هاقفل الموضوع ده خالص.
سأله "عيسي" بحذر:
- أنا مش فاهم لحد دلوقتى أنت ليه مصمم إن فيه حاجة في قضية "كامل".
- نفس الأسباب اللي قلت لك عليها قبل كده، وكمان العلاقة بين "كامل" و"فتحي" اللى ماحدش عاوز يتكلم عنها، ممكن يكون وراها الحاجة اللي تخليني أثبت كل مصايب "فتحي" وأرميه في السجن.
- انا لحد دلوقتى شايف أن انت مكبر الموضوع.
تدخلت "سارة" تلك المرة هاتفة:
- والرصاصة اللي انت خدتها؟
أجاب "عيسي" ببساطة:
- انتِ قلتِ لي "محمود" نفسه مش مقتنع إن "فتحي" اللي عمل كده.
رفع "محمود" سبابته أمام وجهه قائلاً:
- يبقى أكيد فيه طرف تالت عاوز يوصلنا لحاجة أو يخبي حاجة.
عاد "عيسي" بظهره إلى الوراء مفكراً، فاستطرد "محمود":
- و"سارة" لما تنشر حادثتك واتهامك لـ"فتحي" ده هيبقى ضغط عليه.
بدا "عيسي" شارداً حتى أن "سارة" هزت كتفه وهى تصيح:

- رحت فين؟

نظر لها وهو يجيب بهدوء:

- لا مافيش بافكر في اللي بتقولوه.

وقبل أن يعقب أحد منهما على جملته استطرد محاولاً تغيير دفة الحديث:

- الدكتور ماقالش هاخرج امتى؟

- يومين تلاتة وهتخرج، انا ماشي أشوف التحقيق وهابقى أجيلك تانى.

تحركت "سارة" نحو الباب هاتفة:

- خدنى في طريقك، ألحق أروح الجورنال، أشوفك بعدين يا "عيسي".

لم ينتبه "عيسي" لهما وعاد لشروده، ثم أخرج هاتفه بهدوء وبدأ بالاتصال بـ"ممدوح" ليخبره بما حدث.

*****

مرت الأيام، "عيسي" كما هو ينقل تحركات "محمود" إلى "ممدوح"، الذى بات بدوره يحاول الوصول إلى أى شيء ليعلم نوايا "علاء".

و"محمود" يعيش وسط الأدلة ليكتشف حقيقة موت "كامل"، أو يعلم طبيعة علاقته بـ"فتحي".

"فتحي" صار كالماريونيت في يد "علاء" يحركه كيفما شاء وقتما شاء.

و"سارة" مازالت تدفن أحزانها في العمل في كل اتجاه في كل الأوقات حتى لا تصير فريسة للحزن الذي يغرس أنيابه ومخالبه في قلبها ويرديها قتيلة.

و"أكرم" أصبح لا يهتم سوى بالبحث عن طريقة للانتقام من "علاء"، والذى مازال صديقه الوحيد "عمر" يحاول أن يعيده إلى رشده دون جدوى.

فـ"علاء" ترك نفسه لشيطانه يجول بداخله، وجعله يدمر كل ما أمامه، ومن أمامه للوصول لأهدافه والسيطرة على كل ما حوله حتى وإن كان على حساب الآخرين.

كل منهم صار له أهدافه التي يحيا فقط لتحقيقها، أو يحمل بداخله ما يريد الهروب منه، كل منهم صار في عالم آخر بعيد عن أي شيء، وكلها في النهاية عوالم موازية تسير متجاورة حتى تحين اللحظة الحاسمة، اللحظة التي ستعود فيها تلك العوالم إلى نقطة واحدة، نقطة النهاية.

*****

خرج "علاء" من دار الأوبرا في هدوء واستقل سيارته، كل شيء يبدو طبيعياً هادئاً، إلا من "أكرم" الذي كان يراقبه خلسة، فقد بدأ مراقبته منذ ثلاثة أيام. لم يكن يدري لم يراقبه، ولكنها الكراهية التي صارت تملأ قلبه؛ فكان يراقبه لئلا يجد أمرًا ما يتورط به، خاصة بعد أن علم بموت "رفعت". كان يشعر دوماً أن "علاء" يخفي شيئاً ما، فصار يراقبه كالظل، ولكنه كان يشعر بالإحباط بنهاية كل يوم؛ فكل يوم ينتهى كبدايته بلا جديد، كل شيء طبيعي ولا يثير الشك.

هل جعلته الكراهية يعتقد أن "علاء" يخفي أمراً ما؟ هل جعلته الرغبة في الانتقام يسير خلف إنسان ربما يكون لا يحمل ما يدينه؟ ولكنه هو من تسبب في طرده من الفرقة، بالتأكيد يحمل سر ما.

كانت تلك الأفكار تكتنف عقله كل يوم وهو يراقب "علاء" حتى ينتهي اليوم، كان يتحرك بسيارته خلف سيارة الأخير وهو يشعر أنه ربما يضيع وقته فقط. كان يهُم بنسيان الموضوع برمته والعدول عن المراقبة، ولكنه وجده يغير مساره اليوم، إنه لا يسلك الطريق نحو منزله، بل يتوجه إلى نقطة جديدة،

حسم "أكرم" قراره أن يسير خلفه على أن تكون تلك المرة الأخيرة إن لم يكتشف شيئاً.

توقف "علاء" أمام إحدى البنايات في مصر الجديدة، ولكنه ظل في سيارته دون حركة وكأنما ينتظر حدوث شيء، وبدوره انتظر "أكرم"؛ وقد ملأ كيانه إحساس قوي أن هناك أمرا ما على وشك الحدوث.

*****

طرق "عيسي" باب الشقة ولم ينتظر سوى ثوان حتى فتح "ممدوح" الباب، كان وجه "عيسي" يبدو متوتراً فطلب منه "ممدوح" الجلوس وهو يسأله:

- مالك؟

- لا أبداً، بس عرفت من "سارة" أنها النهارده هتنشر الحادثة بتاعتي.

- وإيه المشكلة؟ اتصرفنا، "جابر عطاالله" رئيس التحرير بيعمل اللي إحنا عاوزينه.

بدأ "عيسي" يهدأ قليلاً وهو يتساءل:

- التحقيق بتاع الحادثة بتاعتى ابتدا، حصل إيه مع "فتحي" باشا؟

أجاب "ممدوح" بنفس الهدوء:

- التحقيق ابتدا امبارح، و"محمود" ماجاش حقق، ظابط تانى اللي جه.

عقد "عيسي" حاجبيه مفكراً:

- غريبة، ده كان مستني الفرصة دي.

- مش عاوز يظهر في الصورة على طول، المهم، انت عرفت حاجة عن "علاء"؟

- خليت ناس يدعبسوا وراه، بس مافيش حاجة عليه، انت قلقان منه ليه؟

- فيه حاجة مش مريحانى، الأسرار اللي عارفها، الطرق اللي بيستعملها علشان ينفذ اللي عاوزه، ثقته دايماً إنه هيوصل للي عاوزه وطريقة كلامه، كل ده بيخلينى أشك فيه.

- ماأنا قلت لك هو مالوش دعوة بالبوليس.

زفر "ممدوح" في ضيق وهو يغمغم:

- ممكن شغال مع نفسه وساعتها يبقى أخطر لأنه مش هيشوف إلا مصلحته.

- مافيش حاجة لاحظتها غير إنه بقى له يومين بيروح ڤيلا "عماد السرجانى".

شبك "ممدوح" أصابعه أمام وجهه متسائلاً:

- "عماد السرجانى"!! ماتعرفش كان بيعمل إيه؟

هز رأسه نفياً، فشرد "ممدوح" ببصره كما لو كان يحدث نفسه وهو يهمس:

- ده ماقالش إنه هيروح تاني لـ"عماد"، إيه اللي وداه؟

- تفتكر هو اللي ضرب عليَّ نار؟

- مااعرفش يا "عيسي"، بس موضوع "عماد" ده مش مريح، محتاج أتأكد من شوية حاجات.

ولم يكونا يدركان في تلك اللحظة التي يتحدثان فيها عن "علاء"، إنه يقف بسيارته أسفل البناية وكأنما ينتظر نهاية حديثهما. وبالفعل هبط من سيارته وعدل من وضع ثيابه وتوجه إلى داخل المبنى وفي يده حقيبة الكمان؛ تحرك "أكرم" بدوره وتوجه إلى داخل البناية ليعرف إلى أين يتوجه "علاء".

في نفس التوقيت كان "عيسي" يخرج من الشقة ويتوجه إلى الاسفل ولكنه وجد المصعد يتوقف بنفس الطابق فاختبأ سريعاً خشية أن يراه أحد، واندهش عندما رأى "علاء" يطرق الباب و"ممدوح" يفتح له وعلى وجهه كل أمارات

الدهشة، والأول يدلف إلى الداخل وعلى وجهه ابتسامة عريضة، و"ممدوح" يغلق الباب بعنف.

توجه ب نحو المصعد سريعاً للهبوط، وكان "أكرم" يراقب لوحة المصعد بعد صعود "علاء" ليجدها توقفت عند الطابق الخامس، فقرر الصعود بدوره، وضغط زر استدعاء المصعد الذي تأخر قليلاً قبل أن يهبط.

كان "أكرم" يشعر بتوتر بالغ، فحاول أن يختفي من أمام المصعد حتى لا يصطدم بعودة "علاء" مرة أخرى، فاختبأ خلف الدرج وهو ينظر للمصعد بترقب شديد، ثم انفتح باب المصعد، واتسعت عيناه في دهشة عندما وجد "عيسي" يخرج من المصعد متوجهًا للخارج.

تسمر مكانه لحظات وهو يفكر في سبب وجوده قبل أن يتناسى الأمر تماماً، عندما لم يجد تفسيراً منطقياً، فقد كان تركيزه منصبًا على "علاء". لمعرفة ما يحدث بالتحديد.

*****

طرقت "سارة" باب غرفة رئيس التحرير ودخلت دون أن تتحدث فأشار إليها بالجلوس وظل صامتاً بدوره، دقائق مرت عليها في قلق بعد أن طلب منها الحضور دون إبداء سبب، نظر إليها نظرة طويلة وهو يغمغم:

- انتِ مابتشتغليش في قسم الحوادث مش كده؟

لم ترد ولكن بدأت تفهم ما يرمي إليه فاستطرد:

- ممكن أفهم إيه الموضوع اللي ودتيه الحوادث ده؟

ازدرد ت لعابها في توتر وهى تجيب:

- انا كنت موجودة ساعة الحادثة، فطبيعي إني أدي قسم الحوادث تفاصيلها

علشان ينشرها.

بدأت لهجته تحتد وهو يقول:

- والتفاصيل دى مافكرتيش إنها تستاهل تتنشر إلا لما طلبوا "فتحي زهير" للتحقيق مش كده؟!

أخذت نفساً عميقاً محاولة السيطرة على أعصابها:

- الظابط طلب مني ماانشرش حاجة غير اما الظابط اللي اتصاب يخرج.

كان "جابر" يبدو غير مقتنع، فنهض من مكانه وتوجه إلى الكرسي المقابل لها وهو يقول:

- ولما هي الحكاية كده، وديتِ الموضوع لقسم الحوادث من غير ما اعرف ليه؟

- كنت هاجي أبلغ حضرتك و...

قاطعها بحدة:

- ماكنتش عرفت من برة لو انتِ كنت ناوية تبلغيني.

رددت الجملة بدهشة:

- من برة!!! هو مين اللي قال لحضرتك؟

- مالكيش دعوة، انا اللي باسألك هنا.

- حضرتك بتسبق الأحداث، انا كنت هابلغك و...

- كنتِ هتقولي لي إنك انتِ اللي كاتبة الخبر؟

توقفت الكلمات في حلقها فاستطرد:

- طبعاً لأ، كنتِ هتخلينى أعرف الخبر، وقبل ما ينزل كنتِ هتعدلي عليه من ورايا مش كده؟!

- كنت مستعجلة، ومش عارفة ليه حضرتك مصمم تتهمني اني مكنتش ناوية

ابلغك، الأخبار والمقالات بتعدى على حضرتك الأول، لو حد بقى صوّرلك إني باعمل حاجة من وراك تبقى مشكلته.

- وانتِ مش شايفة مشكلة إن الخبر يتحط فيه اسم "فتحي زهير".

انفعلت عند تلك النقطة ونهضت محتدة وهى تصيح:

- حضرتك مش مشكلتك الخبر ولا حتى لو كان اتنشر من غير ما تشوفه، مشكلتك اسم "فتحي زهير".

ضرب سطح المكتب بقبضته صائحاً بدوره:

- علشان انا حذرتك قبل كده ماتوقعيش نفسك في مشكلة معايا؛ ولو ناوية تكتبي عنه حاجة لازم تبلغيني بيها.

- الكلام ده لما كان لسه ماخلصش موضوع إعلانات شركته، وأول ما خلص سبتنى كتبت عنه من كام شهر مقالات ولا علشان المرة دي هو اللي طلب منك فلازم تسمع الكلام.

نظر لها نظرة نارية غاضبة وقبل أن يرد استطردت هي بغضب:

- حضرتك خايف منه وسبتني أول مرة علشان هو سمح لك أكتب مقالات عنه إنما لما قررت أنزل الخبر ده اللي مش على هواه أدالك الأمر توقف النشر.

صاح مرة أخرى:

- الزمي حدودك أنا ماباخدش أوامر من حد.

اقتربت منه وهى تقول بتحدٍّ:

- خلاص ننشر تفاصيل الخبر.

صرخ فيها بغضب هادر:

- انتِ بتتحديني؟ انتِ صحفية وانا رئيس التحرير، انا أقرر اللي انا عاوزه،

اتفضلي اعتبري نفسك في أجازة مفتوحة من اللحظة دي.

- مش محتاجاها، انا هاسيب الجورنال كله، بس إفتكر، عصبيتك دي كلها سببها أن انا على حق وانت بتخاف من "فتحي"، وكل اللي بتعمله إنك بتنفذ أوامره وبس.

كاد ينفجر فيها مرة أخرى إلا أنها اندفعت إلى الخارج وسط زملائها الذين توقفوا بالقرب من الغرفة عندما سمعوا صياحهما.

بعد دقائق كانت تجلس على مكتبها تكتب استقالتها وهى تشعر بالغضب، بينما كان "جابر" يجلس في مكتبه وهو يحاول استعادة هدوئه، ثم قام برفع سماعة هاتفه وهو يطلب أحد الأشخاص وينتظر قليلاً ثم قال للمتصل على الجانب الآخر:

- خلاص "سارة" مش هتنشر حاجة.

*****

ابتسم "علاء" وهو يجلس مواجهاً "ممدوح" الذي ظل متسمراً في مكانه دون حركة، فقال الأول:

- هتفضل واقف كده، انا جاي لك مخصوص.

سأله "ممدوح" ببرود:

- عرفت البيت ده إزاي؟ بتراقبني؟

- أراقبك ! ما انت قلتها انا عارف حاجات كتير، والشقة دي اللي بتقابل فيها الظابط اللي بينقل لك الأخبار، من الحاجات اللي كنت أعرفها.

ظل "ممدوح" ينظر إليه في حيرة فاستطرد:

- وإنك عرفت إنى رحت لـ"عماد" الفيلا.

- انا لسه عارف دلوقتي، انت عرفت منين؟ متفق مع "عيسي"؟
رفع "علاء" حاجبيه وابتسم وهو يقول:
- "عيسي"، ده اسم الظابط؟ تصدق دي حاجة ماكنتش لسه عرفتها.
حاول "ممدوح" أن ينفض الدهشة عن رأسه وهو يسأل في حدة:
- انت جاى ليه؟
فتح حقيبة الكمان وأخرج الكمان الخاص به واتخذ وضعية العزف وهو يقول:
- عاوز نبتدي صفحة جديدة؟!
- نعم!!
- زي ما سمعت كده، مراقبتي مش هتوصلك لحاجة علشان ماباعملش حاجة غلط، ماتبقاش زي ناس كتير بتراقبني وبيضيعوا وقتهم على الفاضي، ومش عارف ليه كل الشكوك اللي فيَّ، وانا مش عاوزك تضيع وقتك انت كمان انت ماوصلتش لحاجة من مراقبتي، خليك مع "فتحي" أحسن.
- عرفت إزاي؟
- هو ده السؤال الصح، بس الإجابة ماتخصكش، انا باقول لك نفتح صفحة جديدة سوا علشان مش هتوصل لحاجة.
- خايف إني أوصل لحاجة واكشفك.
- وهاخاف ليه وانا عارف كل خطواتك.
لم يرد "ممدوح" فاستطرد "علاء" مبتسماً:
- انا مش باعمل حاجة تضر حد، والدليل إني هاقول لك انا قابلت "عماد" ليه، ببساطة طلب يقابلني، هو عارف إني شغال مع "فتحي" وطلب مني أنقل له أخباره.

- بس ده مش أسلوب "عماد".

- كل واحد بيغير طريقته على حسب تغيير أفكاره.

نطقها وبدأ بالعزف بنعومة على الكمان فتساءل "ممدوح":

- وبتقولي ليه؟ روح لـ"فتحي" وقل له.

أجاب وهو مازال يعزف:

- علشان أثبت لك إنك غلطان في شكوكك، انا باحاول أفهمك علشان لو اتصرفت أي تصرف ماتزعلش مني.

- انت بتهددني؟

- لأ، انا بافتح صفحة جديدة زي ما قلت لك.

صمت "ممدوح" وهو يفكر في كلماته، إلا أنه سرح مع عزف الكمان بشكل كامل، وبدا شارداً وعقله يعتصر كل جزء في الموسيقى ويحلله تحليلاً كاملًا، ثم نفض رأسه فجأة وهو يصيح:

- بلاش الزفتة بتاعتك دي.

توقف "علاء" عن العزف وهو يقول:

- كنت باحاول أهدى أعصابك.

- انا هادي، ولو على المراقبةماافتكرش هتفرق معاك طالما مابتعملش حاجة غلط.

ابتسم "علاء" وهو يقول:

- أديك على الأقل عرفت إني عارف كل حاجة.

قالها وانصرف خارجاً في هدوء وتوجه نحو المصعد ليهبط فيه وهو يشعر بالنشوة بعدما ترك "ممدوح" في حيرة ممزوجة بالقلق، وفي غمرة نشوته لم يلمح

"أكرم" المختبيء الذى كان يقف حائراً، فهو لم يعلم حتى الآن ماذا كان "علاء" يفعل بالداخل؟

وكذلك "ممدوح" كان يجلس في الشقة شارداً يحاول فهم سبب تلك الزيارة التي مازالت بالنسبة له غامضة وغير مفهومة.

*****

- كل اللي بتقوله مافيهوش حاجة يا "أكرم".

نطق "محمود" العبارة في هدوء وهو يجلس في مكتبه مع "أكرم" الذي وافقه بإيماءة من رأسه:

- عارف، انا حكيت لك يمكن تستفيد من الكلام ده، أكيد مش هتتهم "علاء" بتهمة إنه كان بيقابل واحد في شقة.

بدت علامات التفكير على "محمود" وهو يسأل:

- انت ماتعرفش الراجل اللي كان معاه؟

- شفته وهو بيفتح الباب، ممكن أكون شفته قبل كده بس مش فاكر هو مين.

- عموماً "علاء" هيتحط تحت المراقبة علشان علاقته بـ"فتحي زهير".

اندفعت فجأة "سارة" إلى الغرفة فسألها "أكرم":

- إيه ده؟ انتِ مش المفروض في الجورنان؟!

زفرت بضيق وهى تجلس مغمغمة:

- قدمت استقالتي، ماكنتش بلغت رئيس التحرير إني هانشر موضوع التحقيق مع "فتحي" في قضية "عيسي"؛ واضح إن الزفت "فتحي" بلغه، وطلب منه إنه ماينشرش حاجة.

أكمل "أكرم":

- واتخانقتِ مع رئيس التحرير؟!
تساءل "محمود":
- و"فتحي" عرف منين؟
- ده اللى هيجنني، ماحدش عارف غيرك انت و"عيسي".
غمغم "محمود":
- افتكرى حد تاني يكون عرف، أو حد من الجورنان عمل كده، أصل مافيش غيرى انا و"عيسي" كنا عارفين، وانا ماقولتش، و"عيسي"...
قطع عبارته عندما تنحنح "أكرم" بصوت عالٍ وهو يقول:
- على سيرة "عيسي"، انا شفته خارج من البيت، نفس الدور اللي "علاء" طلعه.
انتبهت "سارة" لجملته وهى تتساءل:
- بيت إيه؟
- "أكرم" كان ماشي ورا "علاء" شافه طلع عمارة وقابل واحد وقبلها طلع من العمارة "عيسي".
- مش يمكن "عيسي" هو اللي قال؟
رد "محمود" بانفعال شديد:
- انت بتقول إيه يا "أكرم"، "عيسي" مايعملش كده.
- انا شفته في مصر الجديدة في نفس البيت اللي شفت فيه "علاء"، وحد قال لرئيس التحرير إن "سارة" هتنشر خبر عن "فتحي"، وماحدش كان عارف إلا انت و"عيسي"، شوف مين الاسم اللي اتكرر في المرتين.
- بس على حسب كلامك هو ماقابلش "علاء".

- يمكن قابل حد تاني من طرف "فتحي" يا "محمود".

حرك "محمود" يديه في توتر وهو يقول:

- لا لا، أنا باثق في "عيسي" أكتر من نفسي.

- انا باقول احتمال.

- استنى يا "أكرم".

تحرك "محمود" نحو مكتبه وأخرج حفنة من الملفات من الدرج، أخذ يقلب فيها بعصبية واضحة، وتبادل "أكرم" و"سارة" نظرات قلقة، ثم استخرج "محمود" ملفا بعينه وأعطاه لـ"أكرم" وهو يقول:

- ركز في الصورة دي كده، هو ده اللي قابل "علاء"؟

نظر "أكرم" إلى الصورة بإمعان لتبين ملامحها ومقارنتها بالشخص الذى رآه وهو يقول:

- متهيأ لي هو...

- متهيألك؟!

أدرك "أكرم" أن "محمود" يريد إجابة قاطعة، فنظر للصورة مرة أخرى لدقيقتين ثم أعطاه الملف وهو يقول بثقة:

- هو...

أمسك "محمود" الملف وألقاه على المكتب بصمت فتساءلت "سارة":

- إيه يا "محمود"؟ مين اللي"أكرم" شافه؟

عض "محمود" شفته السفلى بغيظ واضح وعيناه تركزان على الملف الملقى أمامه وهو يقول:

- "ممدوح الجندى".

*****

جلس "عيسي" ممسكاً هاتفه وهو يستمع إلى ما حدث بين "ممدوح" و"علاء" وهو يقول بتوتر:

- وهو جه يقول لك كده بس يا "ممدوح"؟

- فرد عضلات، هو بيحب الناس تحس بالخوف منه إنه بيعرف كل حاجة، وطبعاً في تهديد ليَّ إني أبطل أراقبه

- بس هو كده ماكنش ناوي على حاجة، لو ناوي كان هيعمل نفسه ميعرفش إنه متراقب ويحاول يتحرك بحرص

- أمال ضربك بالرصاص ليه؟

- هو اللي عمل كده؟

- ده أكبر احتمال، انا استنتجت كده لما فكرت في الحادثة بتاعتك، انت قلت لي الرصاصة اتضربت عليك انت بالذات مش "محمود" مش كده؟

- أيوة، "محمود" كان بعيد.

- ده يأكد كلامي، علشان يخلص من مراقبتك، مين له مصلحة إنه يخلص منك إلا هو؟

- مافيش حد.

- أكيد هو عاوزني أبطل أراقبه دلوقتي، كمل مراقبته يا "عيسي" بس ماتتحركش وراه انت، خلي أي حد غيرك يعمل كده.

- ده اللي حصل بعد الحادثة، بطلت أراقبه بنفسي، فيه ظابط تاني بيراقبه، وماتقلقش الظابط اللي بيعمل كده لسه ملازم صغير وانا عرفت اسستمه.

- كويس، خد بالك اليومين دول.

- ماتقلقش هافتش وراه وأكيد هاعرف مصيبة بيعملها، هتبلغ "فتحي" باشا؟

- لأ لسه، كام يوم كده أعرف "علاء" ناوي على إيه وأبلغه، والباشا كمان مش فاضي خصوصاً بكرة علشان وراه مقابلة مع "ماجد الجازوي"

*****

كان "محمود" يشعر بخنجر حاد في ظهره، فهو لم يتمكن من تصديق فكرة خيانة "عيسي"، وهو أكثر من يثق فيه، كيف يمكن أن يتم خداعه بتلك السهولة؟ كان يحاول أن يقتنع بوجود خطأ ما، ولكن ظل الشك يعربد في عقله كما لو كان حصانا وجد مرجا أخضر صار يجري فيه بكل طاقته دون قيود.

كان أمراً صعباً، وعليه التأكد منه سريعاً قبل أن يصبح ذلك الشك في قلبه كالنمل الأبيض الذى يأكل الأخشاب، فطلب من "عيسي" القدوم إلى مكتبه، وبمجرد دخوله دعاه للجلوس وهو يسأله:

- إيه رأيك في "علاء داغر"؟

- غامض شوية، ليه؟

- انا مش مرتاح له من ساعة قضية "كامل"

- أحطه لك تحت المراقبة؟

- لأ، انا مش شاكك فيه لحد دلوقتى.

هز "عيسي" رأسه متفهماً، ثم تساءل بفضول:

- "سارة" عملت إيه النهارده؟

أجاب "محمود" بهدوء شديد:

- مش هتنشر حاجة لسه قالت لي عندها مشكلة هتحلها وبعدين تنشر الموضوع.

ارتسمت الحيرة على وجه "عيسي" وهو يهتف:

- مشكلة إيه؟
- ماقالتش، بس أكيد لما أشوفها هاعرف أكتر.
قالها وعاد برأسه للوراء ووضع يده على جبهته وأغمض عينيه مغمغماً:
- انا خلاص دماغي هتتفرتك من الصداع.
رد عليه "عيسي" بهدوء:
- انت تاعب نفسك في الشغل، على طول دماغك شغالة، محتاج ترتاح.
أجاب "محمود" وهو لا يزال مغمضاً عينيه:
- لسه كان "أكرم" بيقول لى، وقال لي أعدي عليه بعد ما أخلص شغل هيودينى كافيه حلو في مصر الجديدة في ألماظة، انت ماتعرفش هناك كافيهات كويسة؟ علشان لو مارتحتش في المكان اللي هيودينى فيه أعرف أتصرف.
- ماباروحش مصر الجديدة كتير.
اعتدل "محمود" ونظر إلى "عيسي" وهو يبتسم ويقول:
- أه صح، ده انت لسه خارج من المستشفى مش هتلحق تروح حتة، مش مشكلة انا هاتصرف، شكراً يا "عيسي".
- انت مش محتاجني في حاجة؟
هز "محمود" رأسه نفياً، فتوجه "عيسي" ناحية الباب لينصرف وبقيت عينا "محمود" معلقتين بالباب، وقد تسلل الشك إلى أعماقه إلى أقصى حد، فأمسك هاتفه وطلب أحد الأرقام، وما إن رد عليه الطرف الآخر حتى بدا حازماً وهو يقول:
- عاوز أقابلك بكرة يا "أيمن".

*****

رائحة الموت

كثيراً ما يبدأ يومك بداية هادئة عادية لا تتوقع منه الكثير، ولكن شعور "عمر" في ظهر ذلك اليوم كان مختلفاً، فقد كان يشعر بقلق مجهول لا يدري سببه، كان يظن السبب أنه سيقابل "ياسمين" اليوم التي كانت في حال سيئة، بدا واضحاً عليها عندما تحدثت معه بالأمس. وبدأ قلقه يزداد ويصبح له مبرر بعد أن طلب "ياسمين" للمرة السابعة ولم ترد عليه؛ فـ"ياسمين" هى من طلبت مقابلته اليوم، والآن لا تجيبه؛ كان القلق يجوب داخله بقوة.

كان صمتها إشارة بقرب حدوث عاصفة قوية، آلاف الاحتمالات المخيفة صارت تتراقص أمام عينيه كالشياطين، فقد كان صوتها يحمل قدراً هائلاً من الندم والألم بعد أن طلبت منه مساعدتها كي يسامحها "أكرم"، كان يدرك صعوبة ذلك الأمر، ولكنه وعدها بذلك، فهو يعلم أنها كانت ضحية قام "علاء" باستغلال ضعفها لتحقيق ما يريد، وبعد أن تحقق لم يعد لها أهمية، خاصة مع صحوة ضميرها. ربما لو استيقظ ضمير كل إنسان قبل أن يخطىء فلن يكون هناك وجود للخطأ، ولكن تلك حكمة الله على الأرض.

وصل "عمر" في تلك اللحظة إلى الأوبرا للقاء "ياسمين" وبمجرد دخوله وجد حركة غير طبيعية في المكان. كل من في المكان يبدو كما لو كان رأى شياطين الدنيا تتراقص أمامه منذ قليل، هلع وخوف ملأ العيون، فاستوقف أحد الأشخاص وسأله ليرد الرجل بجملة مقتضبة:

- واحدة ماتت في أوضتها.

لم يتوقف ليسأل أى سؤال آخر، وتحرك بشكل أسرع نحو غرفة "ياسمين"؛ وجد عند الباب عددًا من الأشخاص، اخترقهم سريعاً ووصل إلى داخل

الغرفة، لتتسع عيناه في فزع وهو ينظر إلى "ياسمين" المسجاة على الأرض ويدها تقبض على ورقة، وعيناها شاخصتان ووجهها الذى كان متورداً دائماً صار شاحباً شحوب الموتى!

*****

تقابل "أكرم" و"سارة" معًا بعد انتهاء عمل كل منهما، وتبادلا بعض الأحاديث، ولكن بداخل كل منهما فكرة تكونت منذ ساورتهما الشكوك فيما يخص "عيسي"، ولكن ظلت تلك الفكرة دون أن تطفو إلى شفاههما في كلمات واضحة حتى قررت "سارة" أن ينتقل ما في عقلها إلى لسانها وهى تتساءل:

- غريبة موضوع "عيسى" ده مصدر ثقة من زمان؟!

أطلق "أكرم" زفرة طويلة قبل أن يقول:

- في أوقات كتيرالناس اللي بيكونوا مصدر ثقتنا ممكن يضربونا في ضهرنا.

أدركت على الفور مقصده فتمتمت:

- بس "عيسي" مش زى "ياسمين"، انت قلت لي انها عملت الغلط علشان كانت عاوزة تقرب لك، بس "عيسي" إيه مبرره يخون ثقة "محمود"؟

- الفلوس، السلطة، وغيرها كتير، كلها حاجات ممكن تبقى مبرر للخيانة.

- بس "عيسي" مش من النوع ده.

- و"ياسمين" ماكانتش من النوع ده، بس خانت أختك وخانت ثقتي فيها، علشان سبب بسيط، ممكن يبقى بنى آدم خاين بطبعه وبنى آدم تانى بيتحط في ظروف تخليه يخون، لحظة الضعف هي اللي ممكن يعمل فيها أى حاجة علشان يوصل لهدفه.

- انت بتتكلم كإن "عيسي" فعلاً عمل كده.

- وانتِ بتدافعي عنه من غير ما تتأكدي، مع أن كل حاجة متعلقة، مافيش حاجة بتأكد إنه شغال مع "فتحي" بنسبة ١٠٠٪ ولا فيه حاجة بتنفي برضه، وده عامل لك مشكلة.

نظرت إليه بتساؤل فواصل:

- لما بتبقى في حقيقة قدامنا خايفين منها، بنحاول نقنع نفسنا أن فيه حاجة غلط، بنقتنع باللي بنبقي عاوزينه يكون حقيقي، بنصدق اللي عاوزين نصدقه، ونحاول نغمض عنينا عن أى احتمال تانى بالذات لو احتمال هيوجعنا.

لم تعلق على ما قال فاستطرد:

- ده اللى مضايقك، بتحاولي تصدقي إن اللى اكتشفناه بخصوص "عيسي" غلط، وفي نفس الوقت مش لاقية حاجة تخليكِ تقتنعي بإحساسك وخايفة يطلع غلط في الآخر.

ظلت صامتة فربت على كتفها بحنان، وهم بمواصلة الحديث ولكن صوت هاتفه قاطعه، فنظر إلى اسم المتصل بتعجب وهو يجيب:

- أهلا يا "عمر"، مال صوتك؟

كانت علامات الانفعال تغزو وجهه بسرعة شديدة ليغلق الهاتف بحركة بطيئة وهو شارد، لتنظر إليه "سارة" بقلق، وعيناها تحملان العديد من الأسئلة، ولكن "أكرم" قتل كل الأسئلة بجملة واحدة:

- "ياسمين" ماتت.

*****

جلس "أيمن" في إحدى كافيتريات وسط البلد وهو يفرك كفيه في توتر شديد وينظر بين اللحظة والأخرى إلى الشارع حتى رأى "محمود" يقترب منه، وما إن جلس حتى بدأ الحديث سريعًا:

- فاكر قضية "كامل أبوعلم"؟

هز "أيمن" رأسه بالإيجاب فاستطرد "محمود":

- يوم حريقة شقة "كامل" مين كان موجود؟

صمت برهة مفكراً وهو يفرك مقدمة جبهته بأصابعه، كمن يحاول أن يستحث عقله على التفكير، قبل أن يجيب بهدوء واثق:

- قبل الحريقة انا كنت موجود، وبعدها كان "عيسي" موجود على طول، كل يوم الصبح كان بيبقى موجود قبل ما يروح المكتب، العساكر هناك بيدوني التمام، وبيبلغوني إنه جه .

- والحاجة اللي كانت في الشقة فين؟

- الشقة لسه متشمعة وكل حاجة فيها زى ما هي، أصل "كامل" مالوش ورثة علشان حد يطلب ياخد الشقة فلسه مقفولة.

بدت علامات التفكير العميق على وجه "محمود" قبل أن يقول:

- فيه خدمة عاوزك تعملها لي، بس ده بيني وبينك، ماحدش يعرف اللي هاطلبه منك ده،

هز "أيمن" رأسه بحماس و"محمود" يواصل:

- فيه حاجة في قضية "كامل" عاوز أتأكد منها، وانت عارف القضية اتقفلت، فعلشان أتأكد محتاج أعمل ده من غير ما حد ياخد باله.

هز "أيمن" رأسه متفهماً مغمغماً:

- فاهم، محتاج إيه بالظبط؟
- هاقول لك.

*****

وصل "أكرم" و"سارة" إلى الأوبرا، وتوجها نحو غرفة "ياسمين" ليجداعددا من رجال الشرطة، وعلى بعد أمتار من الغرفة وقف "عمر" واجماً، اقترب منه الاثنان ليجدا عينيه تصرخ بالعديد من الكلمات وخرج صوته ضعيفاً من حلقه قائلاً:

- انتحرت من ساعتين.

أمسك "أكرم" جبهته في ألم واضح وهو يستند على الحائط، وأخذت "سارة" تربت على كتفه، وعاد "عمر" للكلام وهو يقول:

- كانت ماسكة في إيدها ورقة عليها اسمك.

مد "عمر" يده بورقة تهرأت أجزاؤها نتيجة الإمساك بها بشدة، تناولها "أكرم" في ألم و"سارة" تقف إلى جواره، وانطلقت عيناه تهرولان نحو السطور الأخيرة التي كتبتها "ياسمين".

(أكرم، الإنسان الوحيد اللي حبيته في حياتي، انا عارفة إنك مع الوقت هتسامحني، علشان انت قلبك مابيعرفش غير الحب، ومايعرفش طريق الكره، ناس كتير كانت بتبقى فاكرة إن مشاكلها في الكلام اللى بتقوله، بس الحقيقة مشكلتنا بتبقى في الكلام اللى مابنقدرش نقوله، الكلام اللي بيخنق صدرنا ويوجع قلبنا، الكلام اللي بيبقى تقيل على اللسان، وكل ما يتكتم جوانا بيطلع دموع ماتشوفهاش غير مرايتنا، وكسرة ماتحسهاش غير روحنا.

كلام بنخاف اللي قدامنا مايحسش بيه ويبقى عامل زى السكينة التلمة، اللي بتفضل تزود جرحنا وتخلينا نتعذب أكتر.

يمكن لو كنت قلت لك الكلام ده من زمان كانت الدنيا بقت أحسن، يمكن كان هيبقى أحسن من إنى أشوف حزنك وأكون انا السبب فيه، تعرف إن الموت حنين، مش بيخوف زى ما الناس فاكرة، ده حنين علشان حاسس بيَّ وبوجعي، حس بضعفي اللي انت ماشفتوش، حنين علشان لما أموت هيخليك تحس بوجعي، تحس قد إيه انا اتوجعت علشانك، وتعرف إنى عمري ما كنت عاوزة أأذيك، حنين علشان ممكن يخليك تعرف قد إيه أنا حبيتك، وعارف حنين ليه كمان، علشان مستنية روحي تبقى عايشة حواليك، شايفاك كل دقيقة، شفت قد إيه حنين، هيخليني أشوفك كل يوم مش زى الأول، كانت أمنيتي إنى أشوفك كل يوم، والموت هيحققها لي، وأمنيتي التانية في أيدك أنت، امنيتي إنك تسامحني، كل اللي عملته كان حب فيك، كنت بجري وراك زي الطفلة اللي بتجري ورا أبوها متعلقة فيه، بتستنى ياخدها في حضنه، بس انت ماخدتنيش، كان الحزن بياكلني كل يوم انت فيه بعيد عني، كنت باتفرج على صورك وأسمع مزيكتك، أدور على أى حاجة من ريحتك، أشوف روحك فيها، جاية عليَّ وبتناديني تقعد معايا، وبترمي في حضنها، باحس بروحك بتحضنني وبدراعتك حواليَ بتطمني، وباروح معاها في النوم وانا سامعة صوت أنفاسك في وداني وحاسة بيها بتطمني، ونبض قلبك وهو بيدق طول الليل بيسليني، حبيتك لدرجة إني نسيت نفسي، ولما بننسي نفسنا للحظة بيبقى سهل إن أى حد أو أى حاجة تاخدنا في سكتها، تاخدنا في سكتها وإحنا فاكرين إنها بتوصلنا للي بنحبه، بنروح معاها في دنيا تانية لما بتخلق لنا وهم

بيقول هو ده الطريق للي بنحبه، وبنمشي في الطريق وإحنا شايفينه آخر أمل، دايماً الطريق اللي بيبقى عكس مبادئنا مهما افتكرناه صح، بنعرف مع الوقت إنه أكبر كدبة صدقناها بمزاجنا وعيشنا فيها، ويمكن لما نعرفها يكون الأوان فات، وبنرجع تانى نلاقى الكلام تقيل على لساننا والدموع راجعة لعنينا، بس المرة دى قلبنا مبيتحملش، وانا قلبي متحملش وجعك يا أكرم، انت كنت نور حياتي، اللي انا طفيته بإيدي، ومينفعش أعيش من غير النور ده، هيبقى ساعتها الموت أهون، فهمت ليه الموت حنين؟ علشان هو اللي هيرحمني من إنى أعيش في الضلمة).

أغلق "أكرم" الورقة في ألم ودمعة كبيرة تتجمع في جانب عينه، كان يشعر بألم بالغ وقف بسببه شارداً، صارت أطرافه ضعيفة حتى أن الورقة سقطت من يده وهو لايدرك. تناولتها "سارة" من على الأرض لتعيدها له ولكنه كان يهرول ناحية غرفة "ياسمين"، حاولت أن تلحقه ولكن "عمر" استوقفها بيده فنظرت بحزن إلى "أكرم" وهو يحاول إقناع أحد رجال الشرطة بالسماح له بالدخول إلى غرفة "ياسمين"، وما إن دخل حتى وجدها ممدة على الأرض، وجهها شاحب وعينيها مغلقتين، وقف يتأملها لدقيقة، ولمح على الكرسي المجاور لها بعض الصور، واقترب ليتبين الصور أكثر.

كانت صورا له، العديد من الصور، وما إن رآها حتى خرج من الغرفة وتوجه إلى خارج المكان بأكمله؛ وأسرع إليه كل من "سارة" و"عمر" ولكنه لم يسمع ما قالوه، توجه نحو السيارة وجلس بها، وإلى جواره "سارة" صامتة.

نظر "عمر" نحوهما بعض الوقت ثم سار مبتعداً، كانت وفاة "ياسمين" بالنسبة له كالمطرقة التي ضربت رأسه بشدة، كانت بمثابة دليل على أن أفكاره وشكوكه بخصوص "علاء" قد تكون حقيقية.

أدرك الآن فقط أن هناك أمرا ما يخفيه "علاء"، أمر لا يدري كنهه بعد، ولكن "ياسمين" ماتت لأنها قررت التوقف عن مساعدته، أحياناً عندما تقرر التوقف عن أمر ما فأنت تخاطر بالكثير، ولكنك وقتها تكون مُدركاً أن الوقت صار مناسباً، وحينها لا تأبه للنتائج، بل تحاول فقط أن تُنهيه، ربما يكون قرار التوقف قد تأخر، لذلك فهو يحتاج لشجاعة فائقة للقيام به، فكم من أشخاص لم يتمكنوا من التوقف وظلوا تائهين تحت إمرة شهوة أو سلطة أو نفوذ أو مال.

امتلكت "ياسمين" شجاعة التوقف، ولكن ذلك القرار كلفها الكثير جداً، كلفها حياتها، وها هو الآن يُدرك أنه بصدد أمر لم يتوقف عنه، وهو الشك في "علاء"، ويحاول أن يصل إلى ما يؤكد شكوكه أو ينفيها، لذا فهو يعلم الآن ما عليه أن يفعل بالضبط.

*****

نظرت "سارة" بإشفاق نحو "أكرم" وهما جالسان في سيارة الأخير وهو يقودها بهدوء، فقد كانت ترى ألمه البالغ لوفاة "ياسمين"، فمنذ كان بغرفتها في الأوبرا في اليوم السابق وهو ذاهل العينين ولا يتحدث إلا كلمات قليلة، من الصعب أن يحزن إنسان على صديق له إلى تلك الدرجة.

وعلى الرغم من ذلك كانت تعلم سبب حزنه، خاصة بعد أن قرأت الخطاب الذي تركته له "ياسمين".

كانت تُدرك أنه يشعر بتأنيب الضمير وإحساس الذنب لأنه لم يحب "ياسمين"

التى ماتت من أجله، وكانت تتمنى من موتها أن يكون هو ما يجعل "أكرم" يتذكرها، مؤلم أن تحب من ليس لك، فتصبح دائم الانتظار لرؤيته والحديث معه، بل إنك تكون مستعداً لرؤيته من بعيد، ولكنك تكون عاجزاً عن الحديث، لا تستطيع البوح بما يعتمل في قلبك، ويظل القلب مغلقاً على ما فيه دون أن تتمكن من الخلاص منه، ويظل قلبك يحمل العديد من الكلمات التي تخاف أن تنطق بها حتى لا تفقد من تحب للأبد، وحين يعلم الطرف الآخر مدى الألم الذى سببه لغيره يبدأ ضميره في الصراخ نحوه بصوت يصم الأذان، فلا يجد مأوى سوى الصمت كما يصمت "أكرم" الآن ، توقف "أكرم" بالسيارة وهو يسأل:

- ماتعرفيش "محمود" عاوزنا ليه؟

انتبهت إلى سؤاله فحاولت استجماع أفكارها وهي تجيب:

- مااعرفش.

- تفتكرى حاجة بخصوص "عيسي"؟

- جايز وصل لحاجة وعاوزنا نعرفها .

وصل "محمود" في تلك اللحظة واستقل السيارة وبادر بالحديث قائلاً:

- اطلع على عنوان البيت اللي شفت فيه "عيسي" و"علاء".

كانت كلماته مقتضبة للغاية، ففهم "أكرم" أن الأمر لا يحتمل، فانطلق في صمت، حتى وصلا إلى البناية التي رأى فيها "علاء"، ونزلا الاثنان من السيارة، واقتربا من البناية فوجدا الحارس يقف على الباب فبدأ "محمود" في الحديث:

- سلامو عليكو يا بلدينا، كنت بادور على شقة إيجار في المنطقة هنا وفيه ولاد

حلال دلوني على العمارة دى وقالوا فيها شقق فاضية.

- شقق فاضية!! لا مافيش.

- إزاي؟ ده قالوا لي فيه شقة في الدور الرابع أو الخامس مش فاكر، متهيأ لي الدور الخامس.

- يابيه لأ، الدور الخامس الشقتين اللي فيه واحدة متأجرة مفروش والتانية صاحبها مسافر بس مش عاوز يأجرها.

- يمكن قصدهم على الشقة المفروشة .

- دي متأجرة من زمان وصاحبها مش ناوي يأجرها غير للراجل اللي فيها دلوقتى.

- مين اللي مأجرها؟

- عدم المؤاخذة، مش مهم تعرف.

- قولي اسامى اصحاب الشقق يمكن أعرف حد أو أوصلهم وآخد منهم الشقة.

- اللهم طولك يا روح، الشقة الأولانية بتاعة أستاذ "حسام جمعة" ده سايبها ومسافر بس مش راضي يأجرها، والتانية بتاعت "أشرف الدمرداش".

- هابقي أكلمهم شكراً يا بلدينا.

كان "أكرم" يقف صامتاً، ولكن بعد أن ابتعدا عن البناية هتف بتساؤل:

- انت كنت بتعمل إيه بالظبط؟

- انت بتقول "عيسي" نزل من الدور الخامس، كنت باحاول أعرف هو ساكن في الدور الخامس ولا لأ؟ ومين اللي ساكنين فيه علشان أوصل لحاجة في اللي

انت حكيته، ولما البواب ماقالش اسمه ده معناه إنه مش ساكن هنا، وإنه جه لحد، وده يخلي الكلام اللي انت قلته إنه قابل "ممدوح" ممكن يبقى صح.

- وخليتنا نيجي معاك ليه؟

- تفكروا معايا، انا لحد دلوقتي مش عارف أصدق و...

قاطعه صوت رنين هاتفه؛ فرد على الفور وظل يستمع إلى محدثه في اهتمام شديد، وظهرت على وجهه علامات الامتنان وهو يشكر المتصل، وما إن أغلق الهاتف حتى قال:

- النهارده أنا هاتأكد من موضوع "عيسي".

تبادلت "سارة" نظرة قلقة مع "محمود" الذي فشل في إخفاء ذلك التوتر الذي يجول بداخله؛ ثم عاد وأمسك هاتفه وقام بالاتصال بـ"عيسي"، وما إن رد الأخير حتى قال "محمود" بحزم:

- "عيسي" انا محتاج لك تيجى الساعة ٨ عند بيت "كامل"، أيوه فيه حاجة اكتشفتها هناك مهمة جداً عن علاقته بـ"فتحي" وهاحاول اتأكد منها، ماتتأخرش يا "عيسي"، سلام.

نظرت إليه "سارة" بتساؤل، أما "أكرم" فقرر نقل تساؤلات عقله إلى لسانه مباشرة وهو يقول:

- ناوي على إيه؟

- انا عاوزك تساعدنى يا "أكرم"، هاطلب منك حاجة صغيرة قوى تعملها.

هز "أكرم" رأسه بالموافقة، وبدأ "محمود" يشرح له ما يريد، وبداخله صراع من المشاعر، فقد كان يتمني أن يكون كل ما يظنه خاطئاً، ولكن كل شيء يسير

في اتجاه واحد، وهو وضع "عيسي" في خانة الخيانة، ويتبقى خطوة واحدة فقط لتحويل ذلك الشك إلى يقين.

*****

كان "عمر" ينتظر أمام منزل "علاء" منذ ساعتين، ينتظر ذلك الأخير، كان يعلم خطورة ما يفكر به ولكنها الطريقة الإنسب لمعرفة الحقيقة وإنقاذ صديقه لو أتيحت له الفرصة.

نظر إلى ساعته فوجدها وصلت إلى السابعة مساءً، تململ في إرهاق واضح وهو يجلس على ذلك المقهى القريب من منزل "علاء"، ينتظر لحظة خروجه من المنزل و...

وتوقفت أفكاره التى كانت تجري في عقله بمجرد رؤية "علاء" يخرج من البناية التى يسكن فيها وهو يحمل الكمان الخاص به ويبتعد.

ظل ثابتاً في مكانه لثوان، ثم نهض وتوجه نحو البناية وهو يتوجه نحو شقة "علاء"؛ فقد كان يعلم أن الفرصة الوحيدة لمعرفة ما يخبىء "علاء" هي الدخول إلى منزله والبحث في ما أثار شكوكه.

وقف أمام الباب وهو يحاول فتحه، وأخذ يلهث بقوة في توتر وهو لا يصدق ما يقوم به، ولكن الضرورات تبيح المحظورات.

كان كل ما يريده هو التأكد أن "علاء" لا علاقة له بموت "ياسمين" أو "رفعت"، كان يريد أن يتأكد أن صديقه لا علاقة له بكل الأحداث، أو لم تصل درجة الشر بداخله إلى مرحلة الموت.

وبعد عدة محاولات انفتح باب الشقة أمام "عمر"، فدفعه بهدوء ودلف إلى الداخل وهو يتلفت حوله في توتر شديد، وأخذ ينظر إلى كل غرفة وهو يفكر

أين يبحث بالتحديد؟ ولكنه وجد أن الأحرى أن يسأل عما سيبحث؟
عشر دقائق مرت على "عمر" وهو في شقة "علاء" لم يجد خلالها أى شيء، لم يعثر على الصندوق الغامض الذى أخفاه "علاء"، ومع مرور الوقت بدأ يشعر باليأس، ولكنه واصل البحث وتوجه نحو غرفة النوم، كانت غرفة عادية لا يوجد بها ما يثير الشك، مجرد مكتبة صغيرة لا يتعدى طولها متر ونصف المتر تحوي بعض الكتب الموسيقية، وكرسي صغير في مقابل الفراش.
زفر بقوة في توتر وهو يستند إلى المكتبة وبدأ يفكر في الرحيل، لكنه عندما استند عليها شعر بحركة خافتة، فابتعد لئلا يتسبب في سقوطها وحينما اندفع للخلف لمحت عيناه طرفا من القماش الأحمر اللون.
عقد حاجبيه في حيرة واقترب من المكتبة للتأكد مما لمحته عيناه، وبالفعل كانت هناك قطعة قماش حمراء خلف المكتبة؛ أثار دهشته بشدة وجودها فحاول زحزحة المكتبة رويداً رويداً، حتى تمكن من تحريكها، ووجد ستارة حمراء معلقة على ذلك الجزء من الحائط خلف المكتبة، أزاحها بدورها واتسعت عيناه بفزع بعد أن رأى ما تخفيه.

*****

ابتسم "فتحي" ابتسامة واسعة وهو يجلس في ڤيلته وينقل بصره بين "ماجد" و"علاء" قائلاً:
- لو حد جالي من أسبوعين قال إنكوا هتبقوا قاعدين مع بعض ماكنتش صدقته.
- انت حسابك بعدين يا "فتحي".
نطقها "ماجد" بسخط شديد فنظر "علاء" بأسف وهو يقول:

- لا لا، مش عاوز أحس إنك زعلان إنى جبتك تقابلني.

قال "ماجد" بسخط أكبر وهو يصحح الجملة:

- انت ماجبتنيش، انا جيت بمزاجي.

- صح، بس جاي تقابلني.

نطقها بأسلوب استفزازى بحت فنهض "ماجد" من مقعده وهو يقول:

- ياريت أفهم انت عاوز إيه؟

- الحرية والعدل.

- نعم؟!

- انت مضيقها على "فتحي" باشا، وباطلب منك تخليه يشتغل براحته.

نظر إلى "فتحي" ساخطاً وهو يقول:

- انت جايبه محامى يتكلم بلسانك؟

أشار "فتحي" بيده علامة النفي وهو يقول:

- لا، هو نبهنى على اللي المفروض أعمله.

ابتسم "علاء" وهو يقول:

- زى ما بتسيب "عماد السرجاني" يشتغل براحته، تسيب "فتحي" باشا، بلاش التفرقة دي.

- انت مالك.

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه "علاء" وهو يسأل:

- هو انت بتخاف من "فتحي" باشا؟

احتقن وجه "ماجد" وهو يصيح:

- أخاف من مين يا مجنون انت؟!

- أمال ليه مش بتعامله زى "عماد"، يمكن علشان، "فتحي" سهل ياخد مكانك؟!

بدت عينا "ماجد" وكأنهما ستنفجران من الغضب وهو يصيح:

- انت زودتها قوي.

ثم التفت نحو "فتحي" مستطرداً:

- "فتحي" انت ماشي ورا عيل مجنون، افتكر أخرة اللي بيلعب كده.

فرد "علاء" ذراعيه إلى جانبه وهو يقول:

- بس انت ماجربتش اللعب بتاعى، هيعجبك، استنى بس دقيقة.

نظر إليه "ماجد" بغضب واضح، في حين ظل "فتحي" صامتاً يتابع الموقف، وأخرج "علاء" الكمان الخاص به وهو يقول:

- هنلعب لعبة جديدة، بس هاسمعك حاجة الأول.

*****

لدقيقتين كاملتين وقف "عمر" ينظر إلى الحائط بذهول فاغراً فاه في دهشة وفزع، خليط من المشاعر اكتنف قلبه في لحظة واحدة، الخوف، الدهشة، التوتر، مشاعر كثيرة ظهرت جلية على وجهه وهو ينظر إلى الحائط خلف المكتبة في غرفة "علاء"، فمبجرد أن أزاح الستارة حتى رأى على الحائط نقشا لشخص له جناحان يُمسك بكمان ويقوم بالعزف عليه، وإلى جوار النقش دائرة خالية.

وعلى الرغم من عدم فهمه لتلك الرسوم والنقوش، إلا أنه توتر بشدة عند رؤيتها وشعر بفزع تجاوز إحساسه بالحيرة والدهشة. أخرج هاتفه وقام بتصوير تلك النقوش أكثر من مرة، ثم أعاد كل شيء كما كان ويداه ترتعشان في توتر، وقرر الخروج من المنزل سريعاً.

ولم تمض سوى دقائق قليلة كان فيها "عمر" يقف في الشارع، ويسير بغير هدى، فلم يكن يعلم أين يتوجه، فما كان يشغل عقله فقط أمر واحد، ماذا تعني تلك النقوش؟

*****

دخل "محمود" وعيسي" إلى شقة "كامل" فتساءل الثاني في حيرة:

- إزاى ندخل الشقة كده؟

- ماتوترنيش أنا عملت المستحيل علشان أدخل هنا.

- انت متأكد إنك هتلاقى الورق بتاع "فتحي".

هز رأسه بالإيجاب وهو يتوجه نحو إحدى الغرف مغمغماً:

- في تليفون جالي وقال لي الكلام ده، وانا بادور على أى حاجة في القضية تساعدني أفتح تحقيق مع "فتحي" بالذات وقضيتك لسه شغالة.

- بس أنت لحد دلوقتى ماحققتش معاه؟!

توقف "محمود" وهو ينظر إليه قائلاً:

- انا ماقولتلكش إنى ماحققتش معاه.

توتر "عيسي" وهو يقول:

- انا سألت وعرفت.

نظر "محمود" إليه بصمت ثم ارتفع رنين هاتفه فرد على الفور ليجد صوت "أكرم":

- "محمود" انت صح في حد جه من شوية كان بيلف حوالين البيت وطلع شقة "كامل" وبعد شوية نزل، وانا شايفه واقف قدامي دلوقتي.

- متأكد إنه طلع هنا؟

- أيوه متأكد.

- اقفل دلوقتى.

أغلق الهاتف فنظر له "عيسي" بفضول متسائلاً:

- مين اللي طلع هنا؟

- رجالة "فتحي".

عقد "عيسي" حاجبيه في دهشة وقبل أن يهم بالحديث استطرد "محمود":

- ماقولتليش ليه إنك كنت بتيجي هنا بعد الحريقة؟

- القضية كنا ماسكينها سوا، طبيعي أبقى هنا.

أطلق "محمود" ضحكة عالية وهو يقول:

- أحلى حاجة إنك بتلاقي مبرر منطقى لكل اللى بتعمله، فيه حاجات كتير ماكنتش واخد بالي منها بس علشان كنت واثق فيك، بس الواحد لما بيركز في التفاصيل بيفهم اكتر.

- فيه إيه؟

قالها "عيسي" بتوتر و"محمود" ينظر إلى عينيه مباشرة وهو يقول بحزم:

- تقولي كل حاجة، وإيه علاقتك بـ"فتحي زهير" و"ممدوح الجندي"؟!

شعر "عيسي" بالقلق وحاول أن يهرب من عيني "محمود" اللتين كانتا تنظران إليه بكل شراسة وغضب العالم، ولكن "محمود" ظل ينظر إليه منتظراً الإجابة، والتي توصل إليها بالفعل ويحتاج فقط إلى تأكيدها.

*****

نهض "ماجد" بغضب وهو يصيح:

- انت جايبنى هنا تعزف على الكمانجة؟ انا مش فاضي لك.

توقف "علاء" عن العزف وهو ينظر إلي "ماجد" ويقول بهدوئه المستفز:

- المقطوعة لسه في الأول انت مالحقتش تسمع حاجة.

توجه "ماجد" نحو الخارج في غضب ولكن "علاء" هرع إليه وأمسكه من ذراعه وهو يهتف:

- استنى لما نخلص كلامنا.

أزاح "ماجد" يده وهو يقول بشراسة:

- الكلام خلص، وعلى فكرة يا "فتحي" اللي حصل ده مش هيعدي بالساهل، مش أنا اللي يتعمل معاه الحركات دى، لو كنت عاوز تكسب فأنت دلوقتي خسرت حاجات كتير قوي.

قالها وانصرف وظل الموقف صامتاً بين "علاء" و"فتحي" لحوالي دقيقتين، وظهر التوتر جلياً في صوت "فتحي" وهو يتساءل:

- هتسيبه يمشي؟

أجاب "علاء" بهدوء:

- انا عملت اللي كنت عاوزه.

سأله "فتحي" بحيرة:

- وانت كنت عاوز إيه؟

- يتعصب ويخرج عن تركيزه، مايحسبش خطواته.

- وانت فاكر إنه مش هيحسب خطواته، ده أكيد بيكلم حد دلوقتى علشان يرتب لي مصيبة.

- لا، هو ماكنش متوقع اللي حصل، كان فاكر هنبقى خايفين قدامه زى ما الكل بيخاف بس لما لقانا مش خايفين هو اللي خاف، فيه ناس قوتها من خوف

اللي حواليها واللي عارف إن الكل بيخاف منه، أول ما بيلاقى واحد بس وقف قدامه من غير خوف ثقته في نفسه بتتهز.

- ولما ثقته تتهز.

- تفكيره هيتشتت، هيفكر إزاي يأذيك علشان يرجع يحس بخوفك ويحس بقوته.

نظر إليه "فتحي" بقلق فاستطرد "علاء" مبتسماً:

- هيفكر في حاجات كتير علشان يعرف يرضي غروره، بس قبلها هيكون أضعف من إنه يعمل حاجة، أضعف حتى من إنه يقدر يتنفس.

*****

بقى "عيسي" ينظر إلى "محمود" بصمت، ولم يحاول أى منهما كسر حاجز الصمت، صمت غلفته رائحة الخيانة والألم.

ألم "محمود" وصدمته التي تلقاها في زميله "عيسي"؛ وعلى الرغم من حزنه الشديد لما يحدث إلا أنه كان يدرك أن تلك المواجهة لابد منها.

ربما لم يكن "محمود" يُدرك سبب ما فعله "عيسي"، ويعلم أن معرفة السبب لن تغير من الأمر شيئاً، ولكنه كان يريد أن يعلم السبب وبشدة، السبب الذي يجعل شخصا يخون زميله وصديقه، ويخون مبادئه، ويفضل أن يكون أحد الشياطين التي تعوث في الأرض فساداً.

- أقول لك إيه أنا مش فاهم؟

نطقها "عيسي" بتساؤل راسماً دهشة مصطنعة على وجهه في محاولة منه للتملص من ذلك الموقف، فنظر إليه "محمود" نظرة غاضبة هاتفاً:

- انت عارف انا باتكلم عن إيه؟

- لا مش عارف، بتسألني عن إيه بخصوص "فتحي" و"ممدوح"؟
- شغلك مع "ممدوح".
اتسعت عينا "عيسي" هاتفاً:
- انا باشتغل مع "ممدوح"!! انا أشتغل مع المجرمين، انا شغال معاك بقالى ٤ سنين كنت مستعد أموت علشانك فيهم، ودة كان تقريباً هيحصل، دي مكافأتي!! تتهمني اني خاين؟!
قفز "محمود" نحوه في غضب وأمسكه من ياقة قميصه وهو يصرخ:
- الشويتين دول ماتعملهمش معايا، انا عرفت الحقيقة بس عاوز أسمعها منك.
أزاح "عيسي" يده بعنف ودفعه وهو يصرخ:
- حقيقة إيه!! مافيش حاجة من اللي بتقولها دي صح.
ازداد غضب "محمود" وهو يصيح:
- كل اللي باقوله أنا متأكد منه، "أيمن" قال لي إنك رحت شقة "كامل" بعد الحريقة بانتظام، مع إنك ماقولتليش، و"أكرم" شافك وانت نازل من شقة قابلت فيها "ممدوح".
- محصلش.
- أمال "أكرم" كان بيتخيل؟
توجه "عيسي" ناحية الباب وهو يهتف:
- ابقى أسأله، أو ماتسألوش مش فارقة، انا هاطلب نقلي و...
استوقفه "محمود" وجذبه من ذراعه بقوة وهو يقول:

- يبقى تفسر لي إزاى "أكرم" شافك نازل من الشقة اللي كان فيها "ممدوح" مع إنك قلت لي كمان إنك ماروحتش مصر الجديدة من فترة.

نظر "عيسي" للأرض وزفر وهو يقول بصوت مختنق:

- كنت باحميك يا "محمود"، لما اتضربت بالنار، خفت عليك وطلبت أقابل "ممدوح"، كنت عاوز أعرف ناويين لك على إيه، علشان أقدر أساعدك وأحميك منهم، بس انت بتشك في إخلاصي مع إنى باحاول أشيل الحمل التقيل اللي على ضهرك.

نظر إليه "محمود" لثوان ثم ابتسم وهو يهتف ساخراً:

- لو سبت البوليس... نصيحتى تشتغل ممثل.

صاح "عيسي" بانفعال:

- انت مش عاوز تصدق غير اللي في دماغك!

صاح "محمود" بدوره:

- وموضوع "سارة" اللي ماتنشرش؟

انفعل "عيسي" أكثر وهو يصرخ:

- ماليش علاقة، انا مااعرفش "جابرعطاالله" علشان أتكلم معاه وأقول له ينشر إيه وماينشرش إيه.

اقترب "محمود" من وجهه وهو يقول بلهجة ساخرة:

- انا ماقولتلكش رئيس التحرير منع نشر موضوع "سارة"، عرفت منين؟

امتقع وجه "عيسي" وازدرد لعابه بصعوبة و"محمود" يستطرد:

- وكمان "سارة" عمرها ما قالت اسمه، انت قلت لي إنك بعد الحريقة ماروحتش بيت "كامل" مع إن "أيمن" قال لي إنك كنت بتروح بانتظام، وحط

جمب كل ده مقابلتك مع "ممدوح".
جلس "عيسي" فوق أقرب كرسي له دون أن ينطق بجملة، و"محمود" يواصل الحديث بشراسة:
- بس انا اللي غبي، إزاي ماخدتش بالي إن كل ما احاول آخد خطوة تحصل تشتت تركيزي، حتى جواب التهديد الأولاني اللي اتبعت لي على البيت، ماتبعتش إلا أما قررت أحقق مع "فتحي"، انت اللي بعتته لي مش كده؟
ازداد امتقاع وجه "عيسي" و"محمود" ينظر إليه بحزم ويكرر سؤاله:
- انت اللي بعتت الجواب ده صح؟
هز "عيسي" رأسه في يأس واستسلام، فجلس "محمود" على الكرسي المقابل له وهو يقول:
- انا خليت "أيمن" يتصرف ويفتح الشقة، ورجالة "فتحي" وصلوا قبلنا هنا، قلت لك إنى عرفت حاجة علشان أعرف هتبلغهم ولا لأ، وللأسف بلغتهم بسرعة قوي، بلعت الطُعم بغباء.
- ماتوقعتش إنك تشك فيَّ.
- كنت باثق فيك، فماكنتش بتخاف من أى حاجة تقولها، بس لما رتبت الأحداث لقيت كل حاجة كان "فتحي" بيسبقني فيها مايبقاش حد عارفها غيرك.
كان "عيسي" قد استسلم تماماً بعد شعوره أن "محمود" أطبق عليه من كل الجهات، ولم يعد لديه مخرج واحد للفرار، فأخرج علبة سجائره وانتزع منها

سيجارة أشعل بها نارا لا تقل عن النار التي تأكل صدره في تلك اللحظة بعد أن تم كشف أمره؛ ونفث دخانها بتوتر وهو يقول:

- مش عاوز تعرف كل ده حصل ليه؟

*****

جلس "ماجد" في سيارته الفارهة وهو ينظر إلى ذلك الطريق الذى يسير فيه متوجهاً نحو التجمع الخامس، وعقله يتحرك بتفكير عميق وهو يهمهم بكلمات ساخطة، ويفصله عن سائق السيارة لوح زجاجي جعل أى أحاديث يتفوه بها في السيارة غير مسموعة للسائق، كانت مواجهته مع "علاء" و"فتحي" حنقته للغاية، فلم يكن يتصور أن يتحداه شخص ما بذلك الأسلوب، وابتسم ابتسامة ساخرة ثم تناول هاتفه، وقبل أن يجري مكالمة، رفع بصره للحظة نحو الطريق ولكن عينيه تجمدتا مكانهما في خوف وفزع.

شعر بالدماء تتجمد في عروقه بشدة وهو ينظر من نافذة السيارة، وفي رد فعل سريع نظر نحو الأمام لتتسع عيناه برعب أكثر، ظل يغلق عينيه وينادي على السائق الذى بدا عليه الخوف بدوره وهو ينظر إليه، كان ما يفزع "ماجد" هو أنه لا يرى شيئًا.

وفجأة اختفى كل شيء من الطريق بغتة، لم يعد يرى أمامه شيئًا، فقط سواد حالك يغلف كل ما حوله، وكأن السيارة سقطت في ثقب أسود، والتقطت أذناه صراخًا لأشخاص يتعذبون، فصار يحاول إغلاق إذنيه ليمنع ذلك الصراخ من الوصول لأذنيه، ولكنه كان يخترقها اختراقاً، والسائق يحاول التوقف بالسيارة ولكنه فشل، فمازالت السيارة تسير بسرعة في ظلام حالك دون هدى.

صرخ في فزع شديد، وحاول أن يفتح أبواب السيارة ولكن دون جدوى؛ فهو محبوس تماماً؛ ومع توالى الأصوات اتسعت عيناه في فزع أكبر عندما لمحت عيناه بقعة ضوء حمراء تقترب من مقدمة السيارة، كانت تقترب بسرعة شديدة وهو ما أثار الفزع أكثر في قلبه، فظلت عيناه معلقتين بذلك الضوء منتظراً لما سيجلبه والصراخ يتزايد في أذنه.

و اتضح مصدر الضوء، كانت بقعة نيران مشتعلة تهم بابتلاع السيارة، ومع اقترابها أكثر ظهر كيان هائل ضخم، ما إن رآه حتى صرخ بفزع، وشعر بيد ذلك الكيان تخترق السيارة وهو يصرخ في رعب.

وامتزج صراخه بالصرخات المُعذبة التي كان يسمعها، وصار صراخه يعلو أكثر وتنتشر في المكان رائحة الموت.

*****

تضارب أفكار

جلس "أكرم" مع "سارة" في كافيه قريب من البناية التي يوجد فيها "عيسي" و"محمود" بعد أن طلب منهما الأخير أن ينتظراه فيه.

كان "أكرم" شارداً وعقله يفكر في خطاب "ياسمين"، فقد يكون الأمر قاسياً حين تُدرك أن شخصا ما ترك كل شيء من أجلك، ولكن الأكثر قسوة حينما يترك ذلك الشخص العالم بأسره من أجلك.

هل هو ضعف منها؟ أم أنه كان قاسياً ولم يمنحها الوقت والفرصة لتصحيح ما اقترفته بلا تفكير بسبب غمامة سوداء أمام عينها تسمى الحب.

كانت "سارة" تنظر إليه في إشفاق، وكأنها ترى في عينيه كل ما يدور في رأسه، وتشعر أنه يعاني من صراع نفسي مرهق فقالت:

- مش ذنبك كل اللي حصل.

نظر لها بتعجب وكأنما كانت تسمع ما يجول بخاطره، فاستطردت:

- أكيد بتفكر إن قسوتك مع "ياسمين" لما اعترفت لك باللي عملته مع "علاء" أدتك إحساس إنك السبب إنها انتحرت.

هز رأسه وهو يتمتم بخفوت:

- كانت كل حاجة هتتغير لو حاولت أسامحها.

- ماادتكش الفرصة تسامحها وسابت الدنيا وهربت أسرع.

- ده اللى محسسني بالذنب أكتر.

نطقها بخفوت وضيق فنظرت له بإشفاق وربتت على يده فواصل:

- ماادتهاش أمل إن عندها فرصة تصلح كل حاجة، حسستها بالذنب علشان أرتاح، مع أن جواها كان كتير وساكتة، لما تحب إنسان مش ليك بتبقي بتموت

بالبطىء، ولما يبعد عنك بتحس إنك ميت خلاص، بتبقى زومبي ماشي ميت وسط الناس.

- وماينفعش تسيب الحب يموتك، الحب حياة مش موت.

- حاسس لتاني مرة إنى السبب في موت حد قريب مني.

- ماحدش سبب في موت حد، دى أعمار وكل ده كان هيحصل حتى لو انت مش موجود، ولو رجع الزمن مش هتقدر تمنعه؟!

نظر لها بشرود وهو يقول:

- لأ.. فيه حد هو السبب، "علاء".

نظرت له بهدوء فاستطرد:

- "رضوى" حذرتني منه كتير، كان عندها حق، وانا قلبي بيقول لي إن وراه حاجة.

- وناوي تعمل إيه؟ هتفضل تراقبه وتضيع حياتك؟

ظلت نظراته شاردة وهو يقول بألم:

- هتفرق في إيه ما هي ضاعت خلاص.

- واللي بتعمله ده هيرجعها؟

لم يجبها فواصلت الحديث وهى تمسك يده بقوة:

- إحنا وجعنا في "رضوى" واحد، وانا عارفة قد إيه حياتك صعبة من غيرها، احنا جنب بعض يا "أكرم"، بلاش نسيب نفسنا نقع ونضعف زى ما "ياسمين" ضعفت.

هز رأسه بهدوء موافقاً فسألته وهي تحاول الابتسام:

- مش عاوز ترجع تعزف على الكمانجة زي زمان؟

- مش قادر أعزف، الموسيقي لما بتعزفها بتطلع من جواك، ولو جواك مشقق هتطلع نشاز، عشان أرجع للكمانجة لازم الضلمة اللي جوة روحي تروح.

نظرت إلى ساعتها متسائلة محاولة تغيير دفة الحديث ليخرج من تلك الحالة:

- "محمود" اتأخر، تفتكر حصل إيه مع "عيسي"؟

- لو هو وصل للحقيقة فعلاً زى ما بيقول لنا يبقى المواجهة بينهم هتبقى صعبة، ومافيش قدامنا إلا إننا نستنى، الحياة ساعات بتجبرنا إننا نستنى بس مابنبقاش عارفين هنستنى لحد إمتى.

*****

عاد "عيسى" بظهره إلى الوراء واستند إلى الكرسى وهو ينفث دخان سيجارته ويقول:

- انت ماخدتش بالك من حاجة يا "محمود"؟

أجابه بأسلوب جاف خشن ليستحثه على مواصلة الحديث :

- لأ، واتكلم من غير مقدمات.

لم يتلفت "عيسي" لذلك الأسلوب وهو يقول:

- رغم إنى كنت باساعد "فتحي" ماحدش قدر يأذيك، اللي قلته لك إنى باحميك ماكنش تمثيل، انا كنت فعلاً باتعاون معاه علشان أحميك.

غمغم "محمود" مستهزئاً:

- تحميني!! ده مش مبرر إنك تخون ثقتي، مين عارف كام مرة كان ممكن أقدر أمسك دليل على "فتحي" وانت كنت بتبوظ كل حاجة وانا ماعرفش، كنت شغال معاه من إمتى؟

- ٤ سنين.

صفق "محمود" بيده وهو يقول بعصبية:
- برافو، هايل، كل المدة دي وانا مش دريان، ٤سنين عرفت تقرطسني فيهم والله برافو.
- أنت إتأذيت في الـ٤ سنين دول؟
- انت ماسك لي على أن ماحدش أذاني، مع إن وجود واحد زى "فتحي" ده أذية لناس كتير.
- انا كنت باعمل اللي المفروض يتعمل، كل القضايا اللي اشتغلت معاك فيها ماقصرتش فيها وقدرنا نثبت بلاوى على ناس كتير كانت بتبوظ البلد، تقدر تنكر كده؟
- لا مقدرش أنكر.
ابتسم "عيسي" وهو يهتف:
- كده هتفهمني، انا طبقت العدالة معاك ومع "فتحي".
ضحك "محمود" ضحكة استهزاء قصيرة في حين نظر له "عيسي" بهدوء متجاهلاً أسلوبه الساخر مواصلاً:
- طبقت معاك العدالة على كل اللي بيغلط، وطبقت العدالة مع "فتحي" إنى ماقبضش عليه لأني مش متأكد إنه ينفع أقبض عليه.
نهض "محمود" من مكانه وهو يقول بعصبية:
- انت عرفت معايا كل بلاويه بس المشكلة إننا ماعرفناش نثبت عليه حاجة.
- وانا ماقولتش إنه برىء.
- أمال تقصد إيه؟
- لما اشتغلت مع "فتحي" لقيته بيعرض عليَّ قضايا وبلاوي كتير

وبالمستندات، ولو ماعندوش مستندات وأدلة كان بيديني الطريق اللي ممكن منه أقدر أثبت اللي أنا عاوزه.

اتسعت عينا "محمود" وهو يقول بدهشة:

- "فتحي" بيوصل الأدلة دى عن طريقك، وانت كنت بتخلينا نشتغل عليها على إنها تحريات.

- ماكانتش بتبقى غلط و...

قاطعه "محمود" وهو يصيح بحدة:

- ماأنا عارف إنها حقيقية ودى المصيبة.

لهث وهو يستطرد بانفعال واضح ملأ جنبات صوته:

- كان بيستعملنا علشان يخلص من خصومه، يخليك تنكش ورا اللي عاوز يخلص منه وتفتح قضية وتجرجرنى معاك، ويديك مفاتيح تساعدك، ويسيبنا بنخلص على أعداؤه وهو يتفرج، خلاك غبي شغال لمصلحته.

أشار له "عيسي" وهو يقول:

- انا مش غبي، انا كنت عارف كويس وفاهم هو بيعمل كده ليه، بالعكس، انا اللي كنت باستعمله لمصلحتي، هو كان يديني الأدلة دي وإحنا نقفل قضية ورا التانية ونخلص من فساد ورا التاني.

ظل "محمود" ينظر إليه بذهول في حين كان "عيسي" يستطرد:

- ساعدنا نقبض على ناس تانية وننضف البلد منهم، فكان طبيعي أساعده وأبعدك عنه علشان ننضف البلد أكتر وننفذ القسم اللي انت بتقول إني خنته.

جلس "محمود" مرة أخرى ممسكاً جبهته براحته وهو يغمغم:

- انت مجنون، بتخلص من مجرمين لحساب مجرم وتقول بتنضف البلد

وعاوزني أقتنع!!

- انت بتبص تحت رجلك، شوف خلصنا من كام واحد فاسد كان بيضر البلد.

هتف "محمود" بغضب:

- بابص تحت رجلي!!! إحنا خلصنا من فاسدين دورهم خلص وسبنا واحد فاسد ساعدناه يكبر، كان هيخلص منهم بنفسه، بس هو وفر مجهوده واعتمد على أفكارك الغبية.

- لتاني مرة باقول لك انا مش غبي، اتخيل معايا مساعدات "فتحي" هتوصلنا لإيه، وهنقبض على كام فاسد، وكام قضية هنحلها، شوف ممكن نبقى عاملين إزاى.

- عاوز اسمك يعلى في الداخلية، ويفضل "فتحي" بيساعدك بقضايا تخليك دايما رقم واحد، ده هدفك اللى ماشي وراه، السلطة.

ابتسم "عيسي" وهو يهتف:

- وانت كنت هتبقى معايا، هو فيه إيه غير السلطة ممكن تخلي الواحد يعلى فوق، اتخيل مع كل القضايا والفساد اللي هنكشفه هتخلينا مصدر ثقة، انت مش بعيد تبقى وزير الداخلية بعد كده.

نظر له نظرة باردة وهو يغمغم:

- وفر كلامك، لمعان السلطة مش بيأثر عليَّ، اللي بيتخدعوا بقوة السلطة ويجروا وراها هما أول ناس السلطة بتدمرهم وتقتلهم.

- خليك معايا ونكمل سوا و...

- قدم استقالتك يا "عيسي".

نظر له "عيسي" بدهشة، فأعادها "محمود" ببطء ضاغطاً على كل حروفها:

- قدم استقالتك.

- بتقول إيه؟

- باقول لك تعمل المفروض إنه يتعمل.

- بعد ما قلت لك الحقيقة و...

قاطعه "محمود" مرة أخرى وهو يقول:

- الحقيقة أنا كنت وصلت لها، بس كنت محتاج أعرف السبب، وآديني عرفته، وانا مش هاشتغل علشان أخدم مصالح "فتحي"، ولا أعمل زيك وأمسك الصغير وأسيب الكبير علشان يساعدني أزود الخوف وانا أوصل لهدفي، مااتعودتش أستفيد من الغلط حتى لو كل الناس بتعمله، الصح هيفضل صح حتى لو مافيش غيري بيعمله، "فتحي" مهما ساعدته لو حس إنك هتيجي على مصلحته هيدوس عليك.

- ولولا إنى باساعده كان داس عليك انا حميتك منه.

- ماحدش بيحميني إلا اللي خالقني، ولا حد يقدر يدوس عليَّ وانا في سكة الحق، استقيل يا "عيسي"، سيب الخدمة بكرامتك، صحيح مافيش حاجة تدينك، بس لو كملت انا مش هاسيبك، قدامك يومين تستقيل فيهم.

نهض "عيسي" وهو يقول بحنق:

- مش هاستقيل، ومش هتقدر تمسك عليَّ حاجة.

- خلينا نشوف يا "عيسي"، انا حذرتك علشان لما أحط الكلبشات في إيدك بنفسي تفتكر إني حذرتك.

قالها وتوجه ناحية الباب بغضب شديد قبل أن يتوقف بغتة ويتلفت نحو "عيسي":

- لما كنت بافكر في قضية "كامل" عن علاقته بـ"فتحي" كنت بتشتت تركيزي وتوديني لنقط فرعية كتير، يا ترى الورقة اللي اتبعتت لي البيت دي كانت تدبيرك ولا أوامر "فتحي"؟

- أى حاجة كنت بابعدك بيها عن القضية كانت تفكيري أنا، "فتحي" ماكنش بيعرف عنها حاجة.

اقترب "محمود" منه وهو يقول:

- كان لازم أفهم من غير ما أسأل.

نظر إليه "عيسي" نظرة خاوية وهو يقول:

- مافيش حد هيحمي ضهرك من "فتحي" بعد كده و...

قاطعه "محمود" بحزم:

- مش انت اللي بتحميني، دي دعوات كل مظلوم أنصره هي اللي بتخلي ربنا يحميني، انت و"فتحي" قريب هتبقى أخرتكو على إيدي.

قالها وتوجه نحو الباب وهو يخرج بخطوات ثابتة، وبقى "عيسي" واقفاً مكانه وهو يشعر بالغضب يملأ كيانه ويقول:

- مش هتفهم أبداً يا "محمود".

نفخ "عيسى" بغيظ واضح وهو يبدو عليه التفكير، ثم أخرج هاتفه وهو يستعد لإجراء مكالمة:

- أيوه يا "ممدوح"، "محمود" عرف الحقيقة، جايز "علاء" اللي خلاه يعرف بيها.

أتاه صوت "ممدوح" غاضبا من الجهة الأخرى:

- الواد ده هيبوظلنا كل حاجة، لازم تخلصني منه يا "عيسى"، الواد ده خطر شوف له طريقة بس بعيد عن سكتك علشان "محمود" مايشكش فيك.

- أنا عارف هاعمل إيه، هاستعمل كارت معايا كنت مأجله وجه وقته.

أغلق الهاتف وجلس وهو يشعل سيجارة ويفكر بعمق، فقد أصبح بحاجة إلى كل ذرة تفكير للخروج من ذلك المأزق مع "محمود"، والتخلص من "علاء" الذي صار عبئًا عليه.

ظل ساكنا دون حركة فترة طويلة، ثم أخرج ورقة من جيبه وبدأ يكتب عليها في هدوء وسيجارته تزداد اشتعالاً.

*****

كانت الساعة تجاوزت العاشرة مساءً بقليل و"علاء" متوجهً نحو منزل "ممدوح" وصعد الدرج ليقف أمام الباب ويطرقه بهدوء شديد وانتظر ثواني حتى فتح "ممدوح"، وما إن رآه ذلك الأخير حتى اتسعت عيناه في دهشة بالغة، ربت "علاء" على كتفه وهو يمر إلى الداخل ويقول:

- بذمتك مش مبسوط إنك شفتني؟!

- مستغرب أكتر.

- ليك حق، بس انا فكرت في كلامنا، ولقيت إنك لو فضلت شاكك فيه يبقى عندك حق.

- لا مش شاكك فيك.

أخرج "علاء" الكمان وهو يقول:

- بلاش كدب، خلينا متفقين على الصراحة لو عاوزين نفتح صفحة جديدة.

- صفحة جديدة إزاي؟

بدأ بالعزف بهدوء وهو يقول:

- بالصراحة.

- يبقى تعرفني فيه إيه في دماغك؟

لم يرد "علاء" فتساءل "ممدوح":

- انت اللي ضربت نار على "عيسي"؟

ظل "علاء" صامتاً ويعزف فصاح "ممدوح" بغضب:

- ما ترد عليَّ يا حيوان.

نظر إليه "علاء" وهو يجيب دون أن يتوقف عن العزف:

- كنت باحاول أريح نفسي من موضوع المراقبة، بس لقيتها لفة طويلة، وفكرت إني أنفذ حل أسهل بكتير، وأزود المكاسب النهارده.

نظر إليه بعدم فهم و"علاء" يواصل العزف مستطرداً بابتسامة واسعة:

- دى باقى المقطوعة بتاعتى، ركز فيها هتعجبك.

نظر له "ممدوح" بعدم فهم، وهم أن يصرخ فيه بالتوقف، ولكن شيء ما استوقفه، وكأنه شعر بجسده يذوب مع عزف الكمان ليجلس في صمت ناظراً إلى "علاء" الذي واصل العزف بابتسامة واسعة.

*****

بمجرد دخول "علاء" إلى مكتب "فتحي" هتف الأخير:

- "ماجد" مات.

- إمتى؟

- بعد ما مشي من عندي، انت عملت إيه ؟

جلس "علاء" وعاد للخلف مستنداً على ظهر كرسيه وهو يقول:

- هاعمل إيه يعني؟

ظل "فتحي" صامتاً فاستطرد "علاء":

- مات من إيه؟

- أزمة قلبية، وهو في عربيته، بيقولوا السواق لقاه مسك صدره وصرخ وعلى ما وصل مستشفى كان مات.

رسم "علاء" على وجهه علامات من الأسى المصطنع وهو يغمغم:

- عمره بقى.

- مش عارف أنت عملت إيه بس قبل ما تيجي كان بيكلمني واحد من الناس التقيلة بلغني بموت "ماجد"، وشكله هو اللي هيتعامل معايا الفترة الجاية.

- وطبعاً بيكره "عماد السرجاني" وهيخليك تعرف تدوسه.

- بالظبط.

ضحك "علاء" وهو يقول:

- الفرحة اللى في وشك بتقول كده.

- بس انا قلقان، "ممدوح" مختفي، ماتعرفش حاجة؟

هز "علاء" رأسه بالنفي وهو يقول:

- انت عارف أنا و"ممدوح" ماكناش بنتعامل مع بعض.

- تفتكر يكون حصله حاجة؟!

- "ممدوح" مايتخافش عليه.

- إزاي يختفي في الوقت ده، إحنا في وقت حساس.

- ماتقلقش، هنستغل كل حاجة لمصلحتنا.

- هنعمل إيه؟

ابتسم "علاء" ابتسامة واسعة للغاية، فذلك السؤال يطرب أذنه كلما سمعه، ويثبت مدى تفوقه وقدرته، فنظر إلى "فتحي" وملامحه متلهفة لسماع ما سيقوله، ويبدو عليها الموافقة بما سيقال أياً كان، فغمغم بهدوء:

- هاقول لك هنعمل إيه؟!

*****

جلست "سارة" بكافيه على وجهها علامات الحيرة وهى تنظر إلى "محمود" وتسأله بفضول:

- ليه مش هتحقق مع "فتحي" في ضرب النار على "عيسي"؟

أجابها ببساطة:

- أكيد "عيسي" قال له على اللى كنت ناوي أعمله، و"فتحي" مش غبي أكيد هياخد احتياطه.

صمتت وهى تفكر فيما قاله ولكنه واصل حديثه:

- وبلاش تنشري حاجة عن الحادثة، انسي الموضوع ده، ممكن يحطك في صدام مع "فتحي" خليكِ في الأمان أحسن مش عاوزك تقعي في مشكلة.

ابتسمت وهي تقول:

- اللي يشوفك دلوقتي مش هيصدق إنك كنت من كام شهر ماكنتش طايقني.

ابتسم بدوره وهو يغمغم:

- كنت هاتخانق مع "عيسي" يوم ما جابك المكتب.

سرح ببصره وهو يستطرد:

- طلعت دي الحسنة الوحيدة اللي عملها معايا، مش قادر أصدق إنه كان

بيفكر كده، كل حاجة كانت كذب، حتى لما اعترف لك بحبه كان بيكذب علشان يقرب لك ويريح "فتحي" من صداعك.

لم تعقب على جملته فتنحنح معتذراً ولكنها عاجلته بالقول:

- ماتتأسفش، دى حاجة اتوقعتها لما عرفت إنه شغال مع "فتحي".

هز رأسه متفهماً، وحاول أن يدير دفة الحديث، إلا أن القدر كان أسرع منه ووصل إليهما "أكرم" الذى تكفل بتلك المهمة وهو يقول:

- "عمر" مهندس الديكور اللي كان في الفرقة وصاحب "علاء"، كلمني عاوز يقابلك ضروري علشان عارف إني باتكلم معاك هو جاي في الطريق.

إنتظر ثلاثتهم وصول "عمر" وعقل كل منهم ينسج مئات الاحتمالات حول قدومه، ولم يطل انتظارهم طويلاً فقد وصل خلال عشر دقائق، وما إن جلس حتى قال:

- اللي انا هاحكيه ده غريب شوية، بس انا دايماً كنت قلقان من كل حاجة بتحصل، وحسيت إن "علاء" له علاقة بكل ده، رحت له أكتر من مرة، وفي مرة شفت عنده صندوق غريب مارضيش يخليني أشوفه، كان خده من "كامل أبوعلم"، فقررت أروح بيته وهو مش موجود وأحاول ادخل وأشوف الصندوق ده.

فرك "محمود" ذقنه بسبابته وهو يتساءل:

- ولقيت الصندوق؟

أجابه وهو يهز أسه بعنف:

- لأ، لقيت حاجة تاني أغرب، رسومات، ورا مكتبة أوضة النوم، ستارة وراها رسومات على الحيطة أنا صورتها.

و استطرد وهو يخرج هاتفه من جيبه:

- مافهمتش معناها بس أول ما شفتها قلقت، وحاولت أفهم إيه دول، وقلت لو حد شافها ممكن يفيدني ولما كلمت "أكرم" قال لى إن انت لازم تسمع الكلام ده و...

- وريني الصور.

كان "عمر" يبحث عن الصور، وما إن وجدها حتى ناول الهاتف لـ"محمود" الذي نظر إلى الصور بتعجب شاركه فيه كل من "أكرم" و"سارة"، فمجرد أن رأوا نقش الرجل الذي يعزف على الكمان وله جناحان حتى تذكروا كل المرات التي ناقشوا فيها ذلك النقش، وتبادل ثلاثتهم نظرة متوترة شعر بها "عمر" وتساءل بحيرة عن السبب ليجيبه "أكرم":

- رسمة الراجل اللي بيعزف على كمانجة، كانت موجودة في بيت أستاذ "كامل" برضه.

- تفتكروا ليها علاقة بالصندوق اللي "كامل" أداه لـ"علاء"؟

وقبل أن يُلقي أى منهم أى سؤال آخر ارتفع رنين هاتف "محمود" الذي أجاب، واتسعت عيناه في دهشة أكبر زادت من توتر "أكرم" و"سارة" فنظر إليهما وهو يقول بصوت لا يخلو من الدهشة:

- "عيسي" اتقبض عليه، لقوا "ممدوح الجندي" مقتول في شقته.

*****

صفقات الحياة، والموت!

وصل "محمود" إلى مكتبه وهو يبدو عليه القلق، وبعد دقائق قليلة وصل "أيمن"، وما إن دخل حتى قال بسرعة:

- قوة راحت بيت "عيسي" ولقوا جثة "ممدوح الجندي" مضروب بسكينة ومحطوطة في الحمام.

- و"عيسي" كان فين؟

- البلاغ اللى اتقدم طلع بعده أمر من النيابة لما كان موجود هنا، والقوة خدته وراحت بيه على الشقة ولقيوا جثة "ممدوح".

شبك "محمود" أصابع كفيه أمام وجهه مفكراً قبل أن يغمغم:

- وطبعاً البلاغ متقدم من مجهول.

أومأ "أيمن" برأسه إيجاباً فظل "محمود" على وضعيته وهو يفكر بعمق:

- مش غريبة إن "عيسي" يقتل "ممدوح" ويسيب الجثة في البيت ويجي عادي.

أومأ "أيمن" برأسه مرة أخرى موافقاً:

- بالظبط، وده اللي هو بيقوله من ساعة ما اتقبض عليه، بينكر التهمة.

- تقرير الطبيب الشرعي هيوضح حاجات كتير.

- فيه حاجة يا باشا بس انا ماقلتش لحد عليها، لسه عارفها من شوية.

انتبه "محمود" بكل حواسه نحو "أيمن" الذي استطرد:

- من كام يوم لما سألتني عن "عيسي" حاولت أعرف هو بيعمل إيه من غير ما يحس علشان لو فيه معلومة مهمة أبلغك بيها.

صمت ليأخذ أنفاسه ثم أكمل حديثه بحماس:

- "عيسي" كان مكلف ظابط صغير يراقب "علاء داغر"، وانا باكلم الظابط ده فهّمته إننا عارفين إن "عيسي" كان مكلفه بالمهمة دى وقلت أسأله إيه اللى كان بيطلبه "عيسي" تاني، قال لي إن وهو بيراقب "علاء" شافه طالع بيت "ممدوح".

صمت "محمود" مفكراً وهو ينظر إلى "أيمن" الذي واصل بنفس الحماس:

- مش بس كده، ده قال لي إن "عيسي" شدد عليه إنه يراقب "علاء" لأنه شافه كمان بيروح لـ"عماد السرجاني"، وهو قال لي ممكن يكون حصل خلاف بين "ممدوح" و"علاء" علشان "عماد" ده منافس "فتحي".

شرد "محمود" بعقله وهو يراجع تلك الكلمات، فقد صارت هناك الكثير من الأمور المتداخلة التي يحتاج عقله إلى تفنيدها وترتيبها. أمسك جانبي رأسه بشدة مع تدافع كل تلك الأفكار فيها، فهناك ما له علاقة منطقية ببعضه، وهناك أشياء تبدو بعيدة عن كل ما يحدث، ولكن السؤال هل كل ذلك ينتمي لبعضه وتربطه علاقة ما؟

قطع أفكاره صوت "أيمن" فتنبه ونظر إليه فتساءل الأول:

- أبلغ بالمعلومات دي ونحقق مع "علاء"؟

ظل "محمود" صامتاً في تفكير، ثم هز رأسه بالنفي في بطء وهو يغمغم:

-استنى على الكلام ده، وانا هاحاول أتأكد منه، بس عاوزك تراقب "علاء" ده بنفسك.

- تمام ياباشا.

نهض من مكانه وانصرف في حماس، فيما ظل "محمود" جالساً في هدوء ولكن عقله كان كالإعصار الذي لا يهدأ ويجوب كل جنبات رأسه بلاهوادة.

ورغم كل تلك الأفكار كان يشعر أنه لا يستطيع الوصول إلى شيء محدد، زفر في توتر وأمسك حفنة من الأوراق البيضاء، وظل يكتب بعض الأسماء في دوائر ويكتب الأحداث في دوائر أكبر.

ظل لقرابة النصف ساعة يكتب ويضيف ملاحظات حتى ترتكزت أفكاره على اسم واحد، فنهض في حسم وتوجه للخارج وعقله يحمل ذلك الاسم الذي يحتاج للحديث معه، وبشدة.

*****

لم يتوقف "فتحي" عن الحركة جيئة وذهاباً كالليث الحبيس هاتفًا بغضب، بعد علمه بموت "ممدوح"، فيما جلس "علاء" هادئاً وهو يغمغم:

- مااعرفش أكتر من إنهم لقوا جثة "ممدوح" في شقة الظابط.

توقف "فتحي" عن الحركة وهو يقول مفكراً:

- ماكنش فيه حاجة بينه وبين الظابط يبقي هيقتله ليه؟

أخذ "علاء" نفساً عميقاً وهو يقول:

- يمكن "عماد" اللي عمل كده.

نظر إليه "فتحي" بتساؤل فاستطرد "علاء":

- قتل "ممدوح" علشان يضعفك ويبقى تهديد ليك.

هز "فتحي" رأسه في توتر وهو يغمغم:

- لأ مش أسلوب "عماد".

بدأ "علاء" في العبث بالكمان وهو يقول:

- موت "ماجد" خلى "عماد" ضعيف، ولما الواحد بيبقى ضعيف وعاجز بيتغير وبيبقى عنده استعداد يعمل أي حاجة علشان يحس بالقوة تاني، فقتل

دراعك اليمين وكمان يبقى خلص من الظابط اللي بيساعدك علشان يقلل قوتك، ماتنساش انك دلوقتي موقفك أقوى منه بكتير.

أطرق "فتحي" مفكراً وعلامات الاقتناع بدأت تغزو وجهه وهو يتمتم:

- ولما يعمل كده انا أخاف منه.

ابتسم "علاء" وهو يجرب ألحاناً متقطعة على الكمان ويقول:

- بالظبط، مبدأ إنك تخاف من اللي ماعندوش حاجة يخسرها، وهو ماعندوش حاجة يخسرها.

- وهنعمل إيه؟

كانت الكلمة السحرية التي ينتظر "علاء" سماعها فقال بحزم:

- هاعرف ازاي أخليه مايقدرش يعمل حاجة، انا اللي هاعمل المرة دي كل حاجة، ماتقلقش مش هيعمل حاجة دلوقتي، هو مستني زيك إشارة البداية.

صمت "فتحي" والتوتر يملأ وجهه، بينما بدأ "علاء" بالعزف على الكمان بمنتهى النعومة.

*****

لم تمض ساعات على وجود "عيسي" في محبسه ولكنه شعر أنها طويلة للغاية امتدت لأيام طويلة وربما سنوات، كان يخنقه ما حدث، فمنذ ساعات كان أحد رجال الشرطة، والآن هو متهم بجريمة قتل، كل ما كان يرغب في الوصول إليه الآن صار مستحيلاً، أى عبث هذا الذي يُفقدك كل شيء فجأة؛ فتصبح مطلوباً للعدالة، ويشعر من كنت تواجهه منذ أيام قليلة أنه هو من انتصر.

كان الشخص الذي يفكر فيه في تلك اللحظة هو "محمود" الذي بالتأكيد الآن يشعر بنشوة النصر بعد ماحدث له، وهو ما يخنقه أكثر.

كانت الأفكار تعربد في رأسه، وهو يحاول البحث عن تفسير منطقي، كيف مات "ممدوح"؟ ومن قتله؟

ظل عقله يفكر كثيراً، ثم تذكر ذلك اليوم الذي تم إطلاق النار عليه، (الطرف الثالث)، رنت تلك الكلمة في رأسه كالناقوس، لقد زاد شعوره أن ما حدث هو استكمال لمحاولة قتله السابقة، ذلك المجهول الذي يعبث ويغير كل شيء لصالحه دون أن يُدرك أحد من هو.

وأدرك "عيسى" أنه لم يعد الأمر متوقفاً الآن على بعض العبث، بل صار يتعلق بحياته، والتي صارت على المحك إذا لم يتمكن من معرفة ذلك الطرف الثالث وإثبات براءته، قبل أن ينتهي به الأمر متأرجحاً على حبل في غرفة مظلمة.

*****

نظرت "سارة" إلى "أكرم" بعد رحيل "عمر" وسألته:

- بتفكر في كلام "عمر"؟!

- أه، ولازم نعرف أكتر عن مقطوعة الشيطان، مافيش تفسير للرسمة دي تاني، الرسمة شبه رمز مقطوعة الشيطان، ودلوقتي لقوها في شقة "علاء" تلميذ "كامل"، وأول واحد كانت الرسمة عنده، يبقى أكيد وجودها له معنى، محتاجين ندور تاني ورا الرسمة دي.

نظرت له دون أن تنطق وإن حملت عيناها الكثير من الكلمات التي كانت تخاف التفوه بها فاستحثها "أكرم" على الحديث:

- قولي اللى جواكِ.

تنحنحت وهى تقول:

- مش عاوزاك تضايق، بس انت بتقنع نفسك بمقطوعة الشيطان علشان

تلاقي حاجة تبقى ضد "علاء"، عاوز تنتقم منه وبتدور على أى حاجة تخليه يبقى له علاقة باللي بيحصل.

- ممكن تكوني صح، بس انا لحد دلوقتي بادور ورا المقطوعة دي من غير ما أكون حاطط "علاء" في اهتمامي، ماتقلقيش.

- مش عاوزاك تخسر نفسك.

- ماتخافيش، انا عاوز أساعد "محمود"، أكيد مش صدفة نلاقي الرسمة عند "كامل" و"علاء".

وافقته بإيماءة من رأسها وطفق عقله في التفكير مرة أخرى في ذلك الأمر، وإن كان ما قالته "سارة" جعله يعيد التفكير مرة أخرى، هل هو يقوم بذلك لمساعدة "محمود" أم لإيجاد دافع ومبرر للتخلص من "علاء"؟

*****

جلس "عمر" ينظر إلى صورة النقش التي صورها من شقة "علاء" أكثر من مرة بحيرة وهو يحاول أن يفهم معناها، ثم نهض وتحرك نحو الباب في هدوء بعد أن طرقه أحدهم، وما إن فتحه حتى ظهرت على وجهه علامات التعجب والحيرة عندما رأى ذلك القادم، كان آخر من يتوقع رؤيته في تلك اللحظة بالذات، وظل يحملق فيه وهو يسأل بتوتر:

- إيه اللى جابك يا "علاء"؟

أجابه ساخراً:

- كل مرة انت اللي بتجي لي، فقلت اعمل زيك المرة دي.

تنحى "عمر" عن مدخل الشقة ودلف "علاء" إلى الداخل وهو يقول ساخراً:

- "ياسمين" ماتت، وفيه واحد اتقتل من يومين وانت ماجتش تتهمني إني

السبب فقلت أطمن عليك.

لم ترق تلك اللهجة الساخرة لـ"عمر" فقال بحدة:

- انا قلت لك إني مش هاجي لك تاني وهابعد عنك زي ما طلبت.

جلس "علاء" مغمغماً:

- أمال جيت بيتي ليه وفتشته وانا مش موجود؟

توتر "عمر" تلك المرة وازدرد لعابه وهو يحاول الإنكار:

- ماحصلش، جبت الكلام ده منين؟

ابتسم "علاء" وهو يجيب:

- ماحدش بيقول لي، انا باعرف، وعارف إنك دخلت وفتشت بس مالقتش حاجة.

- وانت مالك؟!

نهض "علاء" هذه المرة وهو يقول بحدة:

- لأ، ده أما تبقى حاجة برة بيتي، بس ده بيتي يبقى ماتبقاش بجح وتقول لي ملكش دعوة.

صمت لدقيقة نظر خلالها إلى عيني "عمر" نظرة متحدية وهو يستطرد:

- مش عاوزك تتأذي، انت مالكش دعوة باللي بيحصل ولا هتستفيد منه.

- بتهددني يعني؟

ابتسم ساخراً وهو يغمغم:

- الناس اللي بتتهدد هي اللي بتتأذي وانا ماقدرش أهددك.

نظر إليه بعدم فهم ولكن "علاء" استطرد مسرعاً:

- الأذى ممكن يطول أي حد، انا قلت لك انا باحقق طموحي ومش عاوز

حاجة تعطلني، لأني هاوصل، وأديك شايف بقيت من أشهر الموسيقيين في مصر، وليَّ حفلات قريب هتبقى بداية العالمية، كل اللي بتعمله ممكن يعطلني بس مش هيوقفني.

- وإيه الرسومات اللي لقيتها عندك؟

هز رأسه بتعجب وهو يجيب:

- رسومات إيه!! انا موسيقار مش رسام.

بدأ "عمر" يفقد أعصابه وهو يقول:

- الرسومات اللى كانت ورا مكتبة اوضة النوم.

- انت بتعترف إنك فتشت لحد اوضة النوم، هايل.

وضع يده على كتف "علاء" وهو يقول:

- انا باعمل كده علشان أساعدك.

أزاح "علاء" يده في هدوء قائلاً:

- مش محتاج مساعدتك، ياريت تخلي بالك وماتغلطش تاني معايا، علشان اللي حواليك.

قالها وانصرف خارجاً وبقى "عمر" واقفاً في منتصف صالة المنزل يشعر بحيرة غريبة، كيف تغير صديقه إلى ذلك الحد؟ طريقة كلامه وألفاظه وأفكاره، كل شيء تغير، ولكن رغم ذلك هناك شيء خفي لم يتغير، الشيء الذي يجعل "علاء" حتى الآن يعامله بهدوء على الرغم من صداماتهم المتتالية، كان يُدرك أن ذلك العامل الخفي قد يحمل الكثير من التفسيرات، ولكنه لم يكن يدري ما هو، وظل سؤاله معلقاً، بلا إجابة.

*****

تحرك "عيسي" بأقدام متثاقلة نحو غرفة وكيل النيابة، وما إن دخل إلى الغرفة حتى شعر بالدهشة عندما لمح "محمود" جالساً بهدوء ينتظره، جلس على أقرب مقعد وخرج كل من بالغرفة ولم يتبقَ سواه مع "محمود" فبادر بالقول مسرعاً:

- جاي تفرح بانتصارك، بس ده انتصار وهمي.

هز "محمود" رأسه وهو يقول بضجر:

- انتصار إيه، انا جاي أساعدك.

ضحك "عيسي" بسخرية فاستطرد "محمود":

- لازم تصدق اني عاوز اساعدك، علشان دي فرصة ليك انت كمان.

نهض "عيسي" من مكانه وهو يهتف بسخرية:

- فرصتي علشان أتطهر وأصلح غلطاتي، المواعظ بتاعتك جاي تكملها هنا.

نهض "محمود" بدوره وهو يهتف:

- انت مش محتاج الكلام ده لأنك مش مقتنع إنك غلطت، انت شايف إنك صح وأنا جاي أكلمك على الأساس ده.

- مش فاهم.

- انت بتحب الصفقات، وزي ما عملت صفقة مع "فتحي" علشان يساعدك، انا هاعمل معاك صفقة زيها، اقدم اتفاق في الدنيا، تديني معلومات وانا قصادها هاحاول أطلعك من هنا.

أخذ يتحرك في الغرفة بتفكير ثم جلس وهو يقضم أظافره بتوتر متسائلاً:

- وانت هتعرف تخرجني إزاي؟ فيه حد تاني مستفيد من اللي حصل زي يوم ما اتضربت بالنار، وبرضه مش هتعرف توصله.

تحرك "محمود" بهدوء حتى صار أمامه ثم مال نحو وجهه وهو يتمتم:

- أي معلومة ممكن تساعدني أطلعك.

نظر في عينيه مباشرة فاستطرد "محمود":

- وانا مش هاستفيد حاجة من موتك، يبقى الأحسن انت تديني معلومات تساعدني بخصوص "فتحي"، وانا أحاول أخرجك من القضية دي، لأن ماحدش هيهتم بيك ولا حتى "فتحي".

نظر "عيسي" إلى الأرض وهو يهز قدمه اليمنى في توتر بالغ، فتلك الجملة الأخيرة أصابت كبد الحقيقة مباشرة، "فتحي" لن يهتم بإنقاذه، وذلك العرض ربما يكون الأمل الأخير له.

ظل يلعن في داخله من قام بوضعه في تلك الورطة، فكان يشعر أنه كعسكري الشطرنج الذي سقط بين طابية وحصان ولا يستطيع الفكاك منهما، فعاد للنظر إلى "محمود" وهو يسأل:

- وانت ضامن منين إن عندي معلومات تفيدك؟

ابتسم "محمود" مجيباً:

- انت مش غبي، وأكيد عامل حساب يوم هتنتهي فيه مصلحتك مع "فتحي"، ولازم تبقى مأمن ضهرك بشوية معلومات علشان مايغدرش بيك.

للمرة الثانية أصاب "محمود" الحقيقة، فعاد "عيسي" إلى شروده وتفكيره، ليزفر "محمود" بضجر ثم يتوجه نحو الباب في هدوء وهو يغمغم:

- شكلك لسه هتفكر كتير، لو عوزت تقابلني هما هيبلغوني، إحنا عاملين اعتبار إنك كنت زميلنا.

استوقفه "عيسي" بحسم:

- استنى.

التفت "محمود" إليه بهدوء فاستطرد:

- عاوز تعرف إيه يا "محمود"؟

ابتسم "محمود" بعد شعوره بالانتصار وعاد للجلوس وهو يقول:

- كل حاجة تعرفها يا "عيسي".

- مااعرفش كتير.

- قول اللي تعرفه، وعلشان أسهل عليك ومانضيعش وقت هاسألك الأسئلة اللي محتاج إجابتها.

صمت لثوان تأمل فيها وجه "عيسي" الذى بدا مستسلماً وهو يستطرد:

- إيه اللى كان بين "فتحي" و"كامل أبوعلم "؟

*****

كعادته كلما شعر بالضيق كان "أكرم" يذهب إلى "سيد" قبل عودته للمنزل، وكان ذلك الأخير يستقبله بحفاوة، وبعد دقائق من وصوله نظر إليه "سيد" بهدوء وهو يقول:

- مش هتقول مالك؟ انت لما بتجيلي باعرف إنك مهموم.

- محتار يا "سيد"، ساعات بنلاقي قدامنا طريقين مابنبقاش عارفين نختار، وساعات بنبقى قدام حاجات مابنبقاش عارفين بنعملها ليه، علشان هي الصح ولاعلشان نوصل لهدف في دماغنا، والهدف ده صح ولا غلط؟

نظر إليه "سيد" بإشفاق وهو يقول:

- الواحد لما بيختار حاجة بيختار اللي يريح قلبه وعقله.

- دى المبررات اللي بنحطها لكل حاجة بنعملها علشان نعرف إحنا عملناها ليه، بس ساعات المبررات بتبقى السبب إننا مش عارفين نختار، المبررات دي

أغرب حاجة في الدنيا، ممكن تعمل الخير ويبقى له مبرر منطقي، وبرضه تعمل الشر ويبقى له ألف مبرر جواك.

غمغم "سيد" بهدوء:

- ربنا خلى جوا كل واحد ميزان يحس بالخير ويعرف الشر.

أسند "أكرم" مرفقه على ركبته وأسند جبهته على راحة يده وهو يقول:

- الميزان ده جزء من نفس الإنسان، اللي ممكن تأمره بالسوء، اللي ممكن تخليه يعمل الشر بعد ما يتعمي عن الخير لأي سبب، انتقام أو حب مال أو سلطة، حاجات كتير تخلي الميزان يختل مايبقاش عارف إن كان صح ولا غلط.

هز "سيد" رأسه وهو يتمتم:

- حتى لو الميزان ده عليه غشاوة، الواحد بيحس إن فيه حاجة غلط، زيك دلوقتي، الميزان بتاعك عليه غشاوة بس انت جواك أبيض، طبيعتك مابتحبش الشر، وانت جواك خناقة بين نفسك اللي عاوزاك تعمل شر وبين ميزان الخير وهو بيعافر قصاد العتمة جواك.

نظر له "أكرم" بهدوء وهو يقول:

- والعتمة دي هتخرج لما أنتقم من اللى بوظ حياتي؟

- الانتقام ده هو العتمة اللى جواك اللي هتخنق فيك ومش هتستحملها.

أطرق "أكرم" برأسه ولم ينطق وظل عقله يفكر، من يُطيع، نفسه التي تطلب منه البحث والانتقام من "علاء"، أم ميزان الخير بداخله؟!

*****

جلس "محمود" ينصت إلى "عيسي" والأخير يسرد تفاصيل علاقة "فتحي" و"كامل" بهدوء:

- "فتحي" و"كامل" كانوا اصحاب جداً وبينهم علاقات في الشغل وبرة، زي ما شفت الخبر اللي "سارة" لقيته، بس "فتحي" مع الوقت ابتدت نشاطاته تاخد أشكال تانية، واحدة واحدة ابتدى الفساد يدخل في شغله، بعد ما اقتنع أنه محتاج يكبر بسرعة، دخل في أنشطة مشبوهة، أغذية فاسدة، سلاح، دعارة، مخدرات، كل حاجة غلط كان بيعملها. وماحدش عرف يمسك عليه حاجة.

استحثه "محمود" على المواصلة وهو يغمغم:

- كل ده انا عارفه يا "عيسي"، إيه علاقة كل ده بـ"كامل"؟

زفر "عيسي" وهو ينظر إليه قائلاً:

- دايماً مستعجل!

صمت "محمود" ثم أشار له بالمواصلة، فاستطرد:

- الصداقة خلت "كامل" عرف شغل "فتحي" وقرر يبعد ويقطع علاقته بيه.

- بس ده كان من زمان جداً، ليه "كامل" مابلغش عنه؟

- "كامل" فعلاً بلغ زمان، بس ماكنش فيه دليل برضه، ودة خلق بينهم عداوة كبيرة خلتهم مايتجمعوش في مكان واحد.

- وليه "ممدوح" جه بيت "كامل" بعد ما مات؟

أجاب "عيسي" بثقة:

- قبل ما "كامل" يموت بكام سنة وصله ورق فيه مصايب كتير عن "فتحي"، الورق ده كان وصله عن طريق "عماد السرجاني".

- و"عماد" ماسلمش الورق ليه؟

- كل العداوة بين "فتحي" و"عماد" من تحت الترابيزة، الكبار كانوا مخليين بينهم اتفاق إن ماحدش يأذي التاني، وهما التزموا، بس من تحت الترابيزة كل

واحد كان بيدبر ألف مصيبة، ولما الورق ده جه تحت إيد "عماد" أداه لـ"كامل" لما عرف إنه بلغ عنه قبل كده.

صمت لحظة ثم استطرد:

- "كامل" فكر برومانسية الموسيقيين، كان عاوز "فتحي" يوقف نشاطاته المشبوهة من غير ما يسجنه، وهدده إنه يسلم الورق للبوليس، و"فتحي" ساعتها وافق ووعده إنه يوقف نشاطه المشبوه، بس ده علشان هو كان محتاج يهدا أكتر خصوصاً بعد ما العين بقت مفتوحة عليه، فكانت فترة هدوء واستغلها إنه يوهم "كامل" إنه اقتنع بكلامه.

- و"كامل" كان ضامن منين إن "فتحي" هيحافظ على الوعد؟

أجاب ببساطة وهو يبتسم:

- "كامل" أقنع "فتحي" إنه بيعرف أخباره بالتفصيل وهدده إنه لو عمل حاجة هيسلم الورق.

- و"فتحي" اقتنع؟

- لما بتكون متهدد وفيه منطقة ضعف بتصدق حاجات كتير، بس "فتحي" حاول مايفضلش ضعيف، وكان بيهدد "كامل" إنه هيقتل أخته وأخوه وولادهم اللي مهاجرين برة مصر لو "كامل" قدم حاجة للبوليس.

- والاتنين فضلوا عايشين خايفين من بعض.

- وكل حاجة فضلت زي ما هي، "فتحي" مش عارف مكان الورق ومش عاوز يخاطر، و"كامل" ماكنش عاوز يخاطر بحياة أهله وفضل ساكت.

تساءل "محمود" بفضول:

- و"ممدوح" جه شقة "كامل" يدور على الورق؟

- بس مالقاش حاجة، الورق اختفي، ودي كانت أغرب حاجة، "كامل" قبل ما يموت بساعات كلم "فتحي" مكالمة غريبة طلب منه إنه ميئذيش أهله، كان أسلوبه غريب كأنه خايف.

عاد "محمود" بظهره إلى الخلف وهو يتساءل بحيرة:

- من إيه؟ هو كان في موقع قوة.

- ده خلى "فتحي" يقلق، بس لما مات بعت "ممدوح" يدور على الورق، لكن الورق اختفى وماحدش عرف هو فين.

هز "محمود" رأسه في عدم تصديق وهو يغمغم:

- ورق ومؤامرات وتهديدات، انت عرفت كل ده إزاي؟

ابتسم ابتسامة باهتة مغمغماً:

- لما تبقى شغال مع واحد زي "فتحي" ٤ سنين لازم تعرف كل تفصيلة بتحصل من غير ما حد يحس بيك، عرفت من "ممدوح" تفاصيل كتير بالذات بعد ما ظهر "علاء"، كان شاكك فيه، الشك خلاه خايف، وحكى لي تفاصيل كتير زي موضوع "كامل"، و"ماجد الجازوي" واحد من الكبار، "فتحي" و"عماد" مايقدروش يكسروا له كلمة.

نهض "محمود" من مكانه وهو يغمغم:

- كنت عارف حاجات كتير قوي وسايبني بالف حوالين نفسي.

لم يعقب على جملته وتساءل بفضول:

- المهم هتعرف تخرجني؟

- انا أديتك كلمة إني أحاول، قل لي صحيح، الرسمة اللي كانت في بيت "كامل" والحريقة اللي حصلت تعرف عنهم إيه؟

- ولا حاجة، كل اللي حصل من أول موت "كامل" لحد دلوقتي كان غريب.
توجه "محمود" نحو الباب فاستوقفه "عيسي" بقوله:
- في حاجة نسيتها.
نظر له "محمود" بتساؤل فاستطرد:
- "ممدوح" قال لي إن "علاء" كان عارف تفاصيل علاقة "فتحي" و"كامل" وموضوع الورق، وقبل ما "ممدوح" يموت كان "علاء" راح له وهدده بسبب إني كنت باراقبه واحتمال كبير جداً يكون "علاء" هو اللي حاول يقتلني، ده استنتاج "ممدوح" بعد آخر مقابلة مع "علاء".
ظهرت علامات التفكير واضحة في عيني "محمود" الذي وجد اسما تكرر بكثرة في الفترة الأخيرة يحتاج منه إلى إعادة النظر بإمعان أكثر، وخرج من الغرفة وعقله لا يتوقف عن التفكير إلا في شخص واحد.
"علاء داغر".

*****

طوال الوقت الذي سار فيه "محمود" نحو مكتبه لم يتوقف عقله عن تفنيد الأحداث مرة أخرى، فتكرار اسم "علاء" في الفترة الأخيرة جعله يرى أن ذلك الشخص سيكون مفتاحًا لفهم الكثير بل وربما يكون هو أصل كل شيء، ولكنه كان متأكدًا أن الأمر يحتاج إلى خطوات مدروسة حتى لا يقع في أخطائه السابقة وتضيع منه كل الخيوط مرة أخرى.
وصل إلى مكتبه وهو يشعر بإرهاق شديد، وما إن دخل حتى ارتفع حاجباه في دهشة عندما رأى "عمر" جالساً في انتظاره، فنهض الأخير من مكانه وهو يقول متوتراً:

- فيه حاجة حصلت و"أكرم" قاللي لازم أبلغك.
أشار إليه بالجلوس لتهدئته و"عمر" يواصل:
- "علاء" جالي البيت وكان عارف إني فتشت شقته، وهددني بشكل مش مباشر إنه ممكن يأذي أى حد لو فضلت بافتش وراه.
- بس الفرصة كانت قدامه.
- مش فاهم!!
- ماكنش محتاج يهددك، ممكن يأذيك على طول، هو كان بيبلغك بس.
صمت "عمر" وهو يفكر لثوان ثم قال:
- تصدق عندك حق، هو قال لي إنه مايقدرش يهددني وبعدين قال إنه ممكن يأذي اللي حواليَّ.
- بس ليه؟
لم يجب "عمر"، ونهض "محمود" وهو يسترجع كل الأحداث منذ وفاة "كامل" حتى لقائه بـ"عيسي"، ثم نظر إلى "عمر" وسأله:
- قلت لي فيه صندوق "كامل" سابه لـ"علاء"، كان فيه إيه الصندوق؟
- مااعرفش، لمحت جواه ورق أو تقريباً كان نوتة موسيقية، مش متأكد.
عاد "محمود" لصمته دقائق، ثم إلتفت إلى "عمر" وهو يغمغم مفكراً:
- فيه شكوك كتير على "علاء" دلوقتي منها إن هو اللي ضرب "عيسي" بالنار، وبما إنك كنت صاحبه هاحتاج مساعدتك.
ظل "عمر" متردداً لدقيقتين وهو ينظر إلى "محمود" قبل أن يحسم قراره ويهز رأسه ببطء علامة الموافقة.

*****

رغم حواره مع "سيد" إلا أن عقله كان مصمماً على مواصلة ما بدأه، كان لا يعلم سبب رغبته في التخلص من "علاء"، عقله يرفض التفكير في أي أمر آخر سواه، لا يعلم هل هي رغبة في حماية الآخرين من أن يذوقوا مرارة ما ذاقه؟!
كان يرى أن إيقاف "علاء" سيحمي الكثيرين، لذلك قرر المواصلة، ربما يجد في انتقامه ما يزيل الحزن من قلبه ويعيد له بعضًا من ضوء الحياة.
دارت في رأسه كل تلك الأفكار، وهو جالس أمام شاشة الحاسوب، وعدد كبير من الكتب، يحاول البحث عن أى أمر يتعلق بذلك النقش الغامض، ولكن كلها كانت معلومات مكررة، لم تختلف عما أخبر به "محمود" من قبل.
استغرق ساعات طويلة وهو منغمس في البحث، فبدأ في التجول بين صوره القديمة لإراحة ذهنه قليلاً، الكثير من الصور رآها، صور قديمة له وللأروكسترا ولـ"كامل"، ثم توقف عند معلومة لمحتها عيناه فبدأ في تدوينها وهو يتمتم:
- الكلام ده بيأكد اللي قلته لـ "سارة" عن مقطوعة الموت، لازم تقراه هي كمان.
قطع أفكاره صوت جرس الباب، فنهض في هدوء لفتحه، واندهش عندما لم يجد سوى لفافة موضوعة أمام الباب، انحنى ليأخذها بحذر ثم فتحها ليجد ورقة مع أسطوانة مدمجة، وما إن بدأ في قراءة الورقة حتى اتسعت عيناه بفزع وهرع إلى شاشة الحاسوب لتشغيل الأسطوانة سريعًا، وبعد أن شاهد فحوى الأسطوانة تهدجت أنفاسه بشدة وعاد لإكمال قراءة الورقة وعروق وجهه تكاد تنفجر كبركان شديد الخطورة.

*****

تريلّو

استلقى "علاء" على فراشه ينظر إلى سقف الحجرة وهو يشعر بنشوة انتصاراته المتعددة التي حققها، فقد تخلص من وجود "أكرم" في حياته، ولم تعد "ياسمين" تسبب له المشاكل، وانتهى اسم "محمد رفعت"، وتخلص من "ممدوح" لتزداد سيطرته أكثر على "فتحي"، والآن هو في طريقه للسيطرة على "عماد" أيضاً. كانت السيطرة على "فتحي" و"عماد" أمراً يضمن له الكثير من القوة والسيطرة، ابتسم وأغمض عينيه وهو يتذكر كيف تغير كل شيء دون أن يتوقع، تغير كل شيء في مقابلة واحدة عرف فيها مقطوعة كانت أهم مقطوعة في حياته. استرجع تلك الليلة، الليلة التي ظن فيها إنه خسر كل شيء، ولكنه عاد بعدها ليفوز بالكثير جداً، وتذكر ذلك الرجل الذي جعل كل شيء يبدأ بسؤال واحد.

*****

- السؤال الصح مش انا عرفت إنك هنا إزاي، السؤال الصح إنك تسألنى انا مين؟

تسمر "علاء" مكانه للحظات قبل أن يسأله بشيء من العصبية:

- انت مين؟

شد الرجل قامته في اعتداد وعقد يديه أمام صدره قبل أن يقول في لهجة حاسمة هادئة:

- "جازر".

نظر إليه "علاء" وهو يقول باستنكار:

- "جازر"!! أول مرة أسمعه، ولما عرفت اسمك برضه مافهمتش انت عرفتني منين!
ابتسم "جازر" وهو يهتف:
- انت ماعرفتنيش، انت عرفت اسمي، فيه فرق كبير بين الاتنين.
ظل صامتاً في حين استطرد الغريب:
- ناس كتير أساميها زي بعض بس شخصياتهم وأفكارهم وطموحاتهم مختلفة، لو واحد قال لك اسمه ماتفتكرش إنك عرفته، انت شفت حاجة من برة، لكن اللي جواه هو ده اللي بيفرق، عمر الاسم ما كان دليل على اللي قدامك ولا مقياس تحكم بيه.
- يبقى مش محتاج اسمك، انا محتاج اعرف اللي جواك.
توجه "جازر" ببصره نحو النيل وشرد به طويلاً، و"علاء" ينتظر منه أن يتحدث ويخبره من هو، فعاد "جازر" للنظر إليه وهو يتمتم:
- فضولك هيموتك علشان تعرف انا مين، مع إنك من دقايق كنت عاوزني أسيبك في حالك.
لم يتفوه بكلمة وهو ينظر إلى "جازر" الذي واصل حديثه:
- الفضول، أول ما بيتمكن من الواحد بيبقى عنده استعداد يصبر ويعمل أى حاجة علشان يعرف، بس فيه أحاسيس أصعب من الفضول، زي إحساس الفشل اللي جواك دلوقتي.
نظر إليه بتعجب وازدرد لعابه وهو يشعر بالتوتر من ذلك الشخص، بينما واصل"جازر" حديثه:
- لما الواحد بتضيع منه كل حاجة بيبقى تايه، الدنيا بتبقى ضيقة، مع إنه ممكن

يبقى في إيده إنه يكسب كل حاجة بس مابياخدش باله.

- وإيه اللي في إيدي وانا ماعرفوش؟

مال على وجهه مجيباً:

- الكمانجة.

شعر بخليط من الفضول والقلق من الحديث فيما استطرد "جازر":

- تحب تعرف إزاي؟

هز رأسه موافقاً فهتف "جازر":

- تعالى معايا.

*****

اعتدل "علاء" في فراشه بحدة بعدما تنبه على صوت رنين هاتفه، فأطلق سباباً ساخطاً وهو يتناول الهاتف ونظر إليه لبضع ثوان، وابتسم حينما وجد "عماد السرجاني" هو المتصل.

كانت تلك إشارة أخرى لنجاحه، فقد بات مسيطرًا الآن على "عماد" بنفس الطريقة التي اتبعها مع "فتحي" في البداية، وهو ما كان ينتظره، وبشدة.

*****

دخل "أيمن" إلى غرفة "محمود" مهرولاً وهو يقول مسرعًا:

-وانا باسأل على "ماجد الجازوي" زي ما طلبت مني، عرفت إنه مات من يومين ، أزمة قلبية.

اعتدل "محمود" في مجلسه وهو يزفر بضيق في حين واصل "أيمن":

- تقرير الطب الشرعي طلع بخصوص "ممدوح"، اتدبح والجثة نزفت دم كتير لكن مش موجود في بيت "عيسي" دم، وده بيرجح إنها اتنقلت من مكانها.

- لسه فيه نفس المشكلة، ماهو ممكن يقتله برة ويجيبه البيت، مافيش حاجة تاني في التقرير ده ممكن تفيد "عيسي"؟

هز "أيمن" رأسه بالنفي، فعض "محمود" شفته السفلى في غيظ وهو يستطرد:

- "علاء" ماعرفتش عنه حاجة؟

- بيقابل "عماد" بشكل منتظم زي "فتحي".

أسند مرفقيه على المكتب وضم قبضتيه أمام وجهه وهو يقول:

- ركز معاه، انا شاكك فيه في موت "رفعت" و"ممدوح"، وحتى "ماجد".

كان "أيمن" متردداً وهو يتساءل :

- "محمد رفعت" مات بأزمة قلبية وكمان "ماجد"، هيبقى له علاقة بموتهم إزاي؟

أجابه "محمود" وهو يحرك يديه بانفعال:

- علاقة من بعيد ماحدش عارف، بس أكيد له علاقة بموت "ممدوح"، وهما كانوا على خلاف، حاولوا تشتغلوا على الاحتمال ده يا "أيمن" وماتنساش تتابع معايا أول بأول.

- أكيد ياباشا.

ابتسم له "محمود" بامتنان قبل أن ينصرف، وجلس يطرق سطح المكتب بأصابعه في تفكير ثم أمسك بهاتفه وهو يطلب رقم "عمر"، وبعد ثوان أجاب "عمر" من الجانب الآخر فأسرع بالقول:

- عاوز أقابلك يا "عمر"، قل لي انت فين وآجي لك، فيه حاجة مهمة جداً لازم نعملها النهارده.

*****

تحركت "سارة" نحو باب منزلها، وما إن فتحته حتى وجدت "أكرم" الذي قال وهو يدخل:

- ماعلش كنت عاوز أقول لك حاجة مهمة، فاكرة كلامنا عن مقطوعة الشيطان، لما قلتِ إني باحاول أثبت أي حاجة على "علاء".

نظرت إليه دون رد واستطرد بحماس وهو يعطيها ورقة من كتاب قديم.

- وصلت لحاجات كتير هتخليكو تصدقوا.

أمسكت الورقة ونظرت فيها قليلاً وهي تقول:

- ما ده نفس الكلام اللي حكيته قبل كده.

ناولها ورقة أخرى هاتفاً:

- شوفي دي.

تناولت الورقة من يده وهي تقرأ ما فيها بتركيز.

(سبق وأن حلم فى ليلة فى ١٧١٣ انه قد حظي باتفاق مع الشيطان، الذى وعده أن يكون فى خدمته فى كل المناسبات، ومن خلال هذة الرؤية أصبح كل شيء على مايرام طبقاً لعقله.

باختصار، لقد تخيل انه اعطى للشيطان الكمان الخاص به لكى يكتشف أى نوع من الموسيقيين هو، وعند استغرابه الكبير عندما سمعه يلعب منفرداً بشكل رائع ونفذها بتذوق عالٍ وبإتقان).

رفعت "سارة" عينيها عن الورقة وهي تنظر إلى "أكرم" الذي كان ينظر لها بترقب وهو ينتظر تعليقها على ما قرأت، كانت تشعر كما لو أن دقات قلبه صار صوتها مسموعاً، فهي تدرك جيداً كراهيته لـ "علاء"، فمازال مقتنعاً إنه هو المتسبب في وفاة "رضوى".

تعلم مدى حبه لها وتعلم رغبته في الانتقام لموتها، والتي أصبحت هي فقط ما يحركه ويجعله حياً، ولكن أي حياة تلك التي يحياها، فالحياة من أجل الانتقام فقط هي موت مؤقت، إنسان يعيش فقط من أجل الانتقام حتى أصبحت روحه يكسوها الغل الذي قد يستخدمه الشيطان ليضعه على حافة الهاوية.

- إيه رأيِك؟

قطع أفكارها بسؤاله فأغلقت الورقة وهي تقول بتردد:

- كلام عام مافيهوش حاجة.

بدا عليه الإصرار وهو يتناول الورقة ويقول:

- لا مش عام يا "سارة"، ركزي كويس هتلاقي إنه بيقول إن الشيطان بقى يساعد "تارتيني"، اربطي ده مع اللي حصل مع "علاء" وهتلاقي إن فيه حاجات فجأة حصلت من غير مقدمات، فجأة يعمل مقطوعة ناجحة وفجأة انا امشي من الفرقة وموت "رفعت"، "علاء" فجأة بقى قوي وعزف مقطوعة صعبة، المقطوعة أما سمعتها لقيت فيها حاجة تخوف.

نظرت له "سارة" بقلق فيما هو واصل حديثه:

- العزف على الكمانجة بيكون عن طريق حركتين ودة الطبيعي، بس الصعب إنك توصل للحركة التالتة، ٣ حركات في الكمانجة صعب يوصل لها، اسمها "تريلو" مش أي حد بيعزفها، و"تارتيني" بعد ما حلم بالشيطان وصل لها، ده معناه حاجة واحدة، الشيطان بيساعد "علاء"، هو اللي علمه المقطوعة.

ازدردت لعابها في خوف وهي تنظر إلى "أكرم" الذي أنهى كلامه، كانت تشعر بتوتر بالغ يسري بداخلها، فإن كان ماقاله حقيقيا فهو يحمل الخطر للجميع.

وأول من سيتعرض للخطر هو "أكرم" نفسه الذي لن يتردد "علاء" في

التخلص منه، وربما يكون ذلك في منتهى السهولة. كان من الصعب عليها أن تفقد "أكرم" أيضًا، فقد أصبح هو عائلتها الوحيدة الآن، وهي لا تريد فقدانه، فأخذت نفسًا عميقًا وتمنت أن تحاول إثنائه عن السعي وراء "علاء" وهي تغمغم:

- انسى "علاء"، وسيبك من الاستنتاجات دي، انا خايفة عليك، ارجع زي زمان، على الأقل ارجع للمزيكا.

- المزيكا عاوزة روح، وانا روحي ضلمت بعد اللي حصل، صدقيني "علاء" وراه حاجة كبيرة، انا متأكد ليها علاقة بمقطوعة الشيطان، ده التفسير الوحيد لوجود الرسمة دي.

نظرت نحوه بشفقة دون أن تتحدث، كان يدرك ما يجول بخاطرها، كان يدرك خوفها عليه بعد أن صار الشخص الوحيد المتبقي لها، كان يريد إقناعها ولكنه كان بحاجة إلى الاعتراف بأمر خطير لا يقوى عليه، فحاول تبرير الأمر قائلاً:

- باحاول أوقف شيطان من الإنس انه يأذي حد، انا مش باخرف، "علاء" خطر.

- سيب الموضوع ده أرجوك.

كان يشعر من لهجتها بضعف لم يعهده منها من قبل فأطبق الورقة بيده وهو يقول:

- حاضر.

ثم نظر لها وهو يبتسم فابتسمت بدورها، ربت على يدها ثم نهض من مكانه وهو يودعها ويخرج من باب الشقة، وبعد خروجه وما قاله لها شعرت في قلبها

بانقباضة قوية، بينما وقف هو بالخارج لثوانٍ وملامحه تستشيط غضبًا ولا يدور في رأسه سوى اسم "علاء".

*****

جلس "علاء" مزهواً بنفسه بعد مكالمة "عماد"، كل شيء يسير الآن نحو تحقيق ما كان يسعى إليه منذ عرف ذلك اللحن، وأغمض عينيه مرة أخرى وهو يعود لذكرياته.

*****

لم يكن يدري سر طاعته لـ"جازر" والاهتمام بالبقاء والحديث معه، على الرغم من كونه لم يعرفه سوى منذ بضع ساعات، ولكنه حاول نفض كل تلك الأفكار عن رأسه بعد أن وصل مع "جازر" إلى بيته.

دخل "جازر" وكأنه يعرف بيت "علاء" جيداً، حتى أن الأخير هتف بدهشة:

- زي ما تكون عارف البيت.

ابتسم "جازر" وهو يقول:

- انت جايبني هنا علشان عندك فضول تعرف انا مين وحاسس إنك هتستفيد.

- دي الحقيقة، انت قلت الإجابة، بس مش عارف هستفيد ولا لأ؟

تلفت "جازر" حوله دون أن يجيب ثم وقعت عيناه على حقيبة الكمان الخاص بـ"علاء" ملقاة على المنضدة في الغرفة المجاورة، فتوجه نحوها وأخرج الكمان وهو يسأل:

- انت زعلان من الكمانجة ولا إيه؟

- ليه؟

- راميها يعني من غير اهتمام.
- مااستفدتش منها بحاجة.
أمسك "جازر" الكمان وهو يتخذ وضعية العزف:
- كل حاجة في إيدك ممكن تستفيد منها، بس تعرف تستعملها صح.
قالها وعزف على الكمان بهدوء، واتسعت عينا "علاء" بشدة وهو يسمع ذلك العزف الساحر، كان يبدو كعزف من عالم آخر، كان قوس الكمان يتحرك بسرعة على الأوتار، وأصابع "جازر" تتحكم في الكمان بسهولة وانصهرت معه تماماً صانعين كيانًا واحدًا وروحًا واحدة، وكأن روح الكمان انتقلت نحو "جازر" الذي ظل مغمض العينين أثناء العزف، وهو ينتقل بين الأوتار في مهارة، ليعطي عزفاً في منتهى العذوبة، حتى أن "علاء" تسارعت أنفاسه من فرط انفعاله وهو يستمع لذلك العمل الفني الذي خلب عقله، وإن سمعه أعظم موسيقيي العالم لن يتوقفوا عن الحديث عنه لمدة طويلة.
أنهى "جازر" العزف وفتح عينيه في هدوء وهو ينظر إلى "علاء" الذي هتف بصوت متقطع من الحماس:
- انا ماسمعتش حاجة بالجمال ده، اتعلمت المقطوعة دي منين؟
اقترب منه "جازر" وهو يمد يده بالكمان ويقول:
- جرب.
أمسك الكمان وهو يغمغم:
- هاحتاج نوتة، انت اتعلمت العزف فين؟
- مش مهم، بس ممكن أعلمه لك.
لمعت عينا "علاء" وهو يهتف:

- بجد؟
هز "جازر" رأسه فاستطرد "علاء" وهو يتوجه نحو مكتبه مستطرداً:
- فيه نوتة كانت صعبة جداً عاوزك تشوفها، أكيد هتعرف تعزفها.
كان بالفعل أخرج من مكتبه الصندوق الذي تركه له "كامل" ويحوي نوتة موسيقية، توجه نحو "جازر" وهو يعطيها له قائلاً:
- النوتة دي حاولت أعزفها بس كانت محتاجة تمرين، حاول تعزفها كده.
نظر لها لمدة ثوان وهو يبتسم ثم طفق في العزف، وفي هذه المرة فغر "علاء" فاه في دهشة وهو يراه يعزف المقطوعة دون أن ينظر إلى النوتة كما لو كان هو من كتبها، بل لقد أقسم "علاء" في داخله أن من كتب تلك النوتة لن يستطيع أن يعزفها بتلك المهارة.
وتوقف "جازر" عن العزف وهو ينظر لـ"علاء" متسائلاً:
- المقطوعة دي هتخلي حياتك أحسن، كل الإحباط اللي شفته اليومين اللي فاتوا هينتهي لما تبتدي تعزف المقطوعة دي.
- إزاي؟
- مش ده اللي انت نفسك فيه؟
- أكيد، بس...
قاطعه "جازر" بقوله:
- هتبقى أشهر موسيقار في البلد، وهتقدر ترجع لـ"رضوى"، وممكن يبقى عندك فرقة لوحدك، وممكن يبقى عندك سلطة وقوة تخليك تتحكم في كل حاجة وأى حد، وتوصل لأي حاجة ممكن عقلك يتخيلها، كفاية إن اسم "علاء داغر" هيبقى أشهر اسم في الموسيقى.

برقت عيناه وهو يتخيل ما قاله "جازر" الذي استطرد:

- مقطوعة واحدة هتخليك تعمل حاجات كتير، النجاح اللي انت كنت ماشي دايماً وراه هتوصله وتوصل لأكتر منه كمان لو عزفت مقطوعة واحدة، الـ٣ حركات، تريلّو.

كان يقف مبهوتاً، فهو يعلم صعوبة العزف بـ ٣حركات، كما بدأ يتخيل كل ما يسمعه عندما يتحول إلى واقع ملموس، إنه بالضبط ما يحلم به، بل وربما أكثر.

إنها تلك اللحظة التي يجد فيها الإنسان نفسه أمام فرصة ليغير حياته بالكامل. يعلم أن تلك الفرصة لا تأتي كثيراً، وتحتاج إلى الاستغلال الأمثل، لقد فقد الكثير في الفترة الماضية، فرصته مع "بكر ثروت" انتهت وتخلى عنه "بكر" بعد أن أعطاه الأمل؛ أستاذه "كامل" مات، و"محمد رفعت" يفكر في تقليص دوره في الأوركسترا بعد عودة "أكرم" للعمل، "أكرم" الذي تسبب في ضياع الفتاة التي أحبها، "رضوى" التي تركته وأصبحت عودتها معًا أمرًا مستحيلًا.

إنه دائماً يخسر، لم يعطه الله ما أراد، دائماً يُهزم ولا يفوز، ولم يعد لديه شيء يخسره.

اقترب "جازر من أذنه فجأة وهو يهمس:

- الوقت اللي بتخسر فيه كل حاجة هو الوقت المثالي إنك تكسب كل حاجة.

- انا هاتعلم منك.

رفع "جازر" سبابته محذراً:

- بس كل حاجة بقوانين.

هز "علاء" رأسه بحماس موافقاً، وابتسم "جازر" ابتسامة واسعة للغاية.

*****

ابتسم عندما وصلت ذكرياته إلى تلك النقطة وهو يهمس لنفسه بصوت مسموع:

- القوانين سهلة ومش مهمة لما تبقى متأكد إنها هتحقق لك اللي انت عاوزه.

وابتسم ابتسامة واسعة، شبيهة بابتسامة "جازر"، وهو ينهض من مكانه ويستعد للخروج لتنفيذ باقي ما يسعى إليه، وتحقيق المزيد من النجاح بفضل مقطوعة واحدة فقط.

*****

كان "سامح" سكرتير "عماد السرجاني" يشعر بالقلق من وجود "علاء" وسيطرته على أفكار "عماد" بشكل واضح. كان طوال طريق عودته لمنزله يحاول أن يجد سببًا منطقيًا للثقة في "علاء"، ولكن عقله لم يقتنع بأي من المبررات، تفكير طويل خاضه عقله، حتى وصل لمنزله، صعد إلى شقته ووقف أمام الباب ولكنه سمع صوت حركة خلفه فالتفت بسرعة ليرى "عمر" خلفه يقف بهدوء وهو يقول:

- ماتقلقش، محتاج أقابلك من غير ما حد ياخد باله وجيت وراك لحد هنا.

- انت مين؟

- "عمر"، انت ماتعرفنيش، بس انا جاي لك بخصوص "علاء"

نظر إليه "سامح" في شك فبادر "عمر" بالقول:

- ندخل شقتك نتكلم وانا هافهمك كل حاجة.

*****

كان "فتحي" يبدو متوتراً للغاية وهو يجلس مع "علاء" الذي بدا هادئاً كعادته ولا يبدو عليه أي انفعال حتى أن الأول نظر له وهو يقول بغضب:

- انت على طول بارد كده؟
لاحت ابتسامة بركن شفتي "علاء" وهو يغمغم:
- ماافتكرش إني لو بقيت عصبي هنعرف نحل حاجة.
نهض "فتحي" من مكانه هاتفاً:
- جاي تقولي "محمود" بيدور ورايا تاني وعاوزني أبقى هادي.
- ده كان بيحصل على طول، إيه الجديد؟
أجابه بعصبية واضحة:
- الجديد إن "ممدوح" مات والظابط اللي كان بيساعده اتحبس، وهما دول اللي كانوا بيقدروا يشتتوا تركيز "محمود" عني، ودلوقت الوضع حساس وأي مشكلة ممكن تخلي أى حاجة كسبتها بعد موت "ماجد" تضيع.
ظل "علاء" جالساً ينظر إليه بهدوء وهو يستطرد:
- وانت جاي دلوقت تقول لي الكلام ده وكأنه حاجة عادية وبتتعامل بمنتهى الهدوء، وبعدين انت عرفت منين؟
وضع "علاء" يده على مسند الكرسي ويده الأخرى تعبث بالكمان مجيبًا:
- المهم أكتر إنك تعرف، انا ليَّ طرق باعرف بيها زي ما كان "ممدوح" بيعمل، والمفروض تشكرني إني حذرتك مش تعاملني إني عملت لك مشكلة.
زفر "فتحي" بغيظ وهو ينظر إلى "علاء" في عدم فهم واضح لهدوئه العجيب الذي يستفزه في كثير من الأحيان لدرجة تجعله يرغب في أن يلكمه في أنفه مباشرة لمعرفة رد فعله، ولكنه الآن صار يحتاجه أكثر من ذي قبل، بعد موت "ممدوح" صار هو الوحيد من يتمكن من مساعدته، فسحقاً لذلك الاحتياج الذي يجعلك ترضى بكثير مما يخالف رغبتك.

توجه للمقعد المقابل لـ"علاء" وهو ينفض تلك الأفكار ويقول:

- انا مش ناقص شغل المباحث بتاع "محمود" دلوقتي بالذات، حتى لو مش هيقدر يعمل حاجة بس فكرة أن فيه عيون عليَّ هتخلي أى حد يفكر ألف مرة قبل ما يعمل بيزنس معايا.

سأله "علاء" بفضول:

- حد كلمك تاني؟

كان يبدو عليه التردد من الإجابة، فكان يخشي الإفصاح بكل أسراره إلى "علاء" ولكنه يدرك أنه لا مفر من ذلك، فأجاب:

- "حلمي"، اللي كلمني بعد موت "ماجد"، كلمني تاني امبارح، واتكلم معايا في موضوع "ممدوح"، شكله قلقان من اللي حصل، وممكن ده يخلي "عماد" يدخل حساباتهم.

أطلق "علاء" ضحكة طويلة جعلت "فتحي" ينظر إليه بغضب عارم وقبل أن يهم بالصراخ مال "علاء" نحوه وقال وهو يضع يده اليمنى على كتفه:

- للدرجة دي مش واثق فيهم، ماتقلقش مافيش مشاكل.

- و"محمود" و"عمر"؟ من مراقبتي لـ"محمود" لقيت "عمر" شغال معاه وأكيد بيساعده.

- لا سيبك من "عمر" انا هاتصرف معاه، و"محمود" اخلص من مشاكله بمعرفتك.

- المرة الأولانية لما جاله أوامر مايحققش معايا كان "ماجد" هو اللي ساعدني.

- دلوقت انت مش محتاج حد يساعدك.

اقترب أكثر من وجه "فتحي" وهو يستطرد:

- انت عارف الطريقة، زي المرة اللي فاتت لما هددته، كل واحد عنده نقطة ضعف هتضغط عليها صح وهو ينفذ اللي انت عاوزه.

صمت "فتحي" مفكراً للحظات وهو ينظر إلى الأرض ثم رفع رأسه وهو ينظر إلى "علاء" الذي ابتسم وهز رأسه بالإيجاب وكأنما قرأ ما يدور في ذهنه فتساءل الأول:

- كده مش بنستفزه؟

- لأ، لو اتنفذ بطريقة تخليه يخاف.

هز "فتحي" رأسه موافقاً وظهرت على وجهه علامات الاقتناع التام، كان يُدرك أنه بدأ يفوز بالكثير، ومن الصعب العودة لنقطة البداية، ومن العبث ترك المكاسب، فكان ذلك الإدراك هو ما يجعله مستعداً للقيام بكل شيء، وأي شيء.

*****

حاول "عمر" المحافظة على هدوئه وهو يجلس أمام "سامح" الذي كان ينتظر بشغف ما سيقوله فأخذ نفساً عميقاً وهو يقول:

- تعاون "علاء" معاكم خطر، عاوز يستفيد من "عماد" بأكبر شكل.

- هو هيقدم لنا خدمات في المقابل.

- لوقت مؤقت، ولما يحس إنه مش محتاجكم هيعمل أي حاجة علشان ماتبقوش مسيطرين عليه.

- انا مش فاهم انت جايب الكلام ده منين؟ وبتحذرني ليه؟

- انا عارف "علاء" كويس، وباحاول أوقفه عن اللي بيعمله.

كانت ملامح "سامح" يبدو عليها عدم الاقتناع فاستطرد "عمر" سريعاً:

- وانت أكتر واحد لازم تخاف منه.
- ليه؟
- انت الدراع اليمين لـ"عماد" ولو "علاء" حس إنك ممكن تقف في طريقه هيزيحك بأي شكل.
- وإيه يخليني أصدق كلامك؟
- إني وصلت لك يخليك تصدقني.
- إزاي؟
- إني أقول لك الكلام ده وابقى عارف اللي بين "فتحي" و"علاء" يخليك تصدق إني اعرف حاجات كتير، وانا عارف إنه هيشتغل مع "عماد السرجاني"، ومع كل ده أكيد هابقى عارف "علاء" ناوي على إيه.
صمت لدقيقة وهو يسأل "سامح":
- انت شاكك في "علاء"؟
تردد "سامح" لثوان قبل أن يجيب:
- أيوه.
- وده نفس الشك اللي كان عند "ممدوح"، "علاء" ممكن يعمل أي حاجة علشان يوصل لهدفه، ولو حس إنك شاكك فيه هيحاول يبعدك عن طريقه.
بدأ الاقتناع يغزو وجه "سامح" وهو يتساءل:
- طيب ما تخلص عليه بعيد عني، محتاج مني إيه؟
- انا مش عاوزه يموت، كل الحكاية إني عاوز أعطله، ومش عاوز غير مساعدتك.

لم يتحدث "سامح" وظل ينظر إليه بقلق لدقائق، كان "عمر" ينتظر رده بتوتر شديد ولكنه كان يشعر أنه تمكن من زرع الخوف في قلبه، ذلك الخوف الذي سيجعله يقتنع بكل ما قاله، فعند الخوف والشعور بالخطر ربما يوافق المرء على أي شيء ليحافظ على حياته.

قطع أفكاره صوت "سامح" وهو يقول:

- هتحتاج مني إيه بالظبط؟

أدرك "عمر" إنه نجح في زرع الخوف بداخل "سامح" فأجاب:

- هاقول لك انا هاحتاج إيه.

*****

دخل "أكرم" إلى الأوبرا وهو يتلفت حوله وينظر إلى كل ركن في أرجائها يحمل جزءا من ذكرياته، العديد من الذكريات، ذكريات الحب والعمل والحياة، كانت كل منطقة ينظر إليها أو يمر بها تجعل عقله يتذكر الكثير.

كانت الأوبرا تحمل ذكرى سيئة لم يستطع نسيانها بعد، ذكرى اسمها "علاء".

كان يسير شارداً مفكراً عندما تناهى إلى مسامعه صوت أنثوي مألوف يُنادي باسمه، فالتفت بسرعة ليجد فتاة قصيرة لها عيون واسعة وشعر بنى قصير تقترب منه وهي تمد يدها إليه مصافحة وتهتف بسعادة:

- "أكرم"، وحشتني قوي، مبسوطة إني شفتك.

ابتسم ابتسامة باهتة وهو يقول:

- إزيك يا "نهال".

- مش باشوفك من يوم ما سبتنا، انت بطلت مزيكا ولا إيه؟

أجابها بهدوء:

- فترة مؤقتة وهارجع قريب.
- الظروف اللي حصلت كانت السبب؟
- مش دايماً بنبقى مُجبرين من الظروف، ساعات إحنا بنختار بس بنقول الظروف وبنعملها شماعة علشان نريح نفسنا واللي حوالينا.
صمت قليلاً ثم تنهد مستطرداً:
- اللي حصل مع المايسترو "رفعت" الله يرحمه كان سوء تفاهم، وكنا حليناه قبل ما يتوفى وكنت راجع الفرقة، بس لما مات حبيت أبعد شوية، يعني زي ما تقولي فترة نقاهة.
- please ارجع بسرعة، انا ممكن أساعدك بأي طريقة، وبابي ممكن يساعدك.
ابتسم بهدوء وقبل أن يفتح فمه ليشكرها استطردت سريعاً:
- انت ساعدتني كتير أول ما جيت هنا، لازم أبقى جنبك في أي حاجة، كل اللي عملته لي نفسي أرد لك جزء منه، أي طلب ممكن اعمله لك.
- الحقيقة عندي طلب صغير، لو عرفتي تساعديني هتبقى خدمة مش هانسها لك.
أخذ نفساً عميقاً قبل أن يكمل حديثه:
- كنت عاوز أعرف أخبار الفرقة بتاعتي إيه، يعني عندهم حفلات إمتى؟ مين ماسك الفرقة دلوقتي؟ بيعمل حفلات لوحده ولا لأ؟ علشان اشوف الوقت المناسب إني أرجع.
ابتسمت وهي تهتف بحماس:
- بسيطة قوي، انا ليَّ اصحاب في فرقتك وهيساعدوني أعرف اللي انت عاوزه.
وأكملت وهي تغمز بعينها مبتسمة:

- وماحدش هيبقى عارف إني باسأل علشانك.

ابتسم لها بدوره، وتبادلا بعض الأحاديث الجانبية، ثم ودعها وانصرف خارج المبنى، وعقله يغزل خيوط قرار صعب ومصيري، ولكنه يدرك أن عليه القيام به مهما كلفه الأمر.

*****

نهض "عمر" متوجهاً نحو باب شقته بعد أن سمع من يطرقه بإصرار عجيب، وما إن فتح حتى اتسعت عيناه عندما وجد "علاء" أمامه يقول بلهجة صارمة:

- كنت بتعمل إيه عند "سامح"؟

تلعثم "عمر" وهو يحاول السيطرة على توتره مجيباً:

- "سامح" مين؟

- انت فاهمني، قلت لك مالكش دعوة باللي بعمله، آخر مرة باحذرك.

- انت كل شوية تهددني علشان شوية أوهام في دماغك.

- انت اللي عندك أوهام وعاوز تعمل بطل، انا عارف كل حاجة بتعملها، المرة اللي فاتت انا ماهددتكش، بس المرة دي هاقولها واضحة، ماتستغلش صداقتنا القديمة وإلا هتخليني أنهي حياتك كلها مش أنهي صداقتنا بس.

قالها وانصرف، وأغلق "عمر" الباب في غضب وتوتر واضحين، وقلب امتلأ بالخوف، الخوف من "علاء"، والخوف عليه.

*****

انتهت "سارة" لتوها من إخبار "محمود" بكل ما قاله "أكرم" عن مقطوعة الشيطان، وبقيت صامتة تنتظر رده بعد أن ظل صامتاً بدوره في تفكير عميق قبل أن ينظر نحو "سارة" قائلاً:

- اللي بيقوله "أكرم" مابقاش بعيد إنه يتصدق.
نظرت له بدهشة هاتفة باستنكار:
- يتصدق إزاي؟! انت قلت انك بتاخد بالأدلة المنطقية.
هز رأسه مؤكداً على حديثها مغمغماً:
- المنطق بيقول إني امشي ورا التفسير المنطقي حتى لو غريب، وكل اللي حصل لو دورت له على تفسير منطقي مش هيبقى في أكتر من اللي قاله "أكرم".
همت بالاعتراض مرة أخرى ولكنه استوقفها مستطرداً:
- يمكن اللي باقوله غريب، بس هاتي لي تفسير لشقة "كامل" اللي اتحرقت والكمانجة بتاعته اللي فضلت سليمة في الحريق، وجثة "كامل" اللي اختفت، واعتبرنا إنها اتسرقت وماعرفناش نوصلها، والناس اللي بتموت ورا بعض، القضية اللي متهم فيها "عيسي"، والنقش اللي لقيناه في بيت "كامل" وبيت "علاء"، كل دي حاجات لو حاولنا ندور على التفسير المنطقي ليها مش هنلاقي أنسب من اللي "أكرم" قاله.
خلعت "سارة" منظارها الطبي في توتر ووضعته على المكتب وهى تغمغم:
- كل اللي قاله "أكرم" استنتاجات.
- وهي أقرب حاجة تفسر اللي بيحصل، وعنده دليل، وكلامه بيتفق مع حاجات في دماغي.
نظرت إليه بتساؤل وأجاب مباشرة وكأنه سمعها:
- انا شاكك في "علاء"، وكل ده بيأكد شكوكي.
- ليه شكيت فيه؟
- فيه تفاصيل عرفتها تخليني أشك فيه حتى لو لسه ماوصلتش لحاجة.

- زي إيه؟

- حادثة "عيسي"، انا كنت متأكد أن فيه طرف تالت بيحاول يخليني أدخل في صدام مع "فتحي"، في الأول شكيت في "عماد السرجاني" منافس "فتحي"، بس اسم "علاء" لما دخل في الأحداث ابتديت أشك انه ورا الحادثة دي، وده اللي أكده كلامي مع "عيسي"، ده غير إنه مشتبه فيه في قتل "ممدوح الجندي" لأنه المفروض كان آخر واحد عنده، بس هو اثبت العكس.

- والحل؟

- انا باراقبه وباحاول أوصل لحاجة، والمعلومات بتاعت "أكرم" ممكن تقدم لي تفسير بعد كده.

زفرت في توتر شديد وهي تقول:

- انا خايفة، مابقتش فاهمة حاجة.

عاد للجلوس وهو يقول بدوره:

- فيه حاجات كتير حصلت مالهاش تفسير، وطول ما إحنا مش لاقيين تفسير هنبقى خايفين.

وضع يديه خلف رأسه مواصلاً الحديث:

- انا نفسي يطلع تفسير "أكرم" ده غلط، لأن الموضوع كده هيبقى صعب يتفسر لو مالقيناش دليل قوي وهيبقى صعب يخلص.

- انت بتخوفني زيادة.

- ده الواقع اللي إحنا داخلين عليه، تفسير "أكرم" هيخلينا بنحارب ضد "علاء" وبنحارب علشان نثبت أن الكلام ده صح و...

وقبل أن يواصل الحديث استوقفه رنين هاتفه فنظر إلى اسم المتصل وابتسم

ابتسامة خفيفة وهو يرى اسم زوجته.

ولكن ما إن قام بالرد حتى لقيت ابتسامته حتفها برصاصة فزع انتفض لها جسده وهرع إلى الخارج ولم يبالِ بصوت "سارة" التي أخذت تعدو خلفه تسأله عما يحدث. ركب سيارته وكانت "سارة" قد لحقت به بصعوبة وهي تحاول فهم ما يحدث، وبمجرد أن جلست بجواره لمحت في عينيه نظرة لم ترها منذ عرفته، نظرة تحمل الخوف، في أسوأ صورة له.

*****

الخوف

قلق عارم كان يسري داخل "عيسى" في كل دقيقة تمر، وهو مازال متهماً بقتل "ممدوح"، القلق أن يصير ذلك الاتهام أمرًا واقعًا لابد له أن يتعامل معه ويتقبله، ولكن كيف يتقبل أمرًا لم يقم به وسيؤدي لنهاية حياته.

كان يشعر في كل دقيقة أن الخوف وحش مخيف يمزق جسده بأنيابه ومخالبه الحادة بعدما تمكن منه؛ لقد أصبح خائفاً مما هو قادم، ومع زيادة خوفه يزداد ضعفه وعجزه، ذلك الضعف والعجز اللذان قرر التخلي عنهما للأبد.

كان في البداية عندما يعتزم القيام بأمر ما يشعر بالخوف ويتحول إلى شخص ضعيف، ولكن حينما جاءته الفرصة ليساعد "ممدوح" ويصبح في صف القوة قرر التخلي عن الخوف، وعندما تخلى عنه تمكن من فعل الكثير، ولكن ها هو ذا الخوف يعود إليه بشكل جديد، ولكنه خوف من الموت وفقدان الحياة، خوف لم يختبره من قبل، أو بالأحرى لم يشعر أن الموت قريب منه مثلما يشعر الآن، وذلك ما يجعله بالفعل يشعر بالخوف، خوف ربما يصبح هو ما يُنهي حياته.

*****

تحرك "محمود" بسيارته بأقصي سرعة يتمكن من السير بها خلال ذلك الزحام، كانت عيناه زائغتين من الخوف وجبهته تتصبب عرقاً، ويداه ترتعشان على مقود السيارة من شدة التوتر، حدقت به "سارة" وهي تسأله عما يحدث فأجاب بصوت عال:

- "علا"، "علا" هتموت يا "سارة"، يارب ألحقها.

انتفضت في فزع وهو يواصل:

- واحد كلمني من تليفونها وقال لي قدامك ساعة تروح بيت "عيسي" وتلحق

مراتك قبل ما تموت.

تهدجت أنفاسه من فرط الانفعال وهو يكمل:

- وسمعت صوتها، كانت بتصرخ وبتنده عليَّ وهو بيكلمني.

انقبض قلب "سارة" بشدة، ولم تستطع النطق بأي كلمة إضافية، وارتفع رنين الهاتف مرة أخرى فنظرت بقلق بالغ و"محمود" يهتف بحدة مجيباً على الهاتف:

- لو لمستها مش هاسيبك، انا لو وصلت ولقيتك هاقتلك.

جاءه الصوت من الجهة الأخرى هادئاً للغاية وهو يقول:

- انا باكلمك أطمنك، دى هتكلمك بنفسها دلوقتي.

انقبض قلب "محمود" بشدة عندما سمع صوت "علا" تهتف:

- "محمود" انا مش عارفة فيه إيه؟

- ماتخافيش، انا جاي لك.

عاد الرجل للحديث مرة أخرى وهو يقول بسخرية:

- هتجيلها فين، بيت "عيسي"؟

صرخ "محمود":

- انت فين؟ فين "علا"؟

- في بيتك يا باشا.

قالها وأنهى المكالمة، فعض "محمود" شفته السفلي بغيظ وهو يقف بالسيارة بعنف جعل إطارتها تطلق صوتًا عاليًا، ولكنه بدا في أذنه كما لو كان صراخ زوجته، وعدل من مساره ليتوجه نحو منزله وهو يتمنى الوصول في الوقت المناسب.

كان يشعر أن ذلك الشخص يتلاعب به ولكنه لا يملك الخيار، لا يملك

سوى المواصلة وهو يتمنى ألا يصيب زوجته أي مكروه. انكمشت "سارة" في مقعدها بخوف، لم تكن تدري ماذا يحدث؛ ولم تسمع المكالمة ولكن هيئة "محمود" وتوتره كانا كافيين لتعلم أن الأمر أصبح خطيراً للغاية، كانت تخاف عليه من فقدانها، هي تعلم جيداً مدى ألم أن تفقد عزيزاً، فلا يشعر بألم غيره ويعرف معناه إلا من ذاقه.

في حين كان يتحدث هو مع عدد من زملائه القريبين من منزله ليتمكن أحدهم من إنقاذها، وعندما وصلا إلى البناية التي يسكن فيها قفز من سيارته سريعاً وتبعته "سارة"، وصعد الدرج مسرعاً نحو شقته ووجد بعض من رجال الشرطة قد وصلوا بالفعل.

لم يبال بما يحدث؛ وتوجه نحو غرفة النوم مسرعاً فاستوقفه أحد الضباط وهو ينظر إليه بإشفاق ويغمغم بأسى:

- أنا آسف، إحنا وصلنا من شوية ولقيناها في الحالة دي والإسعاف في الطريق.

اتسعت عينا "محمود" هلعاً وكاد قلبه يقفز من صدره بعد تلك الجملة، فأزاحه من طريقه بعنف وهو يدلف إلى الحجرة، ليتسمر في مكانه بفزع عندما رأى زوجته ترقد على الأرض بلا حركة غارقة في بركة من الدماء.

*****

كان "أكرم" يسير في حديقة واسعة جميلة يشعر براحة وسعادة افتقدهما منذ وقت طويل؛ تحديداً منذ موت "رضوى"، لم يعد يشعر برغبة في الانتقام، كأن الظلام المحيط بروحه قد انقشع وابتعد تماماً، وسمع صوتًا يُنادي باسمه بهدوء، لم يتمكن في البداية من تمييزه؛ تلفت حوله ليجد خيال صاحبة الصوت

من خلف أحد الأشجار تنادي عليه مبتسمة وتقترب منه.

كانت "رضوى" هي صاحبة الصوت، جميلة كما اعتاد رؤيتها، صوتها رقيق كما كان يسمعه، عيناها تعيد الحياة إلى قلبه، ابتسامتها مازال من الصعب وصفها بالكلمات، بل هي تترك أثرًا فقط في روح من يراها، لقاء عينيهما مازال كما هو يبعث في نفسه شعور بالارتياح، ويجعل العالم من حوله مختفيا، لحظات النظر إليها مازالت أفضل أوقات حياته، ظلت تقترب منه ليقول:

- انا باحلم طبعاً؟

هزت رأسها مبتسمة فواصل:

- وحشتيني.

- شوية وهتصحى وتسيبني.

- لأ، انا مش عاوز اصحى، انا عاوز أفضل معاكي هنا.

ابتسمت له مرة أخرى و...

وفتح عينه ليجد نفسه مستلقيًا على فراشه ممسكاً بصورتها بين يديه، نظر إلى الصورة وهو يغمغم بأسى:

- ماكنتش عاوز أرجع، مستني اليوم اللي آجي لك فيه.

احتضن الصورة مرة أخرى وعيناه تذرفان الدموع بصمت.

*****

وقف "محمود" في ردهة المستشفي صامتاً، لايبدو على وجهه أي آثار للانفعال، كان هادئاً بشكل أثار قلق "سارة" التي كانت تجلس بعيدة عنه تختلس النظر إليه بكل دقيقة.

اقترب منه طبيب المستشفي وتبادل معه بعض الحديث، وظلت "سارة" تراقب من بعيد، وبعد أن ابتعد الطبيب بدأت تقترب من "محمود" ببطء لسؤاله عن "علا".

كانت تقترب وهي تخشى أن تسمع أمراً قاسياً، وبعد أن أصبحت على بُعد خطوات منه سألته بحذر وصوت خافت:

- عاملة إيه؟

نظر لها وهو يجيب بنفس الجمود كتمثال من الشمع:

- نزفت دم كتير، نقلوا ليها دم بس حالتها مش مستقرة، ادعي لها.

كان وجهه جامداً للغاية، ولكن مع نهاية آخر كلمة في جملته أغمض عينيه في ألم شديد وهو يكتم نهرًا من الدموع أراد الفيضان من عينيه، فتوجه نحو أقرب مقعد وجلس عليه.

شعرت بألم جارف عندما رأته في تلك الحالة، كان يحاول البقاء صامداً، يحاول أن يكون قوياً رغم أن الضربة أصابت قلبه تماماً، لكنه مازال مصمماً على البقاء قوياً، ربما من أجل "علا" وليس من أجله هو.

توجهت "سارة" نحوه وهي تربت على كتفه بهدوء مغمغة بأسف:

- هتبقى كويسة، ماتخافش.

- "فتحي".

- ماتفكرش في حاجة دلوقتي يا "محمود".

ضغط على أسنانه بقوة وهو يقول:

- نفذ تهديده المرة دي.

جلست إلى جواره وهي تهمس بهدوء:

- مش مهم مين السبب، المهم إنها تبقى كويسة.

- أهملتها بسبب شغلي، وشغلي كمان سببلها الأذى.

- هون على نفسك يا "محمود"، انت جنبها في الوقت اللي هي محتاجاك فيه، إنك تبقى موجود جنب اللي بتحبه في الوقت اللي بيحتاجك فيه بتبقى أكتر حاجة بتقويه وتنسيه أي غلطات.

نظر لها دون رد وعاد إلى هدوئه وصمته مرة أخرى، وصمتت "سارة" بدورها، صمتت وقلبها ينفطر وهي تُدرك مدى الألم الذي يعانيه، الألم الذي ذاقته من قبل، ألم الفقدان.

*****

جلس "أكرم" في الكافيه وعلى وجهه علامات الإجهاد واضحة بعد أن بقى ليلتين بالمستشفي بلا نوم مع "محمود"، ارتشف من فنجان القهوة الموضوع أمامه وهو ينظر في الساعة ولكن صوت "نهال" أتى من خلفه يقول بهدوء:

- انا ماتأخرتش انت اللي مستعجل.

صافحها مبتسماً وهو يقول:

- عندك حق، انا مستعجل أعرف إيه آخر أخبار الفرقة؟

- فيه حاجات كتير قوي، انت عارف إن اللي يمسك الفرقة لازم يكون عارف يعني إيه orchestra conducting يبقى مايسترو وعارف إزاي يكون قائد الفرقة ويمشيها.

- أكيد، وبيشوفوا أكتر حد دارس وبيختاروه.

- بالظبط، وفرقتكو كان معظمها شباب والمايسترو اللي كان هيمسكها كان عليه كلام كتير، بس الغريب إني عرفت إنهم تقريباً اختاروا "علاء"، وهيكون

معاه مايسترو تاني.

- غريبة!! "علاء" يمسك الفرقة ويكون فيه مايسترو للأوركسترا؟

- أيوه، وبيقولوا إن ده كان طلب من "محمد رفعت" قبل ما يموت، وفيه كلام إن حصلت توصيات على "علاء".

- عرفتِ منين؟

- بابي أكد لي الكلام ده باعتباره مايسترو في الأوبرا وعارف كل حاجة بتحصل.

هز "أكرم" رأسه متفهماً فاستطردت "نهال":

- وشكل "علاء" عارف الكلام ده، هو بيتعامل على إنه مدير الفرقة مش ماسكها بشكل مؤقت.

- وهيعملوا حفلات قريب؟

- لسه، بس في حفلة خاصة هتتعمل.

عقد حاجبيه في عدم فهم فواصلت:

- اللي عرفته من واحد زميلي هناك أن هتبقى فيه حفلة في ڤيلا رجل أعمال اسمه "عماد السرجاني" هيعزف فيها "علاء" تقريبًا علشان "عماد" ده قريب هيمسك منصب مهم، I think هتبقى يوم الخميس الجاي.

- يعني كمان أسبوع.

- انت لازم ترجع الفرقة بسرعة.

- ليه؟

- ناس كتير عاوزة تسيب الفرقة، مش مرتاحين لوجود "علاء"، وافتكر لو انت بقيت موجود ماحدش هيمشي، كلهم بيحبوك ووجودك هيهون عليهم.

- هو "علاء" بيعامل حد وحش؟!

- لأ خالص، بس هي راحة نفسية، مش مستريحين لوجود "علاء"، من زمان والناس مش بتبقى مرتاحة معاه، كلهم كانوا بيحبوك وانا متأكده إنك لو قررت ترجع هتفرق معاهم قوي.

هز رأسه في فهم وقد بدأ قرار هام ينمو بداخله بقوة، ليقرر تنفيذه مهما كلف الأمر.

*****

وصلت "سارة" إلى المستشفي لتجد "محمودا" يجلس في الردهة أمام غرفة "علا"، وما إن وصلت حتى سألته عن حالها ليتمتم بصوت مرهق:

- بقت أحسن، اتحسنت بس بتاخد مسكنات كتير علشان الجروح اللي في جسمها.

- الحمدلله، وفين "أكرم"؟

- مشي قبل ما تيجي بساعة، جاله تليفون فقال لي هيروح مشوار ويرجع، انا قلت له يروّح يرتاح، هو سهران معايا بقى له يومين.

- وانت كمان محتاج راحة.

- طول ماانا جنبها هنا هابقى مرتاح، وجودي هنا هينسيني إني قصرت في حقها.

- انت ماقصرتش، اللي حصل ده كان مكتوب إنه يحصل.

- ماتعرفيش "أكرم" ناوي على إيه؟

- بخصوص "علاء"؟

هز رأسه بالإيجاب فأجابته:

- لسه بيدور وراه، مش عارفة كل ده هيخلص إمتى؟

أطلق تنهيدة طويلة من صدره وهو ينظر إلي غرفة "علا" متمتماً بصوت منخفض:

- لازم يخلص بسرعة.

نظرت إليه "سارة" بعدم فهم وبقى هو صامتاً.

*****

- ممكن تفهمني انت بتعمل إيه؟

صرخ "فتحي" بتلك الجملة في غضب هادر وهو يواجه "علاء" الذي أجاب بهدوئه المستفز:

- بتتكلم على إيه؟

- لو فاكر إني مش هاعرف إنك بتقابل "عماد" تبقى غلطان، وإزاي لسه ماخلصتنيش منه؟ وإيه حكاية الحفلة اللي انت هتعزف فيها؟

- انا قلت لك تسيبني أتحرك وبعدين أفهمك.

- مش هاستنى بعدين، فيه حاجات كتير عاوز أفهمها، إزاي "عماد" بيرجع للصورة كده؟ وليه ماحدش اتكلم معايا تاني؟ انت قلت لي هتصلح كل حاجة ومافيش حاجة حصلت.

- انت مستعجل ومش عاوز تستنى.

- ماتقوليش أستنى تاني، فهمني الأول، انا باتعامل معاك بالاتفاق لحد دلوقتي.

اقترب منه "علاء" واختفت ابتسامته وحل محلها الصرامة وهو يقول:

- دي طريقة التعامل بينا من الأول، بس واضح إن موت "ممدوح" خلاك خايف ومرعوب.

- انا مش خايف.

- لأ خايف يا "فتحي"، خايف علشان "ممدوح" كان دايماً وراك، انت مابتثقش فيَّ وده اللي مخوفك، خوفك خلاك أعمى ومتسرع.

- حتى لو خايف يبقى المفروض تخليني أفهم اللي بتعمله.

-ماينفعش تستعجل إنك تفهم، ساعات الجهل بحاجات كتير بينقذ الإنسان، لأنه فيه حاجات لو عرفها حياته مش هتبقى زي الأول، أو ممكن مش هيبقى عنده حياة؛ حاول تهدى وماتستعجلش، فيه ناس لما بتفهم بتتمنى الزمن يرجع بيهم وميبقوش فاهمين أحسن.

قالها وانصرف خارجاً وهو يصفق الباب بعصبية، وبقى "فتحي" متسمراً في مكانه وهو يعيد التفكير في ذلك الحديث، وقلبه بدأ ينتفض بشعور لم يسبق أن شعر به بتلك القوة، شعور بالخوف.

*****

رد فعل

جلس "أكرم" في مقهى شعبي بالقرب من منزله مع "سيد" وسأله باهتمام:

- عملت اللي قلت لك عليه؟

- أيوه، الشركة اللي انا شغال فيها طلعت هي اللي هتأمن الحفلة، بس دي شكلها حفلة قلق قوي، انا سمعت أن فيه حراسة وتفتيش وبلاوي سودة، انت عاوز إيه من الحفلة دي؟

- فيه واحد هناك عاوز أشوفه، انت هتروح؟

- لأ ماتحطتش في الأوردر ده، بس انا ممكن أطلب من المدير، هاقول له أي كلام علشان يوافق.

- ياريت، انا محتاجك هناك، ولو إني مش عارف هدخل إزاي؟

- مش عارف؟! يا باشا ده انت المفروض اللي تدخلني.

- عاوز أدخل من غير ما حد يعرف.

- بسيطة، انت معايا لامؤاخذة.

- يعني إيه؟

- هاكلم المدير وأظبط نفسي وبعد كده أتصرف وأدخلك معايا كأنك جرسون معانا، هي حاجة مش قد المقام بس هاعرف أوصلك جوة من غير ما حد ياخد باله.

- هتعرف تعمل كده؟

- أمال إيه، ماتقلقش سيبها على الله ثم العبدلله.

- بس انت ماتعرفنيش، أى حاجة تحصل معايا جوة انت مالكش دعوة ولا تعرفني.

حك "سيد" مؤخرة رأسه وهو يسأل:

- هو إيه اللي هيحصل؟

أجابه "أكرم" بنفاد صبر:

- انا هاقول لك علشان بثق فيك، وأضمن إنك تبعد عن المشاكل، فيه واحد جوة الحفلة دي عاوز أشوفه وأتأكد من حاجة هو بيعملها ولا لأ.

- حاجة إيه؟

- "سيد"، ماتوجعش دماغي انا باقول لك علشان تبعد عن كل ده، علشان مااضمنش هو هيعمل إيه.

- اللي هيقرب لك أخليه يرجع بطن أمه تاني.

- خليك انت بعيد، كل اللي عاوزه منك تتصرف في موضوع دخولي وسيب الباقي عليَّ.

انصرف الاثنان بعد ذلك وتوجه "سيد" إلى الكشك، وتوجه "أكرم" نحو منزله، وما إن اقترب من البناية حتى لمح "سارة" التي سألته بمجرد وصوله أمامها:

- كنت فين؟

- كان ورايا مشوار، فيه حاجة حصلت؟ "علا" كويسة؟

- لأ ماتقلقش كل حاجة كويسة، انا كنت محتاجة أشوفك.

- بقيت باخاف من الكلمة دي.

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت مازحة:

- بس انت مابتقلقش مني.

هز رأسه موافقاً وابتسم بدوره وهو يقول:

- تعالي نتكلم وإحنا بنتمشى.
وافقت بإيماءة من رأسها وسارت إلى جانبه، وعلى الرغم منه راوده إحساس قوي بأن هناك أمرًا ما يدور في رأسها.

*****

انتهى "عمر" من حديثه ونظر إلى "محمود" بتساؤل وهما جالسان بكافيه بجوار المستشفي؛ كان ينتظر رد فعل "محمود" تجاه ما حدث معه خلال مقابلته بـ"علاء" و"سامح".
كان يُدرك أنه في حالة سيئة، ولكنه لم يكن يملك سوى إخباره بما يحدث، فهو لايعلم ما المفترض حدوثه أو المفترض أن يقوم به.
ظل "محمود" صامتاً لدقيقتين قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويقول في بطء:
- انسى اللي اتفقنا عليه يا "عمر".
نظر إليه "عمر" بدهشة وهو يسأل باستنكار:
- إزاي؟! تهديد "علاء" ده أكدلي إننا كنا صح، إزاي نسيب الموضوع دلوقتي؟
- انا طلبت منك تقابل "سامح" وتساعدني، ودلوقتي باطلب منك تنسى الاتفاق ده وتعيش حياتك.
- بعد كل اللي حكيته واللي بيأكد إن فيه حاجة غلط.
- اسمع الكلام يا "عمر" من فضلك.
انفعل "عمر" وهو يهتف بحدة:
- لا اسمعني انت، انا مش باعمل كده علشان أساعدك بس، انا باساعد "علاء" وحاولت أقنع نفسي باللي انت طلبته علشان كنت شايف دي آخر

طريقة ممكن أساعده بيها.

نظر إليه "محمود" بتعجب شديد وهو يسأله:

- بتساعد "علاء"!! إزاي؟

- باحميه من نفسه.

لم يفهم "محمود" مقصد "عمر" فاستطرد الأخير وهو يحاول السيطرة على انفعالاته:

- انا حاولت أفهم هو بيعمل إيه، ولما شكيت فيه واجهته علشان أحميه من نفسه، وكل مرة كان بيرفض، ولما طلبت مني أساعدك حسيت أن دي ممكن تكون طريقة أبعده بيها عن الشر.

- بس انت بتخاطر إنك ترميه في السجن.

- ولما أسيبه لشيطانه اللي خلاه بيدوس على كل حاجة ده هيخليه أحسن؟

لم يجب "محمود" فاستطرد "عمر" بصوت مبحوح من فرط الانفعال:

- لأ يا "محمود"، لو سبته لشيطانه النهاية مش هتختلف كتير، إحنا كنا صحاب قوي، ماكناش بنفترق، ولو لقيت صاحبك بيغرق المفروض تنقذه، انا شفته بيغرق، شفته بيغرق مع الشيطان جوة بحر بيعمل فيه كل حاجة علشان يوصل لهدفه، ومعرفتش أساعده، ومش عارف أسيبه يغرق، حاسس إني لازم أوصله لأي بر بعيد عن الشيطان يمكن يفوق قبل ما يفوت الأوان.

أخذ نفساً عميقاً وهو يكمل:

- "علاء" خسر كتير، خسر نفسه، بس هو مش شايف الخسارة دي، وانا عاوز ألحقه، مش عاوزه يخسر الآخرة، فكرت إنه لو رجع "علاء" بتاع زمان على الأقل لو ماعرفش يصلح اللي حصل، هيبقى قدامه التوبة، ويبقى ماخسرش

كل حاجة، ساعات القلب بيبقى عليه عتمة، الشر والكره والحقد، دي كلها عتمة بتعشش عليه وتموته، وتشقق الروح من جوة، وكل ما تزيد بيبقى الاستعداد للشر والأذية أكبر، وساعتها القلب بيحتاج خبطة شديدة علشان يعرف هو وصل فين، حتى لو الخبطة دي ممكن تأذيه بس على الأقل تشيل العتمة اللي عليه علشان يعرف يرجع تاني إنسان.

- ولو اتحبس هتتشال العتمة؟

- ساعتها هيحس بضعف الإنسان، وهيبقى قدامه وقت يفكر، وانا هاكون معاه.

- صدقني يا "عمر" انا ماكنتش فاهم إن الموضوع كده، انا عندي اللي يمنعني أكمل، بس روح للرائد "أيمن" هو هيساعدك في أي حاجة.

- متشكر إنك فهمتني، بس لو مش عاوز تكمل علشان خايف، ماتسيبش عتمة الخوف تعشش على قلبك، انا لما شفت"علاء" بيغرق وخفت اتكلم معاه ضاع، الخوف بيضيع مننا حاجات كتير، وبيقتل جوانا حاجات كتير، ولو سبناه، هيقتل جوانا الحياة نفسها.

*****

شغف هائل كان "علاء" يشعر به وهو جالس في منزله يعزف على الكمان ا استعداداً لحفل "عماد"، لم يكن يتدرب من أجل الحفل، وإنما كان يعزف ليستمد قوته من الكمان الذي صار مصدر قوته؛ لم يعد مجرد آلة موسيقية، بل أصبح تذكرته للوصول إلى محطة القوة والنجاح، وفي وسط أفكاره تذكر صديقه "عمر"، كان وجود ه هو أكثر ما يثير غضبه، كان يتمنى أن يشاطره ذلك النجاح، ولكن "عمر" فضل لعب دور الملاك، وتساءل "علاء" في نفسه،

لماذا يظن "عمر" إنه يقوم بأمر خاطيء؟ هل من الخطأ أن تحاول تحقيق طموحك؟

قد يتطلب النجاح بعض التضحيات، ولكنه كان يُدرك دائماً أن ما تمكن من الوصول إليه حتى الآن يستحق كل ما قرر التضحية به، لقد ضحى بصداقته وبأستاذه، بل وبكل مشاعره. وفي المقابل امتلك الكثير، وانتصر على "أكرم" الذي كان يظن دائماً أنه الأفضل، وتغيرت الأمور ليصير هو أشهر عازفي الكمان في مصر، ويدخل "أكرم" في طي النسيان، وذلك هو السبب الوحيد الذي جعله يبقي على "أكرم" حياً ولا يفكر في الخلاص منه؛ فقد كان يشعر بالاستمتاع لكونه ينجح، وهو فقط يكتفي بالمشاهدة، كان يشعر بالاستمتاع بعد أن أصبح "أكرم" شخصاً عادياً، لقد انتهى كل شيء بالنسبة لـ"أكرم"، ولكن يجب أن يبقى فى الحياة ليشعر كل يوم بحجمه يتضاءل وإنه فقد كل شيء.

وفي خضم تفكيره توقف عند حدث بعينه، حدث ساهم في تغيير الكثير من الأشياء، وأولهم نفسه، لم يكن يدري كيف حدث، ولكنه كان يدرك أنه المسئول الأول عنه.

*****

بعد حوالي ساعة من السير قرر "أكرم" و"سارة" أن يجلسا قليلاً في أحد الكافيهات وكان حديثهما عادياً للغاية، لم يتطرقا لأي من الأمور التي تشغل عقل كل منهم، وكأنما كل شخص ينتظر أن يعلن الآخر طلقة البداية للحديث، وقررت "سارة" المبادرة وهي تتساءل:

- ناوي على إيه مع "علاء"؟ وجاوبني بصراحة، انا عارفة إنك لسه بتفكر في الانتقام.
- باراقبه يا "سارة" مش أكتر.
ثم صمت وأطرق برأسه وهي تسأله:
- ليه مش عارف تشيله من دماغك؟
- اللي عمله مايخلنيش أقدر أشيله.
- انت ليه مصمم تحسس نفسك إنه السبب، "رضوى" ماتت في حادثة عادية، انت مالكش ذنب وهو مالوش دعوة.
- "سارة"، انتِ مش فاهمة.
- انت اللي مش فاهم يا "أكرم" ومدخل نفسك في دوامة من غير فايدة.
- لأ، لأ.
- هو سبب لك مشاكل في الفرقة وفي حياتك، وانت بتدور على حاجة تخليك تنتقم ومش لاقي مبرر زي موت "رضوى".
احتقن وجه "أكرم" بصورة واضحة وهو يعض شفته السفلى في قوة محاولاً عدم التحدث، فيما واصلت "رضوى" كلامها الذي صار بالنسبة لـ "أكرم" همهمات قبل أن ينفجر قائلاً:
- "علاء" هو اللي قتل "رضوى"، هو اللي كان سايق العربية.
اتسعت عينا "سارة" وهي تحدق في عيني "أكرم" الذي بدا نادمًا على ما قاله فأضاف محاولاً التخفيف من حدة الموقف:
- أنا آسف بس انتِ لازم تعرفي اني مش عاوز انتقم عشان أوهام و...

قطع حديثه وهو ينظر لـ "سارة" التي بدأت الدموع تغزو عينيها قبل أن تقول:

- قول الحقيقة يا "أكرم"، الحقيقة، ماتكدبش عليَّ في حاجة.

*****

كان "علاء" يجلس شارداً وهو يستعيد ذكرى حادث وفاة "رضوى"، كل تفاصيل الحادث، بداية من قيامه بالتحرك نحو السيارة ثم قيادتها نحو الكافيه بعد أن علم بمقابلة "أكرم" و"عمر"، نهاية بقيامه بزيادة سرعة السيارة ليصدم "رضوى". تلك التفاصيل التي يتعجب بشدة كلما تذكرها، فكيف تعمد قتل "رضوى" وليس "أكرم"، ولماذا لم يحاول التخلص منه؟!

نهض في صمت وعقله يواصل التفكير، وتعجب حينما بدا عقله يلومه على ما فعل ويصرخ بشدة، ليتوجه إلى غرفة العزف الخاصة به، ليجد الكمان موضوعا على الكرسي.

شعر بطاقة غريبة تصدر من الكمان وكأنما يقوم بمناداته فأمسكه على الفور وهو يهم بالعزف كما اعتاد، وحينما بدأ في العزف بدأ في الحديث بصوت عال مع نفسه:

- كان لازم "أكرم" اللي يموت مش هي.

واصل عزفه وبدأ يغلق عينيه في شرود ولكنه واصل حديثه:

- لأ، كانت هتعيش وتتعذب، إنما انا كان لازم أخليه هو اللي يتعذب، يتعذب إنه فاكر نفسه قتلها، ويتعذب إنها مش في حياته، لازم يحس أنه ضعيف ويعرف إني الأقوى، لو مات كانت هي مع الوقت هتروح لحد تاني، إنما كده هي مابقتش ملك حد تاني، هي مابقتش ملكي، بس مش هتبقى ملك حد تاني.

أعاد آخر جملتين وهو يبدأ في الابتسام ويشرد مع العزف أكثر، وتتسع ابتسامته التي لم تعد ابتسامة إنسان، بل شيطان، شيطان أصابه الجنون.

*****

أخذ " أكرم" نفسًا عميقًا وهو يتحدث إلى "سارة" التي بدت واجمة للغاية:

- جالي لفة على البيت فيها جواب مكتوب فيه أن "علاء" هو اللي قتل "رضوى" وان فيه زاوية للكاميرا قدرت تصور وش اللي سايق، ماصدقتش وشغلت الCD، وشوفته، شفته وهو سايق، المشهد كان واضح، اللي بعته عرف إزاي يخليه واضح، ماكانش متفبرك، كل تفصيلة في اليوم انا فاكرها وكل حاجة كانت واضحة.

- مابلغتش "محمود" ليه؟

نطقتها بوجوم تام ولكنه تأكد إنه لا مجال للتراجع عن الحديث فواصل:

- عشان الدليل الوحيد كان الـCD اللى اتحرق، كان عليه فيروس دمره بعد ما اشتغل، اللي بعت الجواب كتب لي أن هو كان قاصد لأنه هيتضر لو الـCD وصل للبوليس، يعني أنا ماعنديش دليل أديه لـ "محمود" وهو مش هيقدر يعمل حاجة.

- اللي عمل كده عاوز يخلص من "علاء" من غير ما يتضر، وعاوز يستغلك انت.

- بس اللي شفته حقيقي والله العظيم حقيقي.

نظرت له بصمت توقع منها أن تواصل الاستنكار والرفض إلا أنها قالت بهدوء:

- وعاوز إيه؟ تقتله؟

- مصدقاني؟

هزت رأسها بالإيجاب فاستطرد:

- لازم أخلص منه، مش هاسيبه يعيش وهو قاتل "رضوى".

- سيبه.

نظر لها بدهشة بالغة وهي تكرر:

- سيبه، الانتقام مش هيرجع "رضوى" ولا أمي، الانتقام هيضيعك انت كمان، خايفة عليك منه.

خفضت رأسها في صمت فقال "أكرم" بإصرار:

- هو يستحق الموت ألف مرة مش مرة واحدة، لازم انتقم منه عشان "رضوى" و"ياسمين" وانتِ وكل حد أتأذى بسببه.

رفعت رأسها ببطء لتبدو عيناها حمراوتين بشدة وهي تقول بمرارة :

- "أكرم" انت اللي فاضلي، انا كل اللي باحبهم راحوا وبقيت لوحدي، ماتفتكرش إني علشان ساكتة أبقى عديت المرحلة الصعبة، دي قوة من برة، بس انا في الحقيقة مابقتش زي الأول، انا بقيت أرجع بيتي حاسة إني داخلة قبر لوحدي، باحاول أبعد عنه طول الوقت علشان ماحسش بالوحدة، بس باحس بيها كل ليلة.

- انا حاسس بيكِ.

- لأ مش حاسس، لو حاسس ماكنتش تعرض نفسك للخطر مع "علاء"، انت دلوقتي بقيت أهلي يا "أكرم"، كل اللي باحبهم راحوا، مش هاستحمل إنك تغيب عني انت كمان.

شعر بالمرارة والحسرة في صوتها ولم يجد ما يقوله، عجز عن الكلام وهو ينظر إليها وهي تعترف بمدى ضعفها، شعر بالألم يجتاح كيانه عندما أدرك أن هناك من يحيا الآن بوجوده.

من الصعب أن يتعلق بك إنسان لتلك الدرجة وتكون بالنسبة له طوق النجاة من كل شيء، فوقتها ستشعر بالذنب أن قمت بخذلانه أو سببت له الضرر.

أخذ نفساً عميقاً وهو يقول:

- "علاء" ممكن يأذي ناس تاني.

- ماحدش هيتأذي قدنا يا "أكرم"، كل اللي باطلبه إنك تبعد عنه، ماتخليش الانتقام يعميك، ماتبقاش فاسد بيقتل وبيأذي، ماتخليهوش يغيرك لإنسان تانى، وحاول ترجع تاني زي زمان علشان نعدي انا وانت المحنة دي.

- هاحاول يا "سارة"، صدقيني، انا مش عاوز أسببلك ألم وهاعمل لك اللي يريحك.

ابتسمت له وعيناها تخفيان مشاعر الألم بداخلها، فكانت تشعر بالألم من أجل أختها، ولكنها تدرك أن ما يرغب فيه "أكرم" ليس فقط ضربًا من الجنون، بل وقد يحوله إلى قاتل ليضيع منها الشخص الأخير الذي تحيا من أجله.

فينما ظل هو واجمًا وهو يتأمل ابتسامتها المكسورة التي تخفي الكثير، ويتمنى أن ينتصر على نفسه ويربح صراعه ضد ما يريد، ليستطيع تنفيذ وعده لـ"سارة".

*****

دخل "محمود" إلى غرفة "علا" بهدوء، وسحب كرسيا ووضعه إلى جوار الفراش وهو ينظر إليها بحنان، في حين فتحت عينيها ببطء ونظرت نحوه فوضع يده على رأسها وظل يتحسس شعرها وهو يقول:

- طمنيني عليكِ.
- كويسة.
- قولي لي شفتي إيه؟ مين عمل فيكِ كده؟ شكله إيه؟ قال لك إيه؟ أي حاجة قوليها.
- مش فاكرة أي حاجة يا "محمود".
- مش مهم، المهم إنك بخير، ومايهمنيش دلوقتي غير إني أشوفك كويسة، سامحيني، انا عارف إني قصرت معاكِ، بس كل ده هيتغير.
- انت حطيت الشغل بتاعك سور بيني وبينك خلاك بتبعد عني.
- كان غصب عني صدقيني، بس انا ماكنتش باتكلم وأفهمك.
- وشكلك لسه مستخسر تتكلم.
- فيه حاجات مش بتبان من الكلام، بتبان من الفعل.
- ولو مابانتش من الفعل بتضيع مع الوقت وتبقى زي عدمها.
- مافيش حاجة حقيقية بتضيع، بتبقى موجودة جوانا بس محتاجة ننفض من عليها التراب، علشان نقدر نحسها.
- تهمك سلامتي؟
- أول ما عرفتك كنت فاكرك مجنونة، بس دلوقتي اتأكدت لما سألتِ السؤال ده، تبقي مجنونة لو فاكرة إني هاعرف أعيش من غير مراتي وحب عمري، وشكلك مجنونة قوي كمان.
ابتسمت بإرهاق وهي تنظر إليه وهو يكمل:
- والله كل حاجة هتتغير، ساعات بنحتاج صدمة تخلينا ناخد بالنا من النعم اللي في إيدينا.

قبَّل رأسها بحنان وهو ينهض من مكانه فقالت بضعف:
- هتمشي برضه وتسيبني؟
- المرة دي انا ماشي علشانك، علشان أحافظ عليكِ، انا بعدين هافهمك.
ابتسمت له ونظر لعينيها بحنان، وخرج من الغرفة بهدوء، وهو يفكر أنه صار من الضروري تغيير الكثير من الأشياء في الفترة المقبلة.

*****

كان "أيمن" يستمع إلى "عمر" باهتمام، والأخير يشرح له كيف سيساعده:
- شوف، انا كل اللي عاوزه إني أدخل بيت "عماد" وقت الحفلة، ودى "سامح" هيفيدني فيها، انا محتاج بس إنك تبقى موجود، عشان انا مش ضامنه.
- هو صعب لأنهم جابوا شركة أمن، بس أنا هاحاول أساعدك زي ما طلب "محمود" باشا، علشان حتى لو حد شافك أقدر أساعدك تطلع.
- كل ده كويس و...
قطع حديثه رنين هاتفه فاستأذن في الرد وخرج من الغرفة، غاب لبضع دقائق، وعندما عاد لاحظ "أيمن" أن وجه "عمر" صار شاحباً والعرق يتصبب عليه بغزارة وهو يقول:
- أنا هامشي دلوقتي في مشكلة حصلت.
- استنى، هآجي معاك أوصلك.
لم يعترض "عمر" أو يطيل النقاش معه، فقد كان قلبه يحترق خوفًا، وعقله تتكون فيه صورة مقيتة، صورة لها رد فعل عنيف للغاية.

*****

اندفع "علاء" إلى مكتب "فتحي" ووجهه يتقد غضباً وهو يصيح:

- إيه اللي عملته ده؟

- عملت إيه؟

- عم "عمر" اللي خبطته عربية، مش انت اللي عملت كده برضه؟

- أه.

أحنقه أسلوب "فتحي" الهادىء فصاح بحدة أكبر:

- أنا قلت لك تبعد عن "عمر".

- انا اتصرفت مع "محمود"، بس "عمر" كان بيتعامل مع "سامح" كمان، ولما انت مااتصرفتش انا اتصرفت، وزي ما انت قلت لي عن طريق نقطة ضعفه.

- غلط، "عمر" مش هيخاف زي "محمود"، انت استفزيته، قلت لك ابعد عن "عمر" علشان انا عارف رد فعله ممكن يبقى قوي ويبوظ حاجات كتير.

- زي شغلك مع "عماد"؟

- قلت لك مالكش دعوة بشغلي مع "عماد" ده للمصلحة، فيه إيه انت عاوز تبوظ كل حاجة؟

- انت مافَهّمتنيش، يمكن لما أفهم مافيش حاجة تبوظ.

- انت بتعمل كل ده علشان تفهم؟

هز "فتحي" رأسه إيجابًا، فصمت "علاء" لثوان ثم ابتسم بهدوء قائلاً:

- انا هافهمك، هآجي لك البيت وافهمك كل حاجة.

وخرج "علاء" وبداخله قرار حاسم، بعد شعوره أن "فتحي" صار يشكل عليه عبئاً ثقيلاً.

*****

جلس "عمر" في ردهة المستشفى وهو يطلق تنهيدة إرهاق وراحة بعد أن اطمأن على عمه، وسأله "أيمن" بفضول:

- تفتكر مين اللي عمل كده؟

- نفس اللي حاول يقتل "علا" علشان "محمود" يبطل ينبش وراه، المكالمة اللي جات لي كان فيها تهديد إن المرة الجاية هيموت حد تاني لو ماعملتش زي "محمود" وخفت.

- قصدك "فتحي"؟

- أو "علاء"، اللي قدامك ممكن يغلط غلطة تكون هي اللي انت محتاجها علشان تاخد قرار كنت خايف تاخده، أو تتأكد من فكرة كنت بتنكرها.

- وإيه القرار اللي خدته؟

- قرار هيخليني أغير اللي كنت هاعمله يوم الحفلة، المشكلة أن أكيد عمل كده علشان عارف إني ممكن أروح الحفلة ويعمل حسابه إني مادخلش.

صمت "أيمن" مفكرًا، ونظر إليه "عمر" وهو يفكر بدوره، وظلا صامتين لدقائق، قبل أن يهتف "أيمن":

- عندي فكرة ممكن تضمن لك أن ماحدش يفكر فيك ولا تتأذي أصلاً.

نظر إليه "عمر" بتساؤل فأكمل:

- إنك تموت.

*****

نظر اللواء "حمزة" إلى "محمود"، بينما جلس الأخير بثبات وثقة لا يتلفت لنظرات الاستنكار التي ملأت وجه اللواء "حمزة" واحتلت كل ركن من أركانه وهو يسأل:

- استقالة إيه؟

تنهد "محمود" مجيباً بحزم لا يخلو من مسحة من الحزن:

- أنا باحب شغلي بس ده الوقت المناسب.

- حقك طبعا خايف على مراتك، اللي حصلها صعب، بس مش يخليك تاخد قرار زي ده.

- اللي حصل لـ"علا" ده هو الحاجة اللي تخليني لازم أسيب الخدمة.

- ده قرار انفعالي يا "محمود"

- أنا فكرت كويس، اللي حصل والتدخلات في شغلي من فوق كل دى حاجات تخليني ماكملش.

تخلي اللواء "حمزة" عن أسلوبه الحازم وقال بلهجة أبوية:

- انا باعتبرك ابني ومش هارفض طلبك طالما ده قرارك بس استنى لما تاخد وقت أكتر في التفكير، ومايكونش قرار انفعالي.

هم "محمود" بالاعتراض ولكنه قرر الصمت عندما لمح نظرة اللواء "حمزة" وهو يطلب منه إعادة التفكير، لم يعترض لأنه توقع ذلك رد الفعل، فوافق على إعادة التفكير، ولكن من قرارة نفسه كان يرى أن العدول عن ذلك القرار أمر صعب للغاية.

*****

نظر "عمر" إلى "أيمن" وهو يسأل:

- أموت!! انت بتقول إيه؟

- لعبة، "علاء" بيعرف خطواتك وقلقان منك، إحنا هنخلي خبر موتك يوصل له، ولما يعرف إنك ميت مش هيقلق منك، وهيشيلك من دماغه وانت تعمل اللي انت عاوزه، وانا هاعرف أجهز كل حاجة علشان الموضوع يبان طبيعي.

- مش مقتنع.

- ده حل مناسب، "علاء" مراقبك بس كده انت هتخلص من مراقبته وتتحرك بحرية، وبرضه حماية ليك.

-"علاء" هددني بس فيه حاجة منعاه إنه يأذيني.

- ممكن السبب ده يروح ووقتها هيأذيك فعلاً، انما لو انت ميت هتبقى بعيد عن تفكيره خالص.

- فكرة غريبة.

- كل اللي عرفته منك ومن "محمود" عن "علاء" وقضية "كامل" فيه حاجات غريبة كتير، وعلشان تتأقلم مع المواقف الغريبة لازم تتعامل بطريقة غريبة.

صمت "عمر" في تفكير عميق قبل أن ينظر إلى "أيمن" وهو يقول بحسم:

- أنا موافق يا "أيمن"، الفكرة دي هتخليني أعكس العملية وانا اللي أراقب "علاء" وساعتها ممكن أوصل لحاجة تخليني أوقفه.

- وهو مش هيبقى متوقع وجودك.

- قولي بقى هنعمل الفكرة دي إزاي؟

- ببساطة شديدة، خبر عن حادثة، وجثة مجهولة من عندنا وكل حاجة تخلص،

وشوية تحقيقات نعملها وكمان تحقيقات مع "علاء" هتخليه يقتنع باللي حصل.

- ياريت تنفع.

داعبه قائلاً:

- والحمد لله انت مش من المشاهير، فالموضوع مش هيعملك أزمة في حياتك لما ترجع من الموت، الناس مش هتقلق منك.

ابتسم "عمر" ابتسامة باهتة وهو يبدأ مع "أيمن" في الإعداد لذلك الأمر الجنوني الذي لابد أن يبدأ قبل الحفل.

*****

لم يمض كثيراً على خطة "أيمن"، فقد بدأ في تنفيذها مباشرة، وانتشر خبر وفاة "عمر" بين من يعرفونه، تلقى البعض الخبر بصدمة شديدة وبدا لهم أن كل الجيدين يرحلون هاربين من ذلك العالم، فيما بقى شخص واحد لم يشعر بالصدمة، "علاء". لم يكن الخبر صادماً بالنسبة له، وكأنما كان ينتظره، لم تعد تعنيه تلك المشاعر، فكما قال لنفسه سابقاً إن المشاعر لن تفيده بشيء بل ستعطل نجاحه، وتجعله يتوقف عن ما يسعى إليه، أما "أكرم" فقد تلقى الخبر غاضباً حزيناً، فعلى الرغم من عدم كونه صديقا مقربا لـ"عمر" إلا أنه شعر بحزن عميق في قلبه.

الجميع يرحلون، كل من يحبهم يرحلون، وهو فقط يبقى مع "علاء"، وكأنما تضيق الأرض عليهما معاً، لتصير مواجهتهما أمراً حتمياً يقترب كلما مر الوقت ليكون أمرًا لا فكاك منه.

كان يُدرك إنه قطع وعداً على نفسه لـ"سارة" بالابتعاد عن "علاء" ونسيان ما كان ينوي فعله، ولكنه أدرك صعوبة ذلك، بل إنه كان يشعر أن كل شيء يقوده لمواجهة حتمية مع "علاء" وإنهاء كل ما يقوم به، فقد يكون "علاء" سبب وفاة "عمر"، ولم لا؟

فقد كان حقده سبباً في وفاة "رضوى"، وربما كان السبب في وفاة "رفعت"، تلك القائمة الطويلة التي تمر أمام عينيه كلما فكر في ما يقوم به "علاء".

لذلك فقد اتخذ قراره بالمواصلة، هو يدري كم سيكون ذلك صعباً على "سارة"، ولكنه هذه المرة سيواصل من أجلها، فهو يريد حمايتها من أن تكون ضحية في وقت من الأوقات، يريدها أن تحيا في عالم يخلو من شر "علاء"، وتشعر أن حق أختها سيعود.

تنهد في شدة وهو يفكر كم سيكون من الصعب أن يقوم بذلك رغم توسلات "سارة"، ولكنه كان يُدرك جيداً أنه هذه المرة لا يقوم به من أجل الانتقام فحسب، بل يقوم به من أجلها، إنه القرار الذي قد يغير كل شيء بالنسبة للجميع، القرار الذي يحتاج شجاعة في تنفيذه.

أخذ نفساً عميقاً وهو يتوجه نحو مكتبه وأخرج حفنة من الأوراق وضعها أمامه بهدوء وطفق في الكتابة، لاتخاذ قرار مصيري.

*****

كان قرار الموت بالنسبة لـ"عمر" أمراً غريباً؛ فقد شعر لوقت من الأوقات بالراحة، فكأنما شعر بالحرية، لا يشعر أحد بوجوده ولا يهتم به، فصار يتحرك بحرية وبلاخوف، ولكن ذلك لم يُنسيه هدفه الرئيسي، "علاء". كان يتمنى أن يتمكن من إقناع "علاء" بالتوقف، كان يريد فرصة قوية تجعله يستطيع إيقافه،

فرصة لإنقاذه من نفسه التي صارت هي شيطانه الأكبر.
لم يكن هناك ما يشغله سوى مراقبة "علاء" والبحث خلفه، كان يريد إيجاد دليل ضده يستخدمه للضغط عليه للتوقف. كانت فكرة محفوفة بالمخاطر ولكنه كان يستند إلى عدم قدرة "علاء" على إيذائه التي لم يفهم حتى الآن سببها، هل هي بسبب صداقتهما القديمة؟ أم أن هناك أمرا آخر يجهله؟
تحرك "علاء" في ذلك اليوم من الأوبرا وكان"عمر" يراقبه كالمعتاد، سار خلفه في الطرقات لوقت طويل، لا يدري كم مر من الوقت حتى وصل إلى ڤيلا يحيطها عدد من رجال الأمن الخاص، كان "عمر" يدرك من خلال مراقبة "علاء" لفترات طويلة إنها ڤيلا "فتحي زهير".
دلف "علاء" إلى الڤيلا ولدهشة "عمر" فقد وجد بعد دقائق قليلة أن الحراس يرحلون تاركين الڤيلا بلا حراسة، ليقف وهو يشعر بالحيرة هل هناك خدعة أم أن أمرًا يحدث الآن بالداخل.
كان يعلم أن الأمر يعتمد على المخاطرة، فسار نحو سور الڤيلا مستغلاً الظلام وهو يتلفت حوله بحذر، وقف لثانيتين يتلفت حوله قبل أن يقفز على السور ويتسلقه بصعوبة، ويهبط في الناحية الأخرى ليصير داخل حديقة الڤيلا.
بدأ يسير بحذر بعد أن تناهى إلى مسامعه صوت جدال بين شخصين ولكنه لم يستطع تمييز الكلمات، وظل يقترب حتى رأى "علاء" جالساً من ظهره وهو يمسك بحقيبة الكمان ويتحدث مع "فتحي زهير"، فبدأ بالاقتراب أكثر ليتمكن من الاستماع لما يدور بينهما.
كان صوت "علاء" مرتفعاً وهو يقول بحدة:
- ابتديت تتصرف من دماغك ليه، مش بينا اتفاق.

- عاوز أفهم انت بتعمل إيه مع "عماد"؟

بدأت لهجة "علاء" تصبح أكثر حدة وهو يقول:

- تاني "عماد"، للدرجة دي مش واثق في نفسك؟!

- لأ مش واثق فيك، انت قلت هتتصرف بس دلوقتي بتتعامل مع "عماد"، وماخلصتنيش منه، حتى الناس الكبيرة اللي باتعامل معاها سكتوا وبعدوا عني بعد قتل "ممدوح".

- قلت لك انا هاحل كل حاجة.

- انت بتدّور على مصلحتك بس، وشكلها خلصت معايا.

كان يتوقع إنكارًا من "علاء" ولكنه فوجيء به يقول بلهجة باردة:

- أول جملة صح تقولها النهارده.

- خلاص يبقى ننهي التعامل بينا، بس لو قررت تأذيني انا مش هاسيبك وأي حاجة هتعملها انت عارف ردي، انا ممكن أدفنك مكانك.

قال "علاء" وهو يضحك:

- الكلام ده لو انت اللي هتدفنني، حد عارف مين اللي هيتدفن الأول، العمر بيخلص في ثانية، انت لو مت دلوقتي مش هتدفني، كان نفسي أموت قبلك علشان تدفنني بنفسك.

ضغط "فتحي" على بعض الأزرار أمامه بعنف فابتسم "علاء" وهو يخرج الكمان من الحقيبة ويقول بلهجة هادئة:

- ماحدش هيجي، الحراسة كلهم مشيوا.

- مشيوا؟

- قلت لهم يمشوا، وسمعوا كلامي بعد شوية عزف.

- عزف!!

- ده اللي خلاك ضعيف يا "فتحي" إنك مش فاهم.

قال "فتحي" بعناد:

- لأ انا فاهم، ومن أول يوم فاهمك كويس، فاهم إنك عاوز تكسب كل حاجة وتستفيد من الكل، فاهم إنك هيجي وقت وتحاول تخلص مني.

هز "علاء" رأسه بالنفي وهو يقول:

- انت فاكر نفسك فاهم ودي غلطتك، مهما شفت من اللي قدامك عمرك ما هتبقى فاهم، أول ما تفتكر إنك فاهم الإنسان اللي قدامك ١٠٠٪ اعرف إنك مش عارف عنه حاجة خالص.

- يعني إيه؟

- انت مافهمتش حاجات كتير، وأولها أن كل اللي انت عملته من ساعة ما قابلتني هنا كنت انا اللي باستفيد بيه مش انت، ومافهمتش أن خوفك خلاك وقعت تحت إيدي بسهولة وخلاك تعمل أي حاجة أقول لك عليها.

- قصدك إيه؟

أخذ "علاء" نفسا عميقا وهو يقول بهدوء:

- مش باقول لك مش فاهم حاجة، كل اللي عملته ده علشان انت خفت، خفت من "كامل"، لو ماكنش بعت لك الورد وجواب التهديد ماكنتش سمعتني لما جيت لك، ولو ماكنتش اديتك نسخة الورق اللي عندي اللي كانت مع "كامل" ماكنتش هتستنى مساعدتي.

بدا على وجه "فتحي" كل علامات الحيرة التي انتقلت على لسانه وهو يقول:

- عاوز اعرف معنى كلامك؟

ابتسم وهو يقول بغرور:

- مافيش مانع إنك لمرة واحدة تعمل اللي انت عاوزه.

- إزاي عرفت اللي بيني وبين "كامل"؟

- الكمانجة، عزف صغير على الكمانجة مع واحد صاحبي قال لي حاجات كتير، وعلى طرق أعرف بيها حاجات أكتر، عرفت أنك خايف من "كامل" علشان الورق اللي معاه، وكنت ناوي تاخده بس بعد الحريقة مالقتش حاجة، لأن ببساطة الورق جالي، صاحبي أداهوني هدية، وانا اللي بعتت لك الورد اللي كان باسم "كامل"، وانا اللي بعتت لك جواب التهديد اللي فيه الرسمة.

- ليه؟

- علشان تخاف، انت كنت خايف من "كامل"، كان هو نقطة ضعفك وانا استغليتها، وانت كنت محتاج إنك تلاقي حد يحميك من "كامل"، وساعتها انا جيت لك وحسستك إني الوحيد اللي هاحميك وطبعاً لما اديتلك الورق اتأكدت إني هاحميك.

- يعني اتفقت مع "كامل"، وتلاقيك قلت له يجي لي عند الشركة.

- متفق معاه!! جالك فين؟ يا راجل فيه حد بيرجع بعد الموت؟!

- قصدك إيه؟

- "كامل" انتحر، وجثته اللي اختفت انا خفيتها وانت افتكرت أن "كامل" لسه عايش.

أمسك جانبي رأسه بشدة وهو يهتف:

- مستحيل، انا شفت "كامل" قدام الشركة، و"ممدوح" كمان شافه.

- وهم يا "فتحي"، كلها أوهام.

- أوهام!!!

- مش باقول لك صاحبي علمني عزف بيخليني أعمل حاجات كتير، كان منهم إني قدرت أخليك تشوف أوهام. انت بينضحك عليك بسهولة، زي "حلمي" اللي كلمك وانت افتكرت إنك كسبت بعد موت "ماجد"، مافيش حد اسمه "حلمي"، ده وهم برضه، الكبار سابوك بعد موت "ماجد"، انت كنت محتاج تطمن من ناحيتهم وانا طمنتك علشان أكمل، و"عماد" كان خايف إن الكبار يسيبوه وانا استغليت خوفه ده وخليته برضه يعملي اللي انا عاوزه.

- مافيش "حلمي"!! أمال انت عملت كل ده ليه؟ وليه كنت عاوز توصل لـ"ماجد"؟!

- انتوا كنتوا سلسلة، انا وصلت لك عن طريق "كامل"، وعن طريقك وصلت لـ"ماجد" و"عماد"، دي الخدمة اللي انت عملتها لي.

- وكنت محتاج توصل ليهم ليه؟

- الإجابة دي مش هتحتاجها، "ماجد" كان سكة إني أعرف أوصل لحاجة خاصة بيَّ ووصلت.

- إيه هي؟

- قلت لك مش هتحتاج الإجابة دي، دلوقتي انت فهمت حاجات كتير، ونظرتك بتقول كده.

- و"ممدوح"؟

- انا اللي قتلته.

انتفض "عمر" في مكانه عندما سمع تلك الجملة، التي كانت تأكيداً على كل

ما اعتمل في نفسه من شكوك، أما "فتحي" فكان وجهه يبدو كالحمم البركانية التي تستعد للانفجار وهو يصيح:

- طبعاً كنت عاوز تخلص من أي حد يمشي وراك ويوصل لحقيقتك.

- أول حاجة صح تقولها، لقيته مش هيفيدني، فقررت أخلص منه هو و"عيسي" اللي كان بيراقبني، كان لازم هو اللي يلبس تهمة قتل "ممدوح".

عاد "فتحي" على كرسيه للوراء بعد تلك المفاجآت التي سمعها متتالية وهو يسأل:

- قتلت "ماجد" كمان؟

- مش بالظبط، صاحبي عملي الخدمة دي بس كان لازم "ماجد" يسمع العزف.

- صاحبك؟

- أه اللي اتعلمت منه، كان فيه صفقة وهو كان بينفذ الجزء بتاعه.

نهض من مكانه وهو يبدأ العزف على الكمان مكملاً حديثه:

- أقول لك على سر، كل حد بيسمع العزف بتاعي بيوصل لحاجة انا عاوزها، يشوف أوهام ويتجنن، أو يعمل اللي أنا عاوزه، أو يموت، دي المقطوعة الأهم في حياتي.

كان "فتحي" يبدو مذهولاً وكما لو أنه لم يسمع جملة "علاء" الأخيرة فتساءل بفضول:

- مين صاحبك؟

اقترب منه "علاء" وهو لم يتوقف عن العزف بعد ومال نحو وجهه وهو يقول:

- اللي علمني كل المقطوعات اللي كنت باعزفها قدامك، وانت كل ما تسمعها باسيطر عليك أكتر، انت أول واحد يعرف عن المقطوعة دي، الكمانجة فيها حركة في العزف أول ما باوصل للحركة دي باقدر أوصل للي عاوزه، صاحبي علمني إزاي أوصلها، الشيطان..

- الشيطان!!

- عارف الحركة دي اسمها إيه؟

ظل "فتحي" واجماً و"علاء" يقول:

- تريلّو.

اتسعت عينا "فتحي" بفزع بينما استمر "علاء" في عزفه ووجهه يحمل ابتسامة واسعة، وأغمض عينيه في نشوة وانتصار وهو يعزف، وبقى "فتحي" جالساً يرتعد جسده مع تصاعد حركة أصابع "علاء" على الأوتار.

وكان "عمر" يقف في رعب خلف الأشجار وهو يضع يده على أذنيه.

ظل "علاء" يعزف بحركات سريعة على الأوتار التي خضعت له لتخرج أنغاماً تسلب الألباب ولكن "فتحي" لم يشعر بجمالها، فقد ظل يرتعد ثم أمسك رأسه ومال إلى الأمام.

وظل الوضع كذلك لدقيقتين، وجسد "فتحي" يميل للأمام أكثر فأكثر، حتى سقط على الأرض، كقالب من الطوب يسقط في المياه، وتوقف "علاء" عن العزف. وبهدوء رجل اعتاد على ذلك الموقف أعاد الكمان إلى الحقيبة، دون أن يلتفت ولو لمرة واحدة نحو "فتحي"، وتحرك بهدوء ليقطع الطريق نحو مخرج الڤيلا دون أي توتر.

ظل "عمر" في مكمنه خمس دقائق أخرى ليتأكد من رحيل "علاء"، ثم تحرك

بحذر نحو جسد "فتحي" المسجى على الأرض، ورغم توقعه لما حدث، فقد وضع يده على عنق الأخير يتحسس نبضه، ولكن ما توقعه كان سليماً فقد توقف قلب "فتحي" وأصبح يقف الآن أمام جثة لا فائدة منها.

عاد خطوتين للوراء في توتر وهو ينظر للجثة ثم عاد نحو المكان الذي اختبأ فيه، وتسلق السور للخارج في خوف؛ وما إن هبط في الشارع حتى صار يعدو بكل قوته مبتعداً عن المكان وعيناه تحملان نظرة هائلة من الحسرة والخوف.

*****

وقف "أيمن" أمام مكتب "محمود" والأخير يقول:

- زي ما سمعت كده، انا مش مهتم باللي عملته أو بتعمله انت و"عمر"، أنا قررت استقيل، صحيح لسه مااتقبلتش بس مش هاتراجع فيها.

- وقضية "كامل"؟ و"علاء" و"فتحي"؟ هتسيب كل ده؟

- ماعنديش اختيارات يا "أيمن"، انا قررت أبعد عن كل ده واستقيل.

- تستقيل؟!

سمع تلك الجملة قادمة من ناحية باب المكتب فالتفت نحوه ليجد "سارة" تقف وعلى وجهها علامات الدهشة واضحة فاقتربت وهي تتساءل:

- انا سمعت صح؟

هز "محمود" رأسه بالإيجاب، ونقل "أيمن" نظره بينهما قبل أن يستأذن في الخروج، ولم تنتظر "سارة" خروجه حتى سألت:

- ليه؟

- عاوز أحافظ على مراتي.

- وكلامك عن العدل اللي نفسك يتحقق.

- ممكن أحققه لو غيرت شغلي وبقيت محامي، فيه طرق كتير يا "سارة".
جلست وهي تقول:
- إدي نفسك فرصة، القرارات اللي بناخدها واحنا حالتنا النفسية مش مظبوطة بتبقى مش سليمة.
- انا بافكر في القرار من أول ما وصلت المستشفى.
- أيوه بس...
قاطعها دخول "أيمن" المفاجيء إلى الغرفة وهو يلهث بقوة ويقول:
- فيه حاجة لازم تعرفها ياباشا.
- قلت لك ماليش دعوة بأي حاجة يا "أيمن".
- لازم تعرف ياباشا، "فتحي زهير" لقيوه ميت في جنينة ڤيلته من ساعة.
اتسعت عينا "محمود" في دهشة وهو يتبادل نظرة قلقة مع "سارة"، ورغم الصمت فقد اشترك عقلاهما في فكرة واحدة، واسم واحد قد يكون له علاقة مباشرة بما حدث، "علاء داغر".

*****

رغم وصوله إلى منزله منذ ساعتين إلا أن جسد "عمر" لم يتوقف عن الارتجاف منذ ما رآه في ڤيلا "فتحي". كان ما حدث هو تأكيد على كل الشكوك التي جالت بخاطره طوال الفترة الماضية، الآن تأكد أن "علاء" صار شيطانًا من شياطين الإنس، لديه استعداد لفعل الكثير لتحقيق ما يصبو إليه.
لم يكن حديثه عن الطموح فارغاً، بل كان يقصد كل كلمة عندما قال (إنه قد يفعل أي شيء من أجل النجاح). ولكنه لم يتوقع أن يصل الأمر إلى هذا السوء.
الآن أدرك أنه يجب عليه إيقاف "علاء"، لم يعد هناك مفر من المواجهة، لم يعد

هناك مفر من محاولة إنقاذه من نفسه.

أمسك رأسه بألم وهو يهمس لنفسه بحسرة:

- صعب أخليه يرجع عن اللي بيعمله، نفسه بقت أقوى من الشيطان، النفس هي الشيطان الاكبر جوة الإنسان، هي اللي بتحركه للشر وبتخليه أسوأ من الشيطان نفسه.

يعلم أن "أكرم" كذلك يسعى خلف "علاء"، ولكنه يعلم ما قد يفعله "علاء". كان يشعر بالذنب منذ وفاة "رضوى" ويلقي باللوم على نفسه لأنه أخبر "أكرم" بما فعله "علاء"، ولن يحتمل أن يكون على علم بإمكانية موت شخص آخر دون أن يحاول إنقاذه، دون أن يحاول إبعاده عن "علاء" الذي صار كالقنبلة الموقوتة، أي تعامل معه بطريقة خاطئة سيؤدي إلى انفجار سيحول من أمامه إلى أشلاء متناثرة تفوح منها رائحة موت عفنة، يجب إيقاف "علاء" لإنقاذ الكثيرين من قنبلة بداخله، قنبلة تنسف كل شيء وأي شيء، قنبلة بدأت بالفعل بنسف الإنسان بداخل "علاء"، وربما تكون في طريقها لما هو أكثر من ذلك.

*****

تحرك "عيسى" بأقدام متثاقلة مع العسكري الذي قاده من غرفة الحبس إلى مكتب أنيق، وما إن دخل حتى وجد "محمودا" أمامه فابتسم في مرارة:

- مابقتش قادر تستغنى عني ولا إيه؟

اقترب منه "محمود" وجذبه من ياقة قميصه وهو يصرخ بحدة:

- إزاي كنت جنبي كل السنين دي بالوساخة اللي جواك، إزاي؟

دفع "عيسى" يد "محمود" بعيداً وهو يهمهم ساخطًا:

- إيه؟ ماانا قلت لك كل حاجة هتفضل تلومني.
- انا جاي لك عشان كل اللي انت عملته حاجة واللي جاي أحاسبك عليه ده حاجة تاني.
نظر له "عيسى" بتساؤل فاستطرد "محمود":
- كنت عارف إن "علاء" هو اللي قتل "رضوى" وماقولتش، انت إيه يا أخي، بتحمي "علاء" زي ما بتحمي "فتحي"؟
زفر "عيسى" في ضيق وهو يقول:
- لما انت عرفت اني باساعد "فتحي" شكيت إن "علاء" هو اللي وصلك المعلومة، فحاولت اخلص منه، ولو حصله حاجة من ناحيتي أو من ناحية "ممدوح" انت كنت هتربط بيننا، فكنت عاوز حد يخلص منه بعيد عني.
- والحد ده كان "أكرم"، خليته يعرف إن "علاء" قتل "رضوى" علشان يفكر يقتله.
- كتبت له جواب إن الدليل الوحيد هو الفيديو اللي اتبعت له، والفيديو باظ أول ما شافه فمابقاش معاه دليل على كلامه وساعتها مش هيبقى قدامه غير انه ينتقم بنفسه.
- وانت كان معاك الفيديو إزاي؟
- لما دورت زي ما طلبت مني بعد حادثة "رضوى" كان فيه زاوية من كاميرا محل ظهر فيها "علاء" في العربية، بس قررت أسكت عشان...
- عشان اللي بين "علاء" و"ممدوح" وساعتها تستغل الفيديو ضده.
- بالظبط.
ابتعد "محمود" خطوتين للوراء وهو ينظر له باشمئزاز ويصيح بحدة:

- عشان "فتحي" انت سبت واحد زي "علاء"، شوف بقى عمل كام جريمة وهيعمل لسه، انت ماتأثرتش لما كنت شايف دموع "سارة" على أختها، ماحستش إنها محتاجة حق أختها يرجع، فكرت في مصلحتك ومصلحة "فتحي"، خلاص بقيت بتعمل الغلط عشان المصلحة، انت ظابط إزاي وانت شايف حقوق بتروح وبتساعد مجرمين.

- مش هاتكلم في الموضوع ده تاني.

- وطبعا كنت مستني "أكرم" يخلصك من "علاء"، بس هو سبقك وخلص من "ممدوح" ومنك.

- ماكانش قدامي اختيار.

- انا اللي مجنني أننا كنا بنثق فيك، وكمان كنت عاوز تفهم "سارة" إنك بتحبها، وتقولي ماعندكش اختيار، انت اخترت الخيانة، واللي يختار الخيانة مايستحقش أي فرصة تانية.

- قصدك إيه؟

- انا كنت هاحاول أساعدك تخرج من قضية "ممدوح"، بس دي آخر مرة تشوفني، انا مش هاساعدك، ولو "أكرم" اتضر من اللي عملته ده انا هاجي أموتك بنفسي يا "عيسى".

اقترب منه "عيسى" وهو يقول بضعف:

- بلاش تسيبني يا "محمود" انا هاتعدم، انا مش هاعرف اخرج، انت عارف كويس اني مظلوم.

- خليك مظلوم، يمكن الظلم يطهرك من الذنوب اللي على كتافك.

أخذ "محمود" نفسًا عميقًا، وهو ينظر لـ "عيسى" الذي كان ينظر بتوسل،

وقبل أن يتحرك مبتعداً قام بتوجيه لكمة قوية في فك هذا الأخير ألقت به مترين إلى الخلف ليصطدم بالمكتب ويسقط أرضًا وهو يتأوه في ألم، وتحرك "محمود" نحو الخارج وهو يغمغم:

- كنت محتاج أضربك الضربة دي من أول ما عرفت خيانتك، ولما عرفت موضوع "رضوى" صممت آجي بنفسي اسمعك يمكن تطلع شكوكي غلط، بس للأسف، انت سيبت نفسك لشيطانك، اللي خلاك دست على الكل، لحد ما هو داس عليك، كمل بقى مع الشيطان.

خرج "محمود" من الغرفة و"عيسى" ينظر للباب وهو متأكد إنها المرة الأخيرة التي سيرى فيها "محمود"، وأن فرصته في النجاة باتت شبه معدومة. وظل جالسًا على الأرض والغرفة يغلفها رائحة عفنة من الخزي والخيانة.

*****

تململت "سارة" بإرهاق واضح وهي تنظر إلى ساعتها وتقول لنفسها:

- واضح أن قعدتي في البيت خلتني مش متعودة على الشغل.

كان ذلك يومها الثاني في الجريدة الجديدة التي عملت بها، ولكنها كانت لاتزال تشعر بإرهاق تلميذ عائد إلى الدراسة بعد فترة انقطاع طويلة. كانت قد قضت في الجريدة وقتاً أكثر من المعتاد لتنغمس أكثر في العمل كعادتها كلما أرادت الهروب من أفكارها.

شعرت إنها بحاجة لتجديد نشاطها، فنهضت من مكانها وتوجهت نحو الكافيتريا لتناول كوب من القهوة لمساعدتها على التركيز. ورغم عملها الجديد، لم ينس عقلها كل الأمور السابقة التي حدثت في الفترة الأخيرة، انتحار "كامل"، وتحقيقات "محمود"، وفاة أختها، موت "رفعت"، مقطوعة

الشيطان، اتهام "عيسي" بالقتل، محاولة قتل "علا"، والغموض المحيط بـ"علاء"، نهاية بمقتل "فتحي زهير"، وقت زاخر بالأحداث المتعاقبة التي لن تنساها لفترة طويلة.

حتى وإن حاولت فعقلها يرفض ذلك ويعاود التفكير كلما سنحت له الفرصة، كأنما يرى أن كل ما حدث لا يمكن أن ينتهي بشكل بسيط بأن ينسى "أكرم" فكرة انتقامه، ويترك "محمود" عمله، ويختفي "عمر" فجأة، وكأنما كان عقلها يريد أن تكون هناك نهاية أكثر منطقية لما حدث.

كانت دائماً مقتنعة أن الأمور لم تنته بعد، ولذلك كان عقلها يعيد التفكير في كل مرة، ولكن كل ذلك لم يكن يهمها أو يعني لها أي شيء، لم يكن يعنيها سوى شيء واحد، أن يكون "أكرم" بخير. كان هو آخر من تبقى لها في الحياة، هو فقط من شعرت إنه سيعوضها غياب "رضوى" وغياب والدتها، هو من شعرت أنه يستطيع حمايتها والبقاء معها دائماً، لم تكن تريده ليتأذى أو يصاب بمكروه، فهو الخيط الأخير الذي يجعلها تتمكن من الصمود، ورغم كراهيتها لـ"علاء"، إلا أنها حاولت إجبار "أكرم" أن يبتعد عن فكرة الانتقام حتى لا يقع بين براثن "علاء".

تنهدت تهيدة طويلة وقررت أن تعود إلى مكتبها لتنشغل في العمل مرة أخرى، وفي طريقها أخبرها أحد زملائها أن شخصًا ترك لها مظروفًا على مكتبها.

توجهت إلى المكتب لتجد الظرف مكتوباً عليه اسم "أكرم"، خفق قلبها في قلق بالغ وهي تفتح الخطاب وتبدأ بقراءة سطوره:

(كنت محتاج أبلغك الكلام ده بنفسي يا "سارة" بس انا عارف رد فعلك فقلت أبلغك بالطريقة دي، انتِ منعتيني أنتقم من "علاء" علشان خايفة عليَّ

ومش عاوزة تبقي لوحدك في الدنيا مع إنك عاوزة تنتقمي منه، انا وعدتك بس عرفت إن "عمر" مات، صحيح انا مااعرفش "علاء" السبب ولا لأ، بس إحساسي إنه ورا اللي حصل، فقررت للأسف إني أخلف وعدي معاكي، انا عمري ما وعدتك وخلفت وعدي، بس اتأكدي إني باعمل كده علشانك، "رضوى" كانت ضحيته، وانا خايف دايرة ضحايا "علاء" تكبر وتطولك، ومش هسيبك عايشة في زمن فيه "علاء" وتبقي متهددة، "رضوى" راحت مني، ومش هاسمح انتِ كمان تروحي، انا بعد موت "رضوى" بقيت إنسان فاضي، انتِ عارفة يعني إيه يضيع منك حد غالي، يعني بتبقى عايش بجسمك بس إنما روحك مش على الأرض، روحك بتبقى بعيد بتدور عليه عاوزة تلمس روحه، وتعيش معاه في ذكرياته، بتروح أرض تاني، وبتضيع مننا نفسنا وبنبقى عايشين مستنيين الموت، يمكن لما أواجه الموت قدام "علاء" اقدر أرجع الدنيا، وترجع روحي جوايا تاني، وأقدر أحمي آخر حد ليَّ أن يحصل له أي حاجة، حتى لو مات واتقبض عليَّ، هابقى على الأقل حميتك منه، انا رايح لـ"علاء" دلوقتي، ومش باقول لك علشان تحاولي تمنعيني، انا باقول لك علشان أحس بقلبك جوايا بيقويني زي ما قواني على موت "رضوى".

سامحيني إني خلفت وعدي، بس انا عاوز أحس إني عملت حاجة لآخر حد في الدنيا بحبه ومهم عندي، ولو مارجعتش خلي بالك من نفسك).

أغلقت الرسالة ونهضت من مكانها مسرعة وهي تتوجه إلى الخارج وعيناها تتجمع بهما دموع ساخنة، دموع من الخوف والألم.

*****

كان "عمر" يسير في الشارع متوجهاً نحو الحفل بڤيلا "عماد السرجاني" وعقله يزدحم بالأفكار، فلم يكن يدري ما سيحدث في مواجهته، ولم يكن يدري ماذا سيفعل حقاً، تحسس جانب ملابسه ليتأكد من وجود المسدس الذي تمكن من الحصول عليه بصعوبة، لم يكن يتوقع أن يحمل مسدسًا في يوم ما، بل والأغرب أنه ربما يضعه اليوم في وجه أعز أصدقائه وأقربهم لقلبه. كان أمراً عجيباً وغير منطقي، ولكنه صار واقعاً الآن. كان يشعر بتوتر بالغ، وكان يحاول السيطرة على انفعالاته، لكنه كان يشعر بداخله أن "علاء" يعاني من نفس التوتر، بل وربما يفكر هو الآخر فيما سيحدث.

انتهت أفكاره في تلك اللحظة عندما وصل أمام الڤيلا ووقف أمامها في توتر، فأخذ نفساً عميقاً وهو ينظر إلى الڤيلا ويتحدث نحوها وهو يقول لنفسه:

- انا جاي لك يا "علاء"، انا شايفك، شايفك وحاسس بيك من غير ماتكون قريب، سامع كلامك، سامع حتى أفكارك، عارف إنك هتشوف طريق بعيد عني لانك ماتقدرش تأذيني، بس انت حاسس إننا هنتقابل، وانا عارف إنك مش هتتفاجيء لما أقابلك، لأن زي ما أنا مستنيك انت كمان مستنيني.

*****

وقف "أكرم" بجوار "سيد" في مطبخ الڤيلا، وهو يقول بصوت منخفض:

- من غيرك ماكنتش هاعرف أدخل، ابعد وسيبني علشان ما تنضرش، واوعى تتدخل مهما حصل.

امسكه "سيد" من ذراعه بقوة وهو يقول بعناد:

- انا في ضهرك.

- مالكش دعوة يا "سيد".

- ماليش دعوة إزاي!! انا هنا في ضهرك، أنت فاكرني كروديا، أكيد انت داخل هتعمل حاجة خطرة، كلامك بيقول كده وانا مش هاسيبك في وش المدفع،ماينفعش أسيبك، أكيد اللي هتعمله ده صح حتى لو انا مش فاهم، علشان كده لازم أفضل في ضهرك.

- يا "سيد".

- ياباشا انت طول عمرك بتعمل الخير وترميه البحر، وعملت معايا خير كتير، اللي بيعمل الخير ويرميه البحر الناس مش بس بتبقى عاوزة ترد له الخير، دول ممكن يرموا نفسهم في البحر علشانه، وانا هارمي نفسي في البحر معاك ياباشا، وماتحاولش تخليني أرجع في كلامي.

ربت "أكرم "على كتفه بامتنان فقال "سيد" مرة أخرى:

- انا ضربت صحوبية مع الحرس وعرفت أن اوضة الجدع اللي بيعزف فوق، انا هاشغلهم وانت أمسك الصينية دي واطلع اتسحب برة واحدة واحدة، لو لقيت الدنيا لبش ارجع لي وانا هاسلكك.

هز "أكرم" رأسه موافقاً وتوجه إلى خارج المطبخ، سار في ردهة طويلة، ومع كل خطوة يخطوها يخفق قلبه بتوتر أكبر، كان يعلم أن الوقت القادم سيكون الأصعب، إما ينتهي بالخلاص من "علاء" أو يصبح هو ضحيته الجديدة.

ارتعدت أوصاله بشدة عندما جالت بخاطره تلك الفكرة، فكان يتمنى ألا تصير نهايته الموت دون فائدة، فهو يريد أن ينتهي كل شيء كما تمنى؛ لم يكن يتوقع في حياته أن يُقدم في يوم ما على قتل شخص، ولن يقول إن قسوة الحياة هي التي جعلته يفكر في القيام بذلك.

ظل غارقاً بأفكاره حتى وصل إلى قاعة مستطيلة واسعة تنتهى في طرفها الجنوبى بمنصة صغيرة لها سلم خشبى قصير، ازدحم بها عدد كبير من الرجال ذوي الملابس الأنيقة ترافقهم زوجاتهم اللاتى كن في أبهى صورهن، وكن يلقين النظر ناحية تلك المنصة من وقت لآخر.

وفي نهاية القاعة وقف "أكرم"، وقف وعقله يفكر هل بالفعل سينتهي كل شيء اليوم؟

*****

العزف الأخير

تحركت "سارة" بانفعال واضح في ردهة المستشفى حتى رأت "محمودا" جالساً أمام غرفة "علا"، فهرعت إليه مسرعة، وعندما رآها نهض من مكانه وتحرك نحوها بدوره وهو يسألها:

- فيه إيه؟

ناولته خطاب "أكرم" وهي تجيب:

- اقرأ.

فض الخطاب وظل يقرأه بتركيز وإمعان، وبمجرد أن أنهاه نظر نحوها فقالت بانفعال جارف:

- "أكرم" في خطر، هيضيع.

- ماتخافيش، "أيمن" هناك هو و"عمر" هيساعدوه.

- "عمر"؟!

- أه "عمر" عايش مماتش، دي لعبة عملها مع "أيمن".

- وهتسيب "أكرم"؟

- مافيش في إيدي حاجة.

- انا جت لك علشان انت اللي هتقدر تساعده، وانت ناوي تسيبه قصاد "علاء" وأنت متأكد كويس إنه ورا كل اللي بيحصل، استقالتك معناها إنك ترمي حتى الناس...

- افهمي يا "سارة"...

قاطعته بلهجة حادة:

- أفهم إيه؟ أنا جيت لك عشان باثق فيك.

- "علاء" هيتقبض عليه قريب، "عمر" شافه وهو بيقتل "فتحي زهير"، و"أيمن" راح مع "عمر" الحفلة و...

قاطعته مرة أخرى:

- وانت عارف إن "علاء" هيتقبض عليه؟ ممكن كل حاجة تخلص بموت "عمر" و"أكرم" و"أيمن" كمان، "علاء" قتل أختي، "أكرم" مش هيستنى تقبضوا على "علاء".

- انا ماقدرش أتدخل.

صرخت فيه بقوة بطريقة لم يعهدها منها:

- علشان خايف.

كظم غيظه وهو ينظر نحوه ثم قال بانفعال:

- أيوه خايف، خايف أخسر مراتي، أول مرة "فتحي" هددني ماهمنيش وكملت لأنه كان كلام، بس خفت لما شفتها غرقانة في دمها، البني آدم بيفتكر نفسه قوي، بس لما بيلاقي أكتر حاجة بيحبها في حياته هتضيع، بيضعف ويخاف.

- خايف تخسر!! ومين فينا ماخسرش، أنا و"أكرم" و"عمر" و"رفعت" حتى "عيسى"، كلنا خسرنا، اللي خسر اللي بيحبه واللي خسر حياته كلها.

- لو على حياتي كنت خسرتها، بس دي حياة "علا".

- علشان كده ماقتلهاش، "علاء" كان يقدر يموتها قبل ما توصل، بس هو عارف إنها نقطة ضعفك اللي هتخليك تبعد عنه، قوة "علاء" جت من ضعفنا، زى الشيطان، استغل نقطة ضعف "أكرم" وحبه للمزيكا وحرمه منها، واستغل رغبة "فتحي" في القوة وسيطر عليه، واستغل ضعف "ياسمين"

ويأسها وخلاها اتسببت في أذية "أكرم"، ودلوقتي بيستغل حبك لـ"علا" علشان يخليك ضعيف، هو ماعملش حاجة غير إنه شاف الضعف اللي جوانا اللي يخلينا نعمل أي حاجة، زي الشيطان اللي بيدخل للإنسان من نقطة ضعفه ويوريه الطريق اللي يعمل بيه الشر، والإنسان بيفتكر إنه بيكسر الضعف اللي جواه، مع إنه في الحقيقة بيضعف أكتر.

- كلامك ممكن يبقى صح، بس مش هيمنع إنه يفكر يأذي "علا" تاني.

أجابته بانفعال:

- مش هيأذيها، هو عارف إنها نقطة ضعفك، وبيسيطر عليك بيها، مايقدرش يموتها لأنه كده بيخلصك من نقطة ضعفك، سهل إنه يسيطر على إنسان عنده نقطة ضعف، بس مستحيل يسيطر على إنسان ضاع منه كل حاجة ومابقاش عنده اللي يخاف عليه.

قال بانفعال مماثل:

- كل دي احتمالات وممكن في الآخر يموتها، ليه محسساني إني اتخليت عن الناس كلها.

نظرت إلى عينيه وهي تقول:

- لأن دي مش مبادئك اللي كنت بتتكلم بيها، فاكر إحنا بقينا اصحاب ليه، علشان انت قلت لي أن هدفنا واحد، الحقيقة، انا عاوزة أوصل للحقيقة علشان الناس تعرفها وانت عاوز توصل للحقيقة علشان المذنب ياخد عقابه، مش ده الكلام اللي قلته لي، نسيته؟

أطرق برأسه وهو يغمغم:

- ما نسيتش، انا عندي اللي اخسره، إنما "أكرم" راح علشان ماعندوش حاجة

يخسرها.

- "أكرم" راح لـ"علاء" المرة دي علشان عنده حاجة يخسرها.

نظر لها بتساؤل، فقالت بصوت بدأ يتهدج ودموع بدأت تغزو عينيها:

- أنا، أنا آخر حاجة "أكرم" خايف يخسرها، وراح لـ"علاء" علشان يحافظ عليَّ، مش عاوزني اكون نقطة ضعفه اللي تتأذي زي "علا"، بيحميني يا "محمود".

شعر بالألم وبالإشفاق نحوها فقال بصوت هادىء:

- ساعات بنضعف غصب عننا لما بنخاف نضحي بأغلى حاجة في حياتنا.

كانت صامتة تخفي عينيها عنه فقال بصوت مبحوح حمل كل الألم والمرارة:

- حتى النهايات السعيدة بتحتاج تضحيات.

نظرت نحوه وكانت دموعها تترقرق في عينيها ولكنها ظلت حبيسة بها، كان يُدرك أن ما تقوله صحيح، وأن الشيطان هو مصدر الخوف. نظر إلى عين "سارة" التي بدت رغم كل شيء قوية متماسكة، فاقترب منها وربت على كتفها بهدوء وهو يقول:

- خليكِ مع "علا"، أنا رايح لـ"أكرم".

ولم ينتظر رد فعلها بل انصرف مباشرة، بلا أدني شعور بالخوف.

*****

كان الموقف متوتراً للغاية في غرفة "علاء"، فقد كان يقف ممسكاً بـ"سامح" وأمامه يقف "أكرم" يوجه سلاحه نحو رأسه ومن خلفه وقف حارسان أحدهما يوجه سلاحه ناحية "أكرم" والآخر يوجه سلاحه نحو "عمر" الذي لم يبالِ بأي شيء سوى بتوجيه مسدسه نحو "علاء".

صاح "عمر" ليكسر جمود الموقف:

- "علاء" خلينا نخلص من الموقف ده كله، إحنا عرفنا مين اللي ورا موت "فتحي"، وكمان اللي قتل "ممدوح"، و"رضوى".

- وانت جاي تقول الكلمتين دول؟

ظل "عمر" صامتاً، فاستطرد "علاء" في سخرية:

- انت جاي تهزني علشان ماعندكش دليل، ماتستهونش بذكائي، لو فيه حاجة فعلاً مش هنبقى واقفين الموقف دة، "أكرم" جاي ينتقم، انت بقى قررت تغير دورك من الملاك اللي مهبيغلطش لدور البطل.

- انا صوّرتك وعندي دليل.

- اثبت لو عندك الدليل.

ارتفع صوت "أكرم" وهو يصيح:

- انا مش فارق معايا حاجة، في كل الاحوال مش هاسيبك يا "علاء".

وقبل أن يتفوه أحد بجملة أخرى اندفع بغتة "سيد" من باب الحجرة وتعلق برقبة الحارس الأول وهو يحاول إجباره على إبعاد المسدس عن "أكرم" وهو يطلق إحدى رصاصاته لتدوي في سقف الحجرة، في نفس اللحظة التى قفز فيها "عمر" لليمين متفادياً رصاصة الحارس الثاني، والرد عليه برصاصة أخرى استقرت في كتفه.

وقبل أن يتحرك "أكرم" دفع "علاء" "سامح" نحوه ليصطدم به ويسقط الاثنان أرضاً ويعدو "علاء" سريعاً خارج الغرفة.

اندفع "عمر" خلفه مسرعاً ونهض "سامح" و"أكرم" من على الأرض وانطلقا خلفهما. حاول أحد الحارسين أن يوقفهما فأطلق رصاصة في اتجاههما

لتصيب "سامح" في ظهره وترديه قتيلاً.
خلق دوي الرصاصات حالة من الهلع والتوتر في القاعة، في اللحظة التي اندفع فيها "أيمن" إلى القاعة وهو يصرخ شاهراً مسدسه:
- كله يفضل مكانه لو سمحتم، حالة طوارئ، ماحدش يخرج ولا يتحرك.
رأى "علاء" تدخل "أيمن" فتمتم بسباب ساخط وهو يعود أدراجه ليدخل سريعاً إلى إحدى الغرف، وتوجه ناحية الشرفة وحاول إسقاط حقيبة الكمان التي ظل ممسكاً بها على أرض لينة للحفاظ عليها، ثم تعلق بالسور وهو يتأرجح قليلاً قبل أن يُفلت يديه ليسقط على الأرض.
رغم علمه أن "عمر" أو أي شخص لا يستطيع إثبات ما يدينه، ولكنه كان يشعر بالتوتر والرغبة في الابتعاد بعد أن شعر لأول مرة منذ فترة طويلة بفقدان السيطرة، وعدم القدرة على إثارة الرعب و...
- الحفلة خلصت بدري ولا إيه؟
اعترض "محمود" طريقه وهو يقول تلك الجملة الساخرة، ولكن ذلك الأخير بدا هادئاً وهو يقول:
- "محمود" باشا، انا معجب بيك قوي، عندك إصرار.
- مش تستنى لما نحل قضية "فتحي" و"ممدوح".
قلب "علاء" شفتيه وهو يحرك ذراعه في الهواء بعصبية ويقول ساخراً:
- فيه حد تاني ناويين تتهموني في موته؟
في تلك اللحظة اندفع "أكرم" من خلف "عمر" وهو يختطف حقيبة الكمان من يد "علاء" ويقف مبتعداً ويقول:
- انا كفاية عليَّ "رضوى"، انت كنت بتحبها إزاي تقتلها؟!

- عشان أكسرك، ومااضعفش قصادها.

- انت ضعيف يا "علاء" انا متأكد من ده.

قالها "أكرم" وأخرج الكمان من الحقيبة وهو يهم بكسره:

- هتبقى أضعف لما نكسره.

انفجر وجه "علاء" وهو يصيح غاضباً:

- عاوزين إيه؟ كل اللي كنت عاوزه إني أنجح، انا عندي طموح وكنت عاوز أنجح.

هتف "أكرم" وهو يلوح بالكمان:

- الطموح إنك تكفر بكل المبادىء وتبقى كل حاجة عندك سهل تعملها علشان هدفك، من غير ما تفكر لحظة إن اللي بتعمله حرام وربنا مايرضاش بيه.

قهقهه "علاء" بعصبية وهو ينظر للسماء:

- حرام ومايرضيش ربنا!!! أمال إيه اللي حلال ويرضيه، إني أخسر كل حاجة، شغلي يبوظ، فرصتي مع أكبر موسيقار في مصر تروح، البنت اللي باحبها تسيبني وترفض ترجع لي، واحد زيك يبقى أهم في الاوركسترا مني رغم إني موهوب أكتر منك، ده اللي يرضي ربنا، إنه يخليني ضعيف ومكسور، ويتداس عليَّ، والمفروض أبقى مبسوط وكل ده بيحصل لي، ما في ناس وحشة ومبسوطة، "فتحي زهير" فاسد وكان عايش غني وناجح، فين العدل؟ كل حاجة تبوظ وغيري يبقى كويس، ده اللي يرضي ربنا زي ما بتقول؟

اتسعت عينا "أكرم" وهو يقول:

- انت مجنون! ربنا له حكمة والإنسان مخلوق جاهل مايعرفش حكمة ربنا لما

بيعمل حاجة ، علشان كده الرضا باللي ربنا يدهولك من مراتب الايمان.

- ده اللي بتضحكوا بيه على نفسكم، الرضا، انا مارضيتش وقررت إني أنجح ونجحت.

- خسرت روحك علشان تنجح مش كده.

- أيوة، صفقة مع الشيطان، بيعت روحي وإداني مقطوعة خلتني أهم عازف كمانجة في مصر، وأسيطر على الكل وأخلص من أي حد يسبب لي مشاكل، ادتني القوة، كل ده الشيطان أداهولي، ربنا مادانيش حاجة علشان أكون راضي، الشيطان إداني أكتر، فرصة واستغلتها.

هز "عمر" رأسه قائلاً بحسرة:

- فرصة حولتك لشيطان، الشيطان وسوس لك من نقطة ضعفك، إنك عاوز تنجح، إداك المفتاح وانت كملت، نفسك هي اللي كملت وبقت هي شيطانك.

- كل ده كلام فارغ، انتوا ماحستوش بالقوة، هتفضلوا عايشين في حزن وإحباط وفشل، ماحدش فيكم مبسوط، بس بتقولوا راضيين علشان خايفين تواجهوا الحقيقة وإن القوة أهم حاجة، مش مهم مصدرها منين، انا قدرت أعمل حاجات كتير وأوصل لحاجات كتير وانتوا زي ما انتوا.

- بإنك تقتل وتأذي؟

- "فتحي" و"ممدوح" كانوا يستحقوا الموت، "عيسي" كان خاين، حتى "رفعت" انا قتلته لأنه يستحق الموت، كان أناني ومنافق مابيهتمش إلا باللي يخليه يكسب، لما لقاني الحصان الكسبان رماك يا "أكرم"، انتوا المفروض تشكروني إني نفذت اللي ماقدرش عليه ضعفكم.

اقترب "محمود" وهو يقول:

- انت كنت بتحرك كل واحد لمصلحتك.

- ماكنتش عاوز حد يعطلني، وماكنتش عارف أخلص منك لأنك كنت نقطة ضعف لـ"فتحي". كنت محتاجك موجود علشان هو يفضل خايف ومحتاج لي، ونقطة ضعفك كانت مراتك، استغليتها لما انت ابتديت تدور ورا الرسمة.

قال "أكرم" باشمئزاز:

- كل ده علشان تحقق شوية طموح.

بدا "علاء" أكثر غضباً وهو يقول:

- لأ يا غبي علشان القوة كمان، فين القوة اللي عند أي حد فيكم، ردوا؟!

نظر للسماء وهو يرفع يده مستطرداً:

- مابتديناش غير الضعف، بتسيبنا ضعفاء على الأرض، مانستحقش إننا نتحاسب لما ندور على القوة، مانستحقش نتحاسب لما نحاول نخلي عيشتنا أحسن، مانستحقش نتحاسب لما ننجح.

- انت مجنون.

قالها "أكرم" ورفع يده ليهشم الكمان على الأرض وصرخ "علاء" وأخرج مسدسه سريعاً ليطلق منه رصاصة استقرت في كتف "أكرم" ليمنعه من تحطيم الكمان. هم أن يطلق رصاصة أخرى نحو "أكرم" ولكن "محمود" قفز عليه بشراسة واشتبكا ليسقطا على الأرض ويتناول حجراً يصدم به رأس "محمود"، ثم ينهض من مكانه ليستعيد الكمان و...

استوقفه "عمر" وهو يصوب إليه المسدس ويقول بحدة:

- ماتجبرنيش أعمل حاجة مش عاوزها.

- مش هتعرف.. انت ضعيف.

نظر له "عمر" بحيرة وهو يسأل:
- فيه حاجة محيراني، ليه انا الوحيد اللي ماقدرتش تأذيه؟ أكيد مش الصداقة اللي منعتك.
- ماعرفتش نقطة ضعفك، سؤال كان محيرني ليه انت الوحيد اللي ماعرفتش نقطة ضعفه؟
ظل مصوباً المسدس نحو "علاء" وهو يقول بألم:
- علشان انت كنت نقطة ضعفي يا صاحبي.
نظر له "علاء" نظرة باردة ثم تحرك للحصول على الكمان الملقى بجوار "أكرم" الذي يتأوه في ألم، وصرخ "عمر" مرة أخرى:
- ماتتحركش يا "علاء".
لم يبالِ "علاء" بصراخه وواصل السير، ظل "عمر" يصوب المسدس نحوه ولكنه لم يستطي إطلاق الرصاص، لم يستطع قتل صديقه القديم، شعر بألم بالغ وهو ينظر إليه، وارتعشت يداه الممسكتان بالمسدس في شدة، ودمعت عيناه في ألم وهو لا يتمكن من إيقافه ومنعه مما يفعل، شعر بالضعف وارتعشت يداه أكثر حتى سقط منه المسدس وجثا على ركبتيه في حسرة واضحة.
نظر "علاء" نحوه وابتسم ابتسامة ساخرة ثم جذب منه المسدس ولطمه بكعب المسدس بقوة فسقط "عمر" مغشياً عليه وانحنى "علاء" نحو الكمان وهو ينظر إلى "أكرم" ويقول:
- شكلي هبدأ بيك، بس بالأسلوب اللي باحبه، الكمانجة.
حاول "أكرم" أن ينهض وهو يمسك ذراعه المصابة ويقول:
- النهاية اتكتبت خلاص، بس ليك انت.

ضحك "علاء" بسخرية و"أكرم" يواصل:

- انت الأضعف طول عمرك، بس احنا ماكناش عارفين قوتنا، قوتنا في الايمان بالله، وانك ضعيف انت وشيطانك.

استعد "علاء" للعزف وهو يقول باحتقار:

- غبي، هتفضل عايش ضعيف طول عمرك ومبسوط بضعفك لأنك ماجربتش طعم القوة.

- القوة مع الشيطان ضعف، خدعة.

رفع "علاء" قوس الكمان بعصبية وضربه بوجه "أكرم" وذراعه بشكل متتالٍ. حاول "أكرم" المقاومة، ولكن "علاء" كان سريعًا شرسًا، بدأت الدماء تغزو وجه "أكرم"، وأفاق "محمود" فنهض ودفع "علاء" بعيداً، والذي صرخ بشدة وهو يبدأ العزف على الكمان. قبل بداية العزف أطلق رصاصة نحو الكمان هتكت بعض الأوتار فصرخ "علاء" بفزع وتناول المسدس الملقى ولكن طلقة أخرى من "محمود" أثارت فزع "علاء"، ليركض بأسرع ما يمكنه مبتعداً.

كاد "محمود" يركض خلفه ولكنه التفت نحو "أكرم" الذي كانت الدماء تلطخ قميصه وسقط على الأرض بدون حركة، فتوجه نحوه في فزع محاولاً إسعافه فيما اختفى "علاء" عن الأنظار.

*****

فترة طويلة من الركض، شعر "علاء" أنه ركض لأيام، كان يشعر بالغضب يجتاح كيانه وأصبحت عروق وجهه بارزة من فرط الغضب الذي يشعر به. كان يتساءل كيف بدأ كل شيء في الانهيار بذلك الشكل، إنه يملك القوة، يملك السيطرة، يملك الكثير مما يمنحه التفوق، يملك مقطوعة الشيطان.

كان مازال ممسكاً بالكمان الخاص به فتوقف عن الركض وهو يتأمله بضيق وتحسست انامله مكان الأوتار التالفة ببطء.

كان يسير مهمهمًا بالسباب ويتوعد الجميع حينما يصلح الكمان، ولكنه ما إن اقترب من منزله حتى لمح بعض أفراد الشرطة بالقرب من المنزل.

توقف عن الحركة وهو يبدو غاضباً، كان يشعر أن الأمور للمرة الأولي تفلت من بين يديه، كان يتلذذ بالشعور بالسيطرة على كل شيء، ولكنه بدأ يفقدها.

نظر للسماء وهو ينفخ بغضب ويقول:

- برضه هتفضل القوة معايا، هاخليك تندم يا "أكرم" وتعيش زي الميت لما اقتل "سارة".

وفجأة تناهى إلى سمعه صوت حركة خلفه فانتزع المسدس والتفت بسرعة ليجد "جازر" في مواجهته، فنظر "علاء" هاتفاً:

- أنا ماخسرتش، كل اللي عملوه ده ولا حاجة، ساعدني، علمني مقطوعة تانية و..

قطع كلامه حينما قهقه "جازر" بصوت عالٍ، فنظر له بغيظ وهو يقول ساخطاً:

- بتضحك على إيه؟

- كل حاجة خلصت، دوري معاك انتهى.

بدت على ملامح "علاء" علامات الحيرة:

- انتهى !! انت لازم تساعدني.

نظر له "جازر" باستنكار وهو يقول بلهجة هادئة:

- اساعدك!! انا ماباعملش حاجة، انت اللي عملت كل حاجة.

ثم اقترب من "علاء" وهو يضع يده على كتفه ويقول:
- انا علمتك المقطوعة، بس انت اللي عملت كل حاجة، انت السبب في طرد "أكرم"، وقتلت "رضوى" و"رفعت" و"ممدوح" و"ماجد" و"فتحي" و"ياسمين"
- "ياسمين" انتحرت.
- انت اللي وصلتها للانتحار، وعلى العموم القايمة بتاعتك طويلة مش مشكلة "ياسمين".
- انت اللي خلتني اعمل كل ده.
هز "جازر" رأسه نفياً:
- لأ، انا اديت لك المفتاح، الاختيار كان قدامك، انا ماباعملش حاجة غير اني باحط الاختيارات قدامكم، انتوا اللي بتختاروا، ماليش دعوة انت اخترت ايه.
- انا مش محتاجك، انا عارف المقطوعة وهاعزفها واعمل اللي انا عاوزه.
- يبقى مافهمتش.
التف "جازر" حول "علاء" حتى صار خلفه فاقترب من أذنه وهو يهمس:
- انا والمقطوعة واحد، لو انا مش موجود المقطوعة مالهاش لازمة، انا اكتفيت، الحقيقة انت حققت لي مكاسب كتير قوي، بس هي كفاية بالنسبة لي، لان انا كمان مش هاقدر أكمل ولا اساعدك خلاص عرفوا ازاي يبقوا اقوياء قدامك، عرفوا إزاي يهزموك.
بعد تلك الجملة، ربت "جازر" على كتف "علاء" الذي وقف صامتاً ثم استدار ليجده قد اختفى، لم يعد له وجود. ظهر الفزع جلياً عليه وهو يصرخ:
- ماتمشيش، انا محتاج القوة، لسة، لسه...

أخذ يتلفت حوله بجنون وهو ينادي على "جازر"، كان يصرخ باحثاً عنه بمزيج غريب من الاستعطاف والرجاء والغضب والسخط، يضحك ساخراً منه تارة ويبكي تارة أخرى، صارت ردود أفعاله أقرب للجنون حتى جلس على الأرض وهو يصرخ:

- لااااااا، هاقدر من غيرك اعمل اللي عاوزه، انا احسن عازف، هاعرف اكمل من غيرك.

سال الزبد من بين شفتيه وهو في حالة الهياج والصراخ حتى أن صراخه جذب انتباه بعض الأشخاص فبدأوا يقتربون منه، فبدأ بالتحرك والابتعاد عن المكان وهو يتلفت حوله حتى لمح رجال الشرطة يتحركون بالقرب منه.

ظل ينظر حوله بعينين زائغتين وقدمين ترتعشان ويدين باردتين، جلس على الأرض وهو يقرض أصابعه بسرعة وينظر للكمان الذي مازال يحمله ووضعه بجواره ثم همهم:

- هافضل أعظم عازف، هاخلد نفسي، هافضل أسطورة الناس تفتكرها ماتنسهاش، هابقى اسطورة احسن عازف كمانجة جه مصر.

أخرج مسدسه وهو يصوبه نحو رأسه دون أن يلصقه بجبهته ويقول:

- اللي بيموت أعماله بترجع تعيش، هاخلي أعمالي تعيش وانا اعيش معاها طول عمري، هافضل انا الأقوى حتى وانا مش هنا.

ابتسم بانتصار وأطلق الرصاصة لتخترق رأسه ويسقط جثة هامدة بجوار الكمان، مع اقترب المارة ورجال الشرطة بعدما سمعوا دوي الرصاصات ليجدوا الموسيقار الشاب ملقى بجوار الكمان الخاص به مضرجاً في دمائه، وكأن القدر لم يمهله الوقت ليعزف لحنه الأخير.

مقطوعة الحياة

كان "محمود" و"سارة" يقومان بتوصيل "أكرم" إلى منزله بعد خروجه من المستشفى بسبب إصابته، فنظر "أكرم" نحو "محمود" وهو يسأله:

- "سيد" خرج؟

- احتمال تلاقيه قاعد في الكشك بتاعه دلوقتي، انا رتبت كل حاجة، ماتقلقش طول منا موجود.

نظرت له "سارة" وهي تقول ضاحكة:

- شكلك قررت تنسى الاستقالة؟

رد بخبث:

- لو كنت سيبت الخدمة ماكنش "سيد" هيطلع ولا كان اللي حصل في الحفلة هيعدي ببساطة، ويتقال إن "علاء" حصلت له صدمة هي اللي خلته ينتحر.

- ده اللي مضايقني.

- ليه يا "أكرم"؟

- واحد زي "علاء" بعد كل البلاوي اللي عملها، الناس بتتعامل معاه إنه أسطورة إنتهت قبل ما تبتدي بسبب انتحاره، وياخد جنازة محترمة؛ والجرايد ماتبطلش تكتب عنه.

وافقته "سارة" بإيماءة من رأسها فقال "محمود" بجدية:

- كان صعب حد يعرف الحقيقة، ماحدش كان هيصدق موضوع الكمانجة وصفقة الشيطان.

سألت "سارة" باهتمام:

- انتم لقيتوا النوتة اللي قال عليها "عمر"؟

- آه، و"أكرم" حرقها.

تساءلت مرة أخرى:

- تفتكروا ليه "كامل" إدى له النوتة دي؟!

أجاب "أكرم" هذه المرة:

- يمكن كان خايف تقع في إيد حد يستعملها في الشر، ولما قرب يموت سابها لـ"علاء"، ماكنش يعرف أن ضعف "علاء" هيخليه يستعملها في الشر.

- ضعف "علاء"؟

- أيوه يا "سارة"، رغم كل ده "علاء" ضعيف، ضعيف قدام نفسه، وقدام رغباته، الشيطان قدر يسيطر عليه، الشيطان بيوسوس للإنسان الضعيف، بيديله المفتاح اللي بيه يعمل الغلط ويسيبه، ونفس الإنسان الضعيف هي اللي بتكمل، وتبقى أقوى من الشيطان في إنها تخليه يعمل أي حاجة، علشان كده "علاء" انتحر لأنه حس إنه بقى ضعيف من تاني لما كلنا بقينا ضده.

نظر "محمود" إلى "سارة" وهو يقول:

- زي ما انتِ قلتِ، ضعفنا بيخلي الشيطان قوي، ولما انا و"أكرم" و"عمر" بقينا أقوياء قدام خوفنا وضعفنا، "علاء" هو اللي بقى ضعيف، حس إنه ممكن يتضر بسهولة وإن الشيطان سابه، الشيطان بيضعف لما النفس بتقوى، اللي حصل خلاني أفكر وأخاف من لحظة الضعف البشري اللي الشيطان ممكن يسيطر عليَّ فيها.

هزا رأسيهما بالموافقة وقالت "سارة" بمرح:

- بس برضه انت ماعرفتش تحل قضية "كامل"، وماتعرفش مات ولا انتحر؟

ابتسم "محمود" وهو يقول:

- وشكلي مش هاعرف، يمكن انتحر بسبب مقطوعة الشيطان، ويمكن الشيطان استغل ضعفه ونفسه وصلته للانتحار، وجايز استعملها في شر وماعرفناش إيه هو، فقرر ينتحر؛ حتى الحريقة بتاعت البيت هتفضل مش مفهومة، جايز كانت محاولة من الشيطان إن حد فينا إحنا اللي يضعف، دايماً الدنيا بيبقى فيها حاجات كتير مهما كان عندنا علم ومعرفة بتفضل مجهولة للإنسان، ولازم يفضل مايعرفهاش علشان يفضل حاسس بالضعف البشري قدام الخالق.

بدأت "سارة" تحاول تغيير دفة الحديث بشكل مرح بعد أن أصبح ثلاثتهم كما لو كانوا بدأوا حياة جديدة نسوا فيها كل الألم السابق. وبعد أن وصلوا إلى منزل "أكرم"، تبادلوا معه حديثاً قصيراً حتى قرروا الرحيل، ولكن "سارة" توقفت عند الباب وهي تقول:

- مستنية ترجع للكمانجة.

لم يعلق على عبارتها، وإنما ابتسم وهو يودعها مع "محمود"، وما إن أغلق الباب حتى توجه نحو دولاب مغلق في صالة الشقة وفتحه ليخرج منه حقيبة الكمان الخاص به وهو يبتسم. ونظر له قليلاً وهو يتحسسه في اشتياق، كما لو أنه يطلب منه أن يسامحه على نسيانه، ثم جلس على كرسيه الهزاز بالصالة، وإلى جواره على المنضدة صورة لـ"رضوى".

أمسك الصورة مبتسماً وهو يقول:

- الضلمة اللي جوة روحي راحت.

أغمض عينيه وبدأ بالعزف على الكمان وأصابعه تنتقل بين أوتاره في سهولة ويسر وكأنه لم يتوقف يوماً واحداً عن العزف، وعادت شفتاه للابتسام مرة

أخرى، وبدا كما لو أنه يرى "رضوى" في تلك اللحظة، لتتسع ابتسامته أكثر وتغمر وجهه أكثر.

توقف عن العزف وهو ينظر إلى حقيبة الكمان، كانت هناك نوتة موسيقية مألوفة بداخلها، نوتة مقطوعة الشيطان. ظل ينظر للنوتة الموسيقية بتفكير وهو يتذكر كيف أخذها من منزل علاء، ولكنه لم يعلم لماذا قرر الاحتفاظ بها، وظل السؤال يتردد في رأسه، هل هو الفضول؟ أم أنه يرغب في تجربة الإحساس بالقوة؟

نظر للنوتة بتفكير وتمعن، ولكنه عاد إلى عزفه الهادىء لمقطوعته الأولى، وعيناه تنظر إلى النوتة الموسيقية بين لحظة وأخرى وهو لا يعلم هل يضعف ويلجأ إليها يوماً ما أم أنه سيكون هو الأقوى؟

ابتعد ببصره عن النوتة الموسيقية وظل ينظر إلى صورة "رضوى" وهو يبتسم لها وكأنه يراها، وبعد لحظات بدأ يتحدث مع الصورة بصوت مسموع، ليعلو صوت الحب والحياة، ويصبح أعلى من صوت القوة والسيطرة.

واصل عزفه، ونوتة الشيطان موجودة دون أن يهتم بوجودها، وهي تحمل ذلك النقش الذي غير حياة الجميع، نقش الرجل ذي الجناحين الذي يعزف على الكمان.

(تمت بحمد الله)

شكر خاص

دائمًا ما تكون هي الصفحة الأصعب،

الشكر لعائلتي التي طالما تحملتني وإلى أمي الحبيبة،

إلى الأفضل دائمًا وأبداً حبيبة حجاب ونورهان عز الدين وأحمد رأفت الذين وجدوا معي دائمًا وساندوني في أكثر أوقاتي صعوبة ليثبتوا أن الإنسان يواصل بمن يحب، وأشكرهم على قدراتهم الجميلة التي وهبوها في تصميم كل ما يليق بالرواية واهتمامهم بها أكثر مني.

إلى أخي الروحي الموسيقار والموزع محمد مدحت، الذي طالما كان سندًا لي طويلاً للنجاح.

إلى الدكتور كريم عزمي، باعث الطاقة الإيجابية والذي أمدني بما ينقصني من المعلومات عن النفس البشرية.

إلى معتز منير، الصديق الذي قرأ الرواية وعاش تفاصيلها وتحمل أسئلتي وجنوني وتفاصيلي كأنه من يكتبها دون كلل أو ملل.

وشكر خاص لجميع الأبطال الذين كانوا بداية لمواصلة الرواية ووصولها إلى هذا الشكل، بداية من فصلها الأول وحتى الآن ، الذين علموا إنهم يساعدوني والذين ساعدوني دون علم، أشكر كل من بانسيه محمود، آية عفيفي، محمد بيبرس، نرمين طلال، أحمد عبد الفتاح، إيمان النجدي، إيهاب رزق.

وشكر إليك قاريء هذا الكتاب، واتمنى أن ألتقيك في أعمال أخرى، منتظراً جميع الأراء السلبية والإيجابية،

شكراً لكم جميعاً